المجلة العربية للدراسات التاريخية

علمية محكمة تصدر عن مركز التاريخ العربي

العدد (١١) - السنة الخامسة ٢٠٢٤م

عدد مجاني - غير مخصص للبيع

قراءة تاريخية منهجية لكتاب اليمن بين مشاطئتها للبحر الأحمر وفلسفة أحداث التاريخ

للمؤلف محمد محسن المقداد

د. بكيل محمد محمد الكليبي

مهام حسين حلمي باشا السياسية في الدولة العثمانية

مصطفى عباس جاسم العبيدي

هند فخري سعيد المولى

L'Église protestante en Tunisie pendant le colonialisme français

الدرّة اليتيمة بذكر (مدينة الدور) في النصوص والأخبار التاريخية القديمة

إبراهيم فاضل الناصري

جامعة القرويين بمدينة فاس المغربية

معلمة العلم والحضارة والعروبة في الزمان والمكان

حنان الحمياني

المجلة العربية للدراسات التاريخية

تعريف بالمركز

تم إنشاء المركز عام ٢٠١٩م في مدينة إسطنبول على يد الدكتور محمد محمود خليل، كمساهمة في إثراء المعرفة التاريخية، والاعتناء بحضارة الوطن العربي، وتوفير ما يلزم من دراسات جادة ووثائق تاريخية.

التواصل

mmk1976mmk@gmail.com

+ 905446117942

Şirinevler - Istanbul - Turkey

أقسام المركز

- دار نشر
- مركز أبحاث
- قسم الوثائق العثمانية
- المجلة العربية للدراسات التاريخية

شروط وأحكام النشر

١- تنشر المجلّة العربية للدراسات التاريخية الأبحاث الأصيلة ذات المنهجيّة العلميّة الرّصينة والتي تلتزم بالموضوعيّة، وتتوافر فيها الدّقة والجديّة. في التاريخ ، وكافة العلوم الإنسانيّة والعلوم الاجتماعيّة ذات الصلة بالتاريخ.

٢- كلّ بحث لا يحترم شروط النّشر لا يؤخذ بعين الاعتبار.

٣- تخضع كلّ الأبحاث إلى التّحكيم من قبل هيئة مختصّة، ويلقى البحث القبول النّهائي بعد أن يقوم الباحث بالتّعديلات المقترحة.

٤- للمجلّة كلّ الحق في أن تطلب من الباحث أن يحذف أو يعيد صياغة بحثه، أو أي جزء منه بما يتناسب مع طبيعة المجلّة.

٥- لا يجب أن يكون البحث قد سبق نشره أو كان جزءا من كتاب منشور.

٦- يتعهد الباحث بعدم تقديم البحث للنشر في جهة أخرى، بعد إقرار نشره في المجلّة العربية للدراسات التاريخية، إلاّ بعد الحصول على إذن كتابيّ بذلك من مدير المجلّة.

٧- لا تتجاوز صفحات البحث المقدّم ٢٥ صفحة.

٨- على الباحث احترام شروط الكتابة التّالية:

- تحتوي الصّفحة الأولى من البحث على؛ عنوان البحث، الاسم الكامل للباحث ودرجته العلمية، والجامعة التي ينتمي اليها باللّغة العربيّة واللّغة الانجليزيّة، البريد الالكتروني للباحث، ملخّص للدّراسة في حدود ١٥٠ كلمة حجم ١٢ بلغة المقال وبلغة أجنبيّة (لإنجليزية)، الكلمات المفتاحيّة بعد الملخّص.

- تقدّم الأبحاث مكتوبة ببرنامج Word بخط Traditionnel Arabic حجم ١٤، تكتب العناوين الرئيسيّة والفرعيّة للفقرات بحجم ١٤ مثلها مثل النصّ الرئيسيّ لكن مع تضخيم الخط. أما الأبحاث المكتوبة باللّغة اللاتينيّة فتكتب بخط Time new Roman، بحجم ١٢ وتكون الحواشي ٤ سم على جوانب الصّفحة الأربعة، كما تدرج الرّسوم البيانيّة والأشكال التوضيحيّة في المقال، وتكتب عناوينها والملاحظات التوضيحيّة أسفلها، أما الجداول ترقم ترقيماً متسلسلاً وتكتب عناوينها أعلاها والملاحظات التوضيحيّة أسفلها.
- يلتزم الباحث بتهميش المعلومات على طريقة APA American Psychological Association
- بالنّسبة لعلامات الترقيم، توضع النّقطة (.) بعد الكلمة مباشرة دون وجود فراغ بينهما، ويوضع فراغ واحد بين النّقطة وبداية الجملة التّالية. كما لا توضع النّقطة (.) أبدا في العناوين، أمّا إذا كان العنوان يضمّ عنوانين أحدهما فرعيّ والآخر رئيسيّ فيفصل بينهما بنقطتين.
- يجب إدراك الفرق بين الفاصلة بالعربية (،) والفاصلة بالأجنبية (,) واستغلالهما في الكتابة المناسبة، كما تكتب الفاصلة بعد الكلمة مباشرة ولا يوجد فراغ بينهما.
- تكتب واو العطف ملتصقة بالكلمة التي تليها ولا يترك فراغ بينهما.
- عدم تزيين النصّ بالألوان والخطوط العريضة وتكبير الحجم، يجب احترام الشروط المعروضة سابقا.
- ضبط اتّجاه النصّ بالعربيّة من اليمين الى اليسار، والنصّ بالأجنبيّة من اليسار الى اليمين، وضبط اتجاه الجمل في النّصوص إذا كانت باللّغة العربيّة او بالأجنبيّة.
- عدم الإكثار من الفقرات وجمعها في نصّ سياقي واحد، واللّجوء الى الفقرات عند الضرورة النصية.

٩- الأفكار والآراء التي يتضمّنها البحث لا تعبّر عن رأي المجلّة وإنما هي وجهة نظر أصحابها. كما أنّ هيئة تحرير المجلّة غير مسؤولة عن أيّ سرقة علميّة تتم في البحوث المقدّمة لها.

١٠- يرفق صاحب البحث تعريفا مختصرا بنفسه ونشاطه العلميّ والثقافيّ.

١١- ترسل الأبحاث الى إيميل المجلة

المحتويات

مهام حسين حلمي باشا السياسية في الدولة العثمانية

(٥ آب ١٩٠٨-٢٠ آب ١٩١٢م)

Hussein Hilmi Pasha's Political Duties in the Ottoman Empire

(August 5, 1908–August 20, 1912)

مصطفى عباس جاسم العبيدي

ماجستير / كلية التربية للعلوم الانسانية

جامعة الموصل / العراق

هند فخري سعيد المولى

أستاذ مساعد دكتور / قسم التاريخ / كلية التربية الاساسية /

جامعة الموصل / العراق

الملخص:

تعتبر فترة ٥ آب ١٩٠٨- ٢٠ آب ١٩١٢م من الفترات المهمة في تاريخ الدولة العثمانية حيث تمكنت فيها أعضاء جمعية الاتحاد والترقي من قيادة انقلاب ضد السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٩٠٨، وكان من نتائج ذلك انقلاب إعادة العمل بالدستور الذي تم إيقاف العمل به منذ فترة بعيدة، كما تمكنت الجمعية بعد الضغط على السلطان عبد الحميد من إجراء انتخابات في الولايات العثمانية لاختيار أعضاء مجلس المبعوثان وعلى اثر ذلك نجح ستين عضواً من أعضاء الجمعية من الحصول على مقعد في مجلس المبعوثان، وساهمت تلك الانتخابات في تقييد سلطة السلطان عبد الحميد الثاني، كما تمكن أعضاء الجمعية من الضغط على السلطان لأجل إعفاء الصدر الأعظم كامل باشا من منصبه وتكليف حسين حلمي باشا الموالي لهم، وتشكيل الحكومة ولم تكتفي الجمعية بذلك بل قادت انقلاباً خفياً ضد السلطان عبد الحميد تمكنت خلاله من ازاحته عن السلطة وتنصيب أخيه محمد رشاد سلطانا بدلا عنه.

Abstract:

The Period Of August 5, 1908 - August 20, 1912 Is Considered One Of The Important Periods In The History Of The Ottoman Empire, As Members Of The Union And Progress Society Were Able To Lead A Revolution Against Sultan Abdul Hamid Ii In 1908. One Of The Results Of That Revolution Was The Restoration Of The Constitution That Had Been Suspended For A Long Time,The Society Was Also Able, After Pressuring Sultan Abdul Hamid, To Hold Elections In The Ottoman States To Choose Members Of The Council Of Representatives. As A Result, Sixty Members Of The Society Succeeded In Obtaining A Seat In The Council Of Representatives. Those Elections Contributed To Limiting The Authority Of Sultan Abdul Hamid Ii, The Members Of The Society Were Also Able To Pressure The Sultan To Relieve Grand Vizier Kamil Pasha From His Position And Assign Their Loyalist Hussein Hilmi Mubasher To Form The Government ,The Society Did Not Stop At That, But Led A Secret Coup Against Sultan Abdul Hamid, Through Which It Was Able To Remove Him From Power And Install His Brother Muhammad Rashad As Sultan Instead Of Him.

الكلمات المفتاحية: الاتحاديين، حسين حلمي باشا، السلطان عبد الحميد الثاني، وزير للداخلية، الصدر الاعظم، وزير للعدل.

Keywords: The Young Turks Hussein Hilmi Pasha, Sultan Abdul Hamid II Minister Of The Interior, Grand Vizier, Minister Of Justice.

المقدمة

تعد فترة ١٩٠٨- ١٩١٢ من الفترات التي حصلت فيها متغيرات اضعفت الدولة العثمانية بسبب تدخل الدول الاجنبية في شؤونها الداخلية، واستمرت تلك التدخلات حتى فقدت الدولة العثمانية قوتها، ووجدنا من الجدير أن نقف على طبيعة الرجال الذين اختيروا في تلك الفترة لتولي مناصب سياسية، يرجع سبب اختيار العنوان كون الكثير من الدراسات تناولت العديد من الشخصيات إلا أننا لم نجد بحث تناول مهام حسين حلمي باشا السياسية ورأى الباحثان أن الشخصية تستحق الدراسة لأنها بقت بعيدة عن أنظار الباحثين، كونه واحد من أبرز الشخصيات التي تسلمت مناصب حساسة في الدولة العثمانية.

ان أهمية الموضوع تأتي من خلال دراسة شخصيته والتعرف على الظروف السياسية التي مرت بها الدولة العثمانية وما الأحدث التي شهدها وشارك بها حسين حلمي باشا في تلك الفترة المهمة والتي شكلت انعطافاً خطيراً في تاريخ الدولة العثمانية.

جاء البحث بعنوان مهام حسين حلمي باشا السياسية في الدولة العثمانية من ٥ آب ١٩٠٨- ١٣ نيسان ١٩٠٩ مكون من تمهيد ومحورين، تناول التمهيد وعنوانه حياة حسين حلمي باشا ونشأته والمناصب الادارية الاولى التي ادارها حتى عام ١٩٠٨، واحتوى المحور الأول تعيين حسين حلمي باشا وزيراً للداخلية ٩ آب ١٩٠٨-١٤ شباط ١٩٠٩، والمشاكل الداخلية التي عانت منها الدولة العثمانية في تلك الفترة، أما المحور الثاني فقد جاء تحت عنوان تنصيب حسين حلمي باشا صدراً أعظم للدولة العثمانية ١٤ شباط ١٩٠٩-١٣ نيسان ١٩٠٩ حيث وضح في المحور حادثة ٣١ آذار ١٩٠٩ وموقف الصدر الأعظم حسين حلمي باشا منها، أما المحور الثالث فقد جاء تحت عنوان تولي حسين حلمي باشا وزارة العدل(٢٢ تموز ١٩١٢-٢٠ آب ١٩١٢م) .

التمهيد: حياة حسين حلمي باشا ونشأته والمناصب الادارية الاولى التي ادارها حتى عام ١٩٠٨:-

حسين حلمي زاده مصطفى ولد في ٢٢ تشرين الثاني ١٨٥٥م في قرية ساريلجه التابعة لجزيرة ليسبوس، كان والده من التجار المعروفين في الجزيرة، بسبب نقص فرص التعليم في قرية ساريلجه، غادر قريته ودرس في مدرسة ساريلكا الابتدائية والرشدية، وبعد ان تخرج من المدرسة الثانوية وتلقى دروساً خاصة في تعلم اللغة الفرنسية

والفقه، وفي عام ١٨٧٣م تقدم للامتحان في محكمة جزر البحر المتوسط وحصل على درجة المحاماة من الدرجة الأولى، بدأ حسين حلمي خدمته المدنية في مكتب ضرائب ميديلي، وتذكر المصادر أن حسين حلمي كان يقرا الكتب التي كان الفها نامق كمال وتأثر كثيراً بـ آراءه افكاره، وشاءت الاقدار أن يتم تعيين نامق كمال والياً على ميديلي عام ١٨٨١م، فكان دائما ما يزور نامق كمال ويستمع إلى آراءه وتوجيهاته حتى أطلق عليه لقب "تلميذ نامق كمال "، بالمقابل اعجب نامق كمال بحسين حلمي وراى أنه سوف يكون له مستقبل باهر حيث عينه نامق كمال في مكتب بريد ليسبوس، وبعد ذلك تم نقله الى مكتب بري في ولاية ايدين بتوصية من نامق كمال [١] .

وبعد ذلك شغل منصب متصرف مرسين عام ١٨٩٣م لكن لم يستمر بهذه الوظيفة أكثر من شهرين، بعد ذلك جاءت اوامر نقله الى متصرفية الكرك وبقي هناك ثلاثة سنوات (١٨٩٣-١٨٩٦م)، وبعد ذلك جاءت اوامر نقله إلى متصرفية نابلس لكنه رفض تولي هذا المنصب وادعى أنه يعاني من وعكة صحيه، لكن النجاحات الكبيرة التي حققها حسين حلمي في متصرفية الكرك كانت سبباً رئيسياً لمنح حسين حلمي افندي منصب أعلى، حيث تم تعيينه والياً على أضنه عام ١٨٩٧م بقي في هذا المنصب تسعة أشهر في الحقيقة أن قنصل مرسين النمساوي أحضر بعض المنشورات الضارة ونشرها في ولاية اضنه، على اثر ذلك قرر والي أضنه حسين حلمي افندي طرد القنصل إلى خارج اضنه أثناء مغادرة القنصل النمساوي سقط العلم النمساوي على الأرض من يد أحد الجنود العثمانيين واعتبرت النمسا ذلك إهانة لدولتها على اثر ذلك طالبت النمسا تقديم اعتذار رسمي واعفاء حسين حلمي افندي من منصبه، لكي لا تحدث أزمة دبلوماسية بين البلدين تم إعفاء حسين حلمي افندي من منصبه في عام ١٨٩٨م [٢]، عين حسين حلمي باشا والياً على اليمن وبقي هناك ثلاث سنوات (١٨٩٨-١٩٠١م)، حيث قدم استقالته لأنه تعرض

[1] Sena Hatip Dinçyürek,Reading A Bureaucratic Career Backwards: How Did Hüseyin Hilmi Pasha Become The Inspector-General Of Rumelia, Middle Eastern Studies,Vol. 53, NO. 3, 2017 ,Ss.387-390.

[٢] عبد الرحمن شرف، ويانه سفير سابقى حسين حلمي باشا، تاريخ عثمان انجمنى مجموعه سى، نومرو (٤٩-٦٢)، ١٩٢٣م، ص ص ٦٤-٧٣.

لمحاولة اغتيال فاشلة أصيب على إثرها بجروح خطيرة، إضافة إلى خلافاته مع قائد الجيش عبدالله باشا، وبعد ذلك عُين مفتشاً عاماً على روم ايلي (١٩٠٢ -١٩٠٨م) (١) .

اولاً: تعيين حسين حلمي باشا وزيراً للداخلية (٥ آب ١٩٠٨-١٤شباط ١٩٠٩م):

بعد نشرِ أمرِ السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ - ١٩٠٩) بإعادة العمل بالدستور ٢٤ تموز ١٩٠٨م، كلَّف السلطان كوچك محمد سعيد باشا (٢) بتشكيل الحكومة الجديدة، لكن حكومته لم تستمرْ سوى أحد عشر يوماً، حيث أراد سعيد باشا إعطاء السلطان حق في تعيين وزيري الداخلية والحربية خلافاً للقانون الأساسي، فوقع بسبب ذلك خُلاف مع جمعية الاتحاد والترقي، أدَّى ذلك الى استقالته من منصبه وكلف السلطان عبد الحميد الثاني محمد كامل باشا(٣)، لتشكيل الوزارة الجديدة (١) .

(1) Yahya Yeşilyurt,Hüseyin Hilmi Paşa'nın Yemen Valiliği ve Ona Yapılan Suikast,OTAM, 34,Güz 2013,Ss. 258-259.

(٢) كوجك محمد سعيد باشا: ولد في ارضروم عام ١٨٨٣م واصل تعليمه في المدرسة، الذي بدأه في أرضروم في غضون ذلك تعلم الفرنسية وبعد فترة، انتقل إلى مدرسة القلم ودخل الخدمة المدنية، كانت خدمته المدنية الأولى في قلم التحرير بولاية أرضروم في عام ١٨٥٣م، وفي عام ١٨٧٦ م عينه السلطان عبد الحميد الثاني في منصب كبير كتّاب القصر الهمايوني و تدرج في المناصب السياسية فشغل منصب الصدر الأعظم لمدة تسع سنوات إجمالاً، سبع مرات في عهد عبد الحميد ومرتين خلال النظام الدستوري الثاني.

=

=

Ibnülemin Mahmut Kemal Inal ,Son Sadrazamlar ii,Dergah Yayinlari,) Istanbul, 1982) , s s.989...

(٢) محمد كامل باشا: ولد في جزيرة قبرص ووالده صالح آغا تلقى محمد كامل تعليمه الأول في قبرص تعلم العربية والفارسية والفرنسية واليونانية بسبب فضوله وموهبته في تعلم اللغات الأجنبية في عام ١٨٤٥م، ذهب إلى مصر و درس العلوم العسكرية في عام ١٨٤٩ عينَ في خدمة الترجمة للوالي المصري عباس حلمي باشا عبدي باشا، مدير التعليم في مصر، عاد إلى قبرص وعُين والياً على منطقة توزلا في قبرص، وتدرج في المناصب حتى عينَ وزيراً للتربية والتعليم عام ١٨٨٠م في حكومة كوجوك سعيد باشا، وبعد ذلك شغل منصب الصدر الأعظم أربع مرات بين عامي ١٨٨٥ و ١٩١٣م وكان تولى الصدارة العظمى لأول مرة في عام ١٨٨٥م، وتولى الصدارة العظمى للمرة الثانية عام ١٨٩٥م، وفي المرة الثالثة عام ١٩٠٨م،

=

في ٥ آب ١٩٠٨ كان كامل باشا يبحث عن شخص ذي خبرة وكفاءة ليستلم وزارة الداخلية، فوقع اختياره على حسين حلمي باشا، فوافق الاخير على ذلك وترك روم ايلي واتجه إلى اسطنبول واستلم منصبه الجديد وخصص له راتب وقدره ٣٦٬٠٠٠ قرش [٢]، وفي نفس الوقت قام حسين حلمي باشا بتسيير امور مفتشيه روم ايلي بالوكالة [٣]، لكن سرعان ما تبين أن النظام الدستوري الجديد عاجز تماماً عن مواجهة المشاكل الداخلية والخارجية التي كانت تزداد ثقلاً وتتجاوز حدود الحل، وكان النظام يعاني من عدم امكان إنشاء حكومة حقيقية ذات قاعدة شعبية في البلاد، إذ كان هدف بعض الأشخاص الذين انضموا إلى جمعية الاتحاد والترقي هو جمع الثروة والحصول على المناصب النفوذ وتحييد خصومهم لا غير، تعرضت حكومة كامل باشا لضربة كبيرة، إذ وضع اتفاق ريفال ((Reval) [٤]، الذي عقد في عام ١٩٠٨م بين البريطانيين والروس بشأن

=

وشكل الحكومة للمرة الرابعة عام ١٩١٢م، توفي عام ١٩١٢م في قبرص ودفن هناك.

,Mahmut Kamil Paşa

تم زيارة الرابط https://islamansiklopedisi.org.tr في ٢٩ تموز٢٠٢٤م

(١) شكيب حمود حسن ارسلان، تاريخ الدولة العثمانية، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، ٢٠١١م)، ص ٣٢٩.

(2) Inal,A.G.E.S.1665.

(3) Barış Zeren ,The Formation of Constitutional Rule:The Politics Of Ottomanism Between De Jure And De Facto (1908-1913) ,Doctor of Philosophy ,Boğaziçi University, The Atatürk Institute for Modern Turkish History,P153.

(٢) اتفاق ريفال: الاتفاق الذي عقد في عام ١٩٠٨م في منطقة ريفال لتنظيم العلاقات البريطانية الروسية حيث قام ملك بريطانيا ادوارد السابع (Edward VII) بزيارة قيصر روسيا نيكولاس الثاني (Nicholas II)، وكان هدف بريطانيا هو تحجيم دور المانيا في الدولة العثمانية والمنطقة اجمع خاصة بعد ازدياد نفوذها والتي بدأت بمنافسة بريطانيا، وكذلك ناقش الطرفان قضية روم ايلي والضغط على السلطان عبد الحميد الثاني لتنفيذ مزيد من الإصلاحات وكانت تلك مادة دعائية جيدة لمؤيدي التمرد لزيادة الاضطرابات في البلقان.

Serap Toprak,”Anglo-Rus Ilişkilerinin Yapilandirilmasi Bağlaminda 1908 Reval Görüşmesi, Uluslararasi Ilişkiler Ve Diplomasi Dergisi Journal Of International Relations And Diplomacy Cilt: 2, Sayi 2 Ekim ,October , 2019,Ss. 55-56.

مشروع تقسيم الدولة العثمانية موضع التنفيذ بعد ثلاثة أشهر من إعلان النظام الدستوري، اذ اعلنتْ النمسا في ٥ تشرين الثاني ١٩٠٨م ضم البوسنة والهرسك، وأعلنت بلغاريا استقلالها، وتبع ذلك ضم اليونان لجزيرة كريت، وكانت تلك الأحداث الثلاثة المهمة دليلاً على وجود تسوية سياسية ضد الدولة العثمانية من قبل الدول الاجنبية (١) .

المشاكل الداخلية خلال تولي حسين حلمي باشا وزارة الداخلية العثمانية:

١- ضم البوسنة والهرسك للنمسا وتداعياتها:

ذكرنا سابقاً ان النمسا- المجر أعلنتْ ضم البوسنة والهرسك، وعدم ردِّ الدولة العثمانية عسكرياً على ذلك الضَّم، رأت فئةٌ من الناس أن المقاطعة الاقتصادية هي رد فعل اقتصادي قوي على النمسا، كان للحَّمالين والسَّماسرة ورجالُ المراكبِ دورٌ اكثر فعاليةً في المقاطعة، إذ بدأتِ المقاطعة بمظاهرات احتجاجية في المقام الأوّل، وفي وقتٍ لاحق ظهر ردّ فعل قويّ حيث قرَّ التجارُ مقاطعة البضائع النمساوية وعدم شرائها، كان معظمُ التجار من المنتمين لجمعية الاتحاد والترقي، قدَّمتِ الحكومة النمساوية - المجرية طلباً إلى الحكومة العثمانية بتحميل وتفريغ جميع البضائع بغض النظر عن جنسية السفن التي تحمل البضائع، وفي ١٦ تشرين الثاني هددَّتْ النمسا الدولة العثمانية بقطع المفاوضات بشأن البوسنة والهرسك إذا لم تنتهِ المقاطعةُ، بعدها وافق الصدر الأعظم كامل باشا على إنهاء المقاطعة، لكن الحمَّالون تجاهلَوا أوامرَ الصدر الأعظم كامل باشا بشأن تفريغ السفن النمساوية الراسية في الموانئ خلال حركة المقاطعة، على اثر ذلك غادرت السفن النمساوية من موانئ اسطنبول، رأت حكومة كامل باشا انه لا بد من التخفيف من حدة المقاطعة، فشكلت " لجنة المقاطعة" وتَّألفتْ اللجنة من رئاسة وزير الداخلية حسين حلمي باشا وامينُ الرسومات رائف باشا ووزير التربية والتعليم حقي بك) ٢).

(1) Suat Zeyrek “,Hasan Hakan Ulutin ,31 Mart İsyanı Üzerine Bazı Düşünceler (13 Nisan 1909) ” ,Sosyal Araştırmalar ve Davranış Bilimleri Dergisi, , Cilt 5, Sayı: 8,2019,Ss.576-577.

(2) Özlem Yildiz,ii. Meşrutiyet’ten i.Dünya Savaşi’na Osmanli Devleti’nde Deniz Ticareti (1908 1914) ,Doktora Tezi,T.c. Dokuz Eylül Üniversitesi Atatürk Ilkeleri Ve Inkilâp Tarihi Enstitüsü ,2012,Ss.200-202.

عقدتْ مفاوضاتٌ لإنهاء المقاطعة، لكن رؤساء المقاطعة ابلغوا وزير الداخلية أن " المقاطعة ستستمر ما لم تتم إعادة البوسنة والهرسك للدولة العثمانية، وفي ٤ كانون الأول نظَّم عمالُ الرصيف مظاهرةً كبيرةً في اسطنبول دعَمَهم عمّالُ النقابة الحَّمالين الذين واصلوا المقاطعة وتمَّ زيارةُ لجنةِ الاتحاد والترقي وصرَّحُوا بأنهم سيواصلون المقاطعة بكل قوتهم، بينما كانت الحرب الباردة مستمرةً بين الحكومة وعمَّال الموانئ، أعلن وزيرُ الداخلية حسين حلمي باشا في ٥ كانون الاول أنه سيحضر حَّمالين من ألمانيا وإيطاليا ودول أوروبية أخرى ليحلوا محل الحمالين العثمانيين، وجاء ذلك القرار ردَّاً على إعلان الحمالين أنهم غير ملتزمين بأوامر الصدر الأعظم، وأصبحتِ الحكومة وعمالُ الرصيف وجهاً لوجه، وصرَّحت جمعيتا اسطنبول وسالونيك أن المقاطعة ستستمر ومكّن ذلك القرارُ من استمرار المقاطعة في أزمير[١]، انتهت المقاطعة في عهد حكومة حسين حلمي باشا التي حلّتْ محل حكومة كامل باشا [٢] .

(1) Yildiz, A.G.E ,Ss.200-203.

(٢) صرح الوزير الأعظم الجديد حسين حلمي باشا، الذي حل محل كامل باشا، في رسالته إلى أن استمرار المقاطعة =

٢-رأي الوزير حسين حلمي باشا لحل مشاكل الكنيسة في روم ايلي:

على الرَّغم من إعلان الدستور، فان الخلافات بين المجتمعين اليوناني والبلغاري في روم ايلي لم ينتهِ الامر الذي دفع الحكومة العثمانية الى اتخاذ تدابير بشأن ذلك الصراع اللامتناهي بين المجتمعات المسيحية، وجرى طرح قضايا الاضطرابات وأنشطة اللجان اليونانية والبلغارية التي كانت تقوم ولايات روم ايلي في جدول نقاشات مجلس المبعوثان، طرح فكرة استدعاء وزير الداخلية حسين حلمي باشا للحضور الى مجلس المبعوثان، لطرح

= لن يفيد الحكومة، وتم تحقيق رغبات الحمالين تدريجياً، مع ذلك كانت هناك مجموعة غير راضية عن الوضع، و أراد الدلالين أجوراً أعلى حتى أنهم كانوا يهدفون إلى العودة إلى وضع الاحتكار السابق عن طريق إزالة المراكب والدلالين الأجانب من الأرصفة، نظرًا لأن شركة ليويد (Lioyd) النمساوية كان لديها ١٨ مخزنا، فقد جلبوا بضائعهم إلى الشاطئ ووضعوها على هذه المخازن، وعانت شركة ليويد بالفعل من خسارة كبيرة بسبب المقاطعة التي استمرت لمدة ٥ أشهر ولم يعد لديه القوة للتعامل معها، فقد قبل طلبات الدلالين وقرر استخدام المخازن العثمانية بدل مخازنهم الخاصة وعلى اثر ذلك أنهوا المقاطعة على المراكب.

A.G.G.Ss203-205.

الحلول لتلك القضية لأن ذلك من صلاحيات وزارة الداخلية، وكان مفتشاً في روم ايلي بالوكالة وكان يعرف جذور المشكلة وما الحل لها، فحضر إلى مجلس المبعوثان لأبداء رأيه وبين ان اصل المشكلة هو إجبار اتباع الكنيسة الارثوذكس اليونانيين لاعتناق واتباع الكنيسة الارثوذكسية البلغارية (١)، ورأى انَّ حل تلك المشكلة هو السماح لكل مذهب ببناء كنيسته الخاصة في المدن والقرى واستند في وجهة النظر تلك على تجاربه السابقة عندما كان مفتشا في ولايات روم ايلي (٢)، ورأى انه من الضروري إرسال الضباط إلى الولايات التي تحدث فيها مشكلات للتحقيق مع الأشخاص المسببين لتلك المشاكل ومعاقبتهم(٣).

ثانياً: تولي حسين حلمي باشا منصب الصدر الاعظم (١٤ شباط ١٩٠٩ – ١٣ نيسان ١٩٠٩م):

بعد الانقلاب الذي قادة اعضاء جمعية الاتحاد والترقي اخذوا يتدخلون في شؤون الحكومة، على الرغم انها لم تكن لها أيّ مسؤولية حكومية، إلا أن كامل باشا انزعَج من، كثرة طلبات جمعية الاتحاد والترقي في تعيين أعضاء الحكومة وموظفي الخدمة المدنية، وعلى اثر ذلك بدأتِ المشاكلُ بين كامل باشا وجمعيةُ الاتحاد والترقي، حاولَ كامل باشا إنقاذَ نفسه من تأثير الجمعية، وفي ٨ شباط ١٩٠٩م أراد ابعاد كتائب الصيادين التي كانت الداعم الرئيسي للجمعية الى يونيا للقضاء على التمردات هناك (٤)، وظهرتْ هناك شكوكٌ عند بعض الناس وكُشِفَ عن فكرة أن الصدر الأعظم أرادَ تدمير كتائب الصيادين، والتي كانتْ تتلقى دعماً من الجمعية، وأراد أيضاً الغاء النظام الدستوري، وتعززّتْ تلك الشكوك في ١٠ شباط ١٩٠٩م بعدما أراد الصدر الأعظم تغيير وزيري

(1) Serhan Kemal Saygi,Meclis-I Mebusan'da Izmir Mebuslari 1908-1918,Doktora Tezi , Ege Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü, 2014,Ss. 92-93.

(2) Zeren, Op.Cit,P.46-54.

(3) Saygi.A.G.E,Ss. 92-95.

(4) Siddik Yildiz,Çikişindan Bastirilmasina Kadar 31 Mart Isyani,Master Tezi,Gazi Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü, 2006, Ss.27-30

الحرب والبحرية، وهو ما أزعج جمعيةَ الاتحاد والترقي وازْدادتِ الفجوةُ بينه وبين الجمعية ورفع من حدة التوتر بين الطرفين (١).

عزَّزَ استبدالَ وزير الحرب ووزير البحرية برجال موالين لكامل باشا من قوته، وكانتْ تلك الخطوة تكراراً لنفس السيناريو الفاشل الذي حاول السلطانُ عبد الحميد وسعيد باشا قبل ستة أشهر لكبح سلطة الجمعية والسيطرة على المشهد السياسي مرة أخرى (٢)، نجحتْ جمعية الاتحاد والترقي في التغلب على تصرفات الصدر الاعظم كامل باشا اذ استقال ثلاثة وزراء من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي احتجاجاً على سلوك الصدر الاعظم التعسفي، وفي يوم السبت الموافق ١٣ شباط ١٩٠٩م، استَدْعَى مجلسُ المبعوثان كامل باشا لشرح التغييرات الوزارية، وأرسل كاملُ مذكرةً يطلب فيها تأجيل الاستجواب حتى ١٧ شباط ١٩٠٩م، مُعْلناً أن التغييرات مرتبطةٌ بالقضايا السياسة الخارجية ورفض نوّابُ الجمعيةِ جوابَ كامل مُعْتبِرين أنّها مناورةٌ من كامل بهدف كسْب الوقت من أجل تهيئة الرأي العام وتعزيز موقفه، وتم إرسال دعوة ثانية ورفضت ايضاً، على اثر ذلك قدم طلب إلى مجلس المبعوثان لسحب الثقة عن كامل باشا وقد تم التصويت بحجب الثقة عن كامل باشا، بأغلبية ١٩٨ صوتاً مقابل ٨ اصوات (٣)، للحفاظ على الدولة والقانون الأساسي أعْفى السلطان عبد الحميد الثاني الصدر الاعظم كامل باشا من منصبه وكلَّف حسين حلمي باشا بتشكيل الحكومة في ١٤ شباط ١٩٠٩م (٤)، شكَّل حسين حلمي باشا وزارته الجديدة وأوضح باجتماع الذي عقده مع الوزراء الجدد ان هناك واجبات عدة تنتظرنا منها حماية النظام والأمن والحرص على تقدم البلاد والعمل من أجل إسعاد جميع رعاياها (٥).

كان البرنامج يتضمن القضايا المتعلقة بالسياسة الداخلية والخارجية، ووعدتْ باستمرار المفاوضات، التي كانت قد بدأت في الماضي لتسوية النزاعات القائمة مع النمسا وبلغاريا، وبعد

(1) Yildiz.A.G.E,Ss.30-33.

(2) Şeyhun, Op.Cit.P 105.

(3) Feroz Ahmad, Essays on the Late Ottoman Empire and Modenn Turkey ,Istanbul BIlgI University Press, (Istanbul, 2008),P.9.

(4) BOA.i.DUiT.190/63.

(5) BOA.i.DUiT.7/109.

(5) BOA.i.DUiT.7/109.

إقرار البرنامج الحكومي وجّهتِ الحكومة رسالةً إلى جميع السفارات الأجنبية، وأعلنتْ أنّ السياسة الخارجية للحكومة لم تتغيرْ، وصرَّح الصدر الأعظم حسين حلمي باشا في بيان يوم ١٤ شباط، أن السياسية الحكومية باتجاه بريطانيا ستكون هي نفسها التي انتهجها كامل باشا، وقال للسفير الألماني مارشال ان العلاقة بين السفير البريطاني لوثر وكامل باشا كانت قوية جداً وكان الاخير لا يتخذ قرار دون اذن من لوثر وأعطى الاثنان انطباعاً بأنهما كان يديران الدولة معاً(١) .

لم تتخلَّ جمعيةُ الاتحاد والترقي عن موقفهم الموالي لبريطانيا ووعدوا بحجب دعمهم عن أية وزارة ما لم تتّبعْ سياسةَ الصداقة الخاصة مع بريطانيا، فحسين حلمي باشا الذي خلف كامل باشا في منصب الصدر الأعظم ذهب إلى السفير البريطاني شخصياً وأكَّد للسفير أن سياسته تجاه بريطانيا ستكون على نفس سياسة أسلافه، وأنه سيواصل الاعتماد على دعم ومشورتها بريطانيا(٢).

حادثــة ٣١ آذار ١٩٠٩م وســقوط حكومــة حسين حلمي باشا:-

على الرغم من أن جمعية الاتحاد والترقي وحكومة حسين حلمي باشا كانتا قويتين للغاية في البلاد، لكن كان عليها أن تتعامل بشكل متزايد مع نوعين من المعارضة أحدهما معارضة حزب الأحرار(٣)، الذي فَشِلَ في الانتخابات التي جَرتْ في عهد حكومة كامل باشا، أما النوع الثاني من المعارضة الذي واجهْتها الجمعية فكان في الأساس من الأوساط الدينية المحافظة (العلماء وشيوخ

(1) Öner Buçukcu,ii. Meşrutiyet Dönemi Osmanli Hükümetleri Ve Osmanli Diş Politikasi (1908-1913) ,Yüksek Lisans Tezi,Ankara Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü Tarih Bölümü,2012 ,Pp ,147-179.

(2) Marian Kent ,The Great Powers And The End Of The Ottoman Empire ,Taylor & Francis E-Library,) London 2005),P12.

(٤) حزب الأحرار العثماني: الحزب الذي شكله الامير صباح الدين ابن اخت السلطان عبد الحميد الثاني في ١٤ أيلول عام ١٩٠٨م، أي بعد شهرين من إعلان الدستور، وكان الحزب مناوئ لجمعية الاتحاد والترقي وقف إلى جانبه حوالي خمسين نائبا بينهم نواب عرب والبان واليونان والأرمن والبلغار وغيرهم، ينظر: مذكرات الدكتور احمد رضا، اتاتورك ورفاقه ونهاية العثمانيين تقديم: احمد عبد الوهاب الشرقاوي، دار البشير للثقافة والعلوم، (القاهرة، ٢٠٢٠م) ص ١٠٣.

الطوائف)، ولم يتورَّع السلطان عبد الحميد الثاني عن التدخل بعد أن رأى فشل الحكومة في مواجهة الاطماع النمساوية واليونانية وعدم فاعلية مجلس المبعوثان في تسهيل التشريع، ومن المرجح أن أنصار الإسلام السياسي قد حصلوا على دعم السلطان وبدأوا في التحريض رداً على نصوص العلمانية في الدستور، وبدأ مؤيدي السلطان عبد الحميد الثاني حملاتٍ علنيةٍ ضد الدستور وظهور النساء بلا حجاب في الشوارع والمساواة الممنوحة لغير المسلمين، زاعمين أن انهيار الدولة كان بسبب خروج الدستور عن المبادئ الإسلامية الأساسية وأن الإسلام وحدَه هو القادرُ على تلبية متطَّلبات العصر الحديث [١].

اندلعت تمردات في نجد واليمن والحجاز، وإيبك ويونيه - التابعة لولاية روم ايلي-، وانتشرتْ شائعاتٌ بين الجنود في اسطنبول بأن الحكومة والضباط كفارٌ، وأنّهم سيلغون الشريعةَ، وبدأ الوضع في اسطنبول على شفى انفجار، وفي تلك الاوضاع المتوترة قُتِلَ رئيس تحرير صحيفة سربستي (Serbesti) حسن فهمي (Hasan Fehmi) ليلة ٦-٧ نيسان ١٩٠٩م وكانتْ تلك الصحيفة إحدى الصحف التي هاجمتْ جمعيةَ الاتحاد والترقي في أكثر الأحيان [٢]، حيث ذَكَرتْ احدى التقارير التي رفعتْها مديرية الامن ان حسن فهمي اغتيالَ عندما كان يمرُّ على جسر غلطة [٣]، وكان حسن فهمي ينتقد بشدة حكومة حسين حلمي وجمعية الاتحاد والترقي، لذلك السبب أحدثتْ وفاتُه تداعياتٍ كبيرة في الصحف المعارضة، ذلك التطور استخدمتْه الصحافةُ الإسلامية كسلاح ضد جمعية الاتحاد والترقي حيث اتّهموا الجمعية باغتيال حسن فهمي وزعموا أنّه ارتكب جريمةَ القتل تلك من أجل استعادة النفوذ المفقود للاتحاد والترقي وترهيب المعارضين، الا ان الجمعية نفت ارتباطها بالحادثة [٤].

وفي اليوم التالي لجريمة القتلِ طالبَ عددٌ من نواب مجلس المبعوثان بالعثور على قتلة الصحفي

---

(1) Mevhibe Savaş,Ikinci Meşrutiyet Döneminde Ittihat Ve Terâkki Ve Basin, Yayinevi Olmayan, (Ankara ,1998) ,S.14.

(2) Savaş, A.G.E,S.15.

(3) BOA.DH.EUM.AYŞ.19.4.12.

(4) Hülya Küçük Sevil,Ittihat Ve Terakki Döneminde Islamcilik Hareketi (1908-1914), Doktora Tezi, Ankara Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü,2005,Ss.17-18.

حسن فهمي، وسبّبَ عدم القبض على المجرم مشكلةً كبيرةً لحكومة حسين حلمي باشا واتّخذتِ المعارضة تلك الحادثة كورقةٍ رابحةٍ لاستغلال ذلك بالمظاهرات، وتحوّلتْ مراسيمُ الجنازة إلى إجراء ضد جمعية الاتحاد والترقي، ولوحظ أن حكومة حسين حلمي لم ترسلْ حتى ممثلاً لحضور مراسيم الجنازة [١].

نُظِّمتْ احتجاجاتٌ طلابيةٌ، خاصة في كلية الطب وكليات اخرى وتحوّلتْ مراسيمُ الجنازة إلى مسيرة، وحضَرَ الجنازةَ آلافُ الأشخاص معظمهم من نواب حزب الأحرار وطلاب المدارس الدينية والألبان، وكانت تلك التظاهرات الشرارة الاولى التي سجلها التاريخ على أنها حادثة ٣١ آذار ونُظِّمتْ مظاهرات مؤيدة للشريعة في أجزاء مختلفة من اسطنبول والأناضول بقيادة علماء الدين وأنصار النظام القديم المتنكرين بزي علماء الدين [٢]، طالب المتظاهرون بإغلاق الحانات والمسارح ومنع التصوير وتقييد تجوال النساء في الشوارع [٣].

انتفَضَ طلاب المعاهد الدينية وخرجوا بمظاهرات هم يهتفون "أُرتَدُّون عن دين الإسلام؟ أتَرْتَدُّون القبعاتِ وتصبحون كفاراً؟ نريد تحكيمَ الشريعة، نريد تحكيم الشريعة!!! "، بعد أن انضم هؤلاء المشايخ، أصبح المشهد خليطاً عظيماً من العسكريين والمدنيين والمشايخ، وساروا نحو ساحة أيـا صوفيا ثم حاصروا مبنى مجلس المبعوثان وسط صيحات المطالبين بالشريعة وأصوات الأذان من فوق العربات التي تجرَّها الخيول دون أن يدري أحدٌ أية شريعة يطالبون به [٤]، حَمِلَ الانقلابُ وبوضوح طابع الانقلاَب العسكري والديني المضاد على حد سواء، وجرى تشجيع تلك الحركة من قبل

---

[١] Nur Gervan,ii. Meşrutiyet Dönemi'nde Mizan Gazetesi,Yüksek Lisans Tezi,Yildiz Teknik Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü,2009,Ss.51-52.

[٢] Hamza Dülger,1912 Seçimleri'nden Bab-I Âli Baskini'na Osmanli Devleti'nde Iktidar Mücadelesi (1912-1913) ,Yüksek Lisans =

= Tezi,Istanbul Üniversitesi Atatürk Ilkeleri Ve Inkilap Tarihi Enstitüsü,2019,S.4.

[3] Erik Jan Zürcher, Savaş Devrim Ve Uluslaşma Türkiye Tarihinde Geçiş Dönemi: 1908-1928 ,Istanbul Bilgi Üniversitesi Yayinlari,(Istanbul,2005),S.114.

[٤] مصطفى طوران، اسرار الانقلاب العثماني، ترجمة: كمال خواجة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ١٩٨٥م)، ص ص ٧٨-٨١.

ضباط الصف الذين كانوا يعتقدون أن قرار إبعادهم من الجيش جاء بأمر من النظام الجديد وكانوا ينتظرون اللحظة المناسب للدفاع عن أنفسهم، وكان الجنود مستائين أساساً من المناورات التي فُرِضَتْ عليهم وأطالتْ مدة خدمتهم العسكرية، وكان الجنود وعامةُ الشعب من المتديّنين المسلمين مصدومين من تصرفات الضباط المتخرجين اذ كان معظمهم من مؤيدي جمعية الاتحاد والترقي، ومن المتأثرين بالثقافة الأوروبية وكانوا لا يكادون يبالون بالمشاعر الدينية لجنودهم، لذا اتّسعت الفجوةُ وازدادتْ عمقاً أكثر فأكثر بين الضباط وجنودهم الذين رأوا أخيرا في كل ما كان يقوله أو يفعله قادتهم، إهانةَ للدين وتعديا على معتقداتهم، من هنا جاء غضبهم وسخطهم (١) .

كانتْ هناك اسباب دفعتِ الجنودَ المشاركة اذ كان هناك ضباط حصلوا على مركز متميز بفضل جمعية الاتحاد والترقي اخذوا يشجعون الجنود على عقائد جديدة مثل الوطن والأمة، وليس باسم الدين والسلطان، ويُذْكر أنّ ضباط المدرسة منعوا الجنودَ من الصلاة (٢)، لتلك الاسباب وغيرها انتقض الجنود على ضباطهم فقتلوا منهم ٣٠٠ ضابط وفرّ عددٌ كبير من الضباط من اسطنبول، على الرغم من أن الصدر الأعظم حسين حلمي باشا كان يبلغ القصر بشكل متكرر بالأحداث، لكن كانتْ هناك صعوبات في السيطرة على الأحداث، وكان شيخ الإسلام (٣) مكَّلفٌ بنصح

(١) اوديل مورو، الدولة العثمانية في عهد الإصلاحات رجال النظام الجديد العسكري وأفكاره ١٨٢٨-١٩١٤م، ترجمة: كارمن جابر، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، (بيروت، ٢٠١٨م)، ص ص ٢٧٦-٢٧٧.

(2) Nurten Kaan,Ii.Meşrutiyet Dönemi: Volkan Gazetesi'nde Meşrutiyet Düşüncesi (1908-1909) ,Yüksek Lisans Tezi,Kirklareli Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü ,2019,S.33.

(٣) شيخ الإسلام: المتبع لكتّاب الله عز وجل والمتفقه بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، الذي تقدم بمعرفة أحكام القرآن ووجوه قراءاته وأسباب نزوله وناسخه ومنسوخه، اختلفت المصادر التاريخية على تحديد السنة التي تأسست فيها المشيخة واختلفت كذلك على أول شيخ للإسلام في الدولة العثمانية، ولكن الكثير من الآراء التاريخية انفقت على أن مشيخة الإسلام العثمانية قد تأسست في عهد السلطان مراد الثاني وأن شمس الدين أفندي هو أول من حمل رسميا لقب المفتي الأكبر وشيخ الإسلام، في عام ١٤٢٥م قبل فتح إستانبول، وكان السلاطين يستشيرون الشيوخ عندما كانوا يريدون تعيين وزير جديد، كان السلطان لا يقدم على اتخاذ قرار بشن حرب على دولة أخرى، إلا بعد استشارة شيخ الإسلام وكان شيخ =

المتمردين [١]، هاجم المتمردين مجلس المبعوثان ليقتلوا أعضاءه المنتمين لجمعية الاتحاد والترقي لكن حضور النواب كان قليلاً ولم يتجاوز٣٠- ٤٠ نائباً وكان من بينهم مبعوث اللاذقية الأمير محمد أرسلان [٢]، فأتفق النواب على إرسال وفد الى قصر يلدز لمقابلة السلطان عبد الحميد الثاني ليبذل جهوده ونفوذه لأجل تهدئه التمرد، وخرج الوفد

=

الإسلام يعين في المنصب لمدة غير محدودة، اورهان صادق جانبولات، مؤسسة شيخ الإسلام في الدولة العثمانية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، (الاردن، ٢٠١٤م)، ص ص ٥٦١-٥٦٤.

(1) Gervan, A.G.E.Ss.52-53.

(٢) الأمير محمد ارسلان: احد اعيان الدروز قد انتخب عضوا في مجلس المبعوثان ممثلا لمنطقة اللاذقية، وبرز الامير محمد كأحدي الشخصيات اللامعة بين اعضائه فأسندت اليه رئاسة اللجنة الخارجية في استنبول ولكنه لم يبق لمدة طويلة في ذلك المنصب اذ قتل على باب المجلس العثماني خلال الحوادث التي قام بها معارضو الدستور العثماني في شهر آذار ١٩٠٩م، ينظر: عباس أبو صالح، سامي مكارم، تاريخ الموحدين الدروز السياسي في المشرق العربي، ط٢، منشورات المجلس الدرزي للبحوث والانماء، (بيروت،١٩٨١م)، ص ٢٧٧.

وركبوا العربات وعندما علم المتمردين بذلك الأمر أطلقوا النيران عليهم فقتل محمد أرسلان [٣] .

بينما كان كل ذلك يحدث أمام وزارة الحرب، لم يعرفْ قائدُ جيش الاحساء محمود مختار باشا و معه رئيس اركان حرب عزت باشا ما يجب فعله خاصه انهما كانا ينتظران اوامر من الصدر الاعظم حسين حلمي باشا لأجل استخدام القوة لتفريق المتظاهرين لكن الصدر الاعظم لم يَمنحْ الحقّ في استخدام الأسلحة، وأوضحَ أنه في بداية التمرد لم يكن ينوي قمعها بالقوة، مشيراً إلى أنه من " الصعب وغير المشروع الذهاب إلى أي طريق آخر غير استعادة النظام بالطرق السلمية " [٤] .

بعد وصول الأحداث إلى مرحلة خطيرة ناهيك عن حوادث القتل، توجه حسين حلمي باشا إلى الباب العالي وعقد اجتماع مع الوزراء وبدأت المفاوضاتَ، حيث نقل الجنود المتمردون

(٣) شكيب حمود حسن ارسلان، تاريخ بن خلدون، كلمات عربية للطباعة والنشر، (القاهرة، د ت)، ص ص ٣٢٨-٣٢٩.

(4) Siddik Yildiz , Çikişindan Bastirilmasina Kadar 31 Mart Isyani ,Master Tezi, Gazi Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü,2006,Ss.102-103.

المجتمعون في ساحة آيا صوفيا المطالبَ التالية إلى شيخ الإسلام [١]، حيث طالبوا باستقالة الصدر الأعظم حسين حلمي باشا من منصبه [٢]، ونفي كلٍ من أحمد رضا وحسين جاهد وطلعت بك، وبهاء الدين شاكر بك مالك جريدة شوراي أميت (Şuray-ı Ümmet) خارج البلاد، والتطبيق الكامل لأحكام الشريعة الاسلامية، عزل واستبدال الضباط المدرسة العسكرية واعادة الضباط الذين تم استبعادهم، وان تضمن الحكومة العثمانية عدم تعرِض للذين شاركوا في التمرد لأي عقوبة [٣].

قرّر مجلس الوزراء برئاسة حسين حلمي باشا النظرَ في مطالب المتظاهرين، حيث وعدت بالعمل بأحكام الشريعة، وعدت عدم معاقبة الجنود الذين شاركوا في تلك الاحداث، أما مطالبهم بإقالة وزير الحرب رضا باشا ورئيس مجلس النواب أحمد رضا بك والضباط لم يتم تنفيذها، بعد سماع المتظاهرين عدم تلبية مطالبهم بالكامل زاد غضبهم ورأى شيخ الإسلام عارف أفندي أنه لا توجد إمكانية للخروج من تلك الأزمة الا باستقالة الصدر الأعظم حسين حلمي باشا ووزير الحرب عزت باشا ورئيس البرلمان احمد رضا وقائد جيش الأحساء محمود مختار باشا، عند زادت المظاهرات اقترحَ كلاً من عزت باشا واحمد رضا بك على استخدام السلاح ضد المتظاهرين، مشيراً إلى أن حركة المتظاهرين تلك كانتْ "**تمرد على الدستور والقانون**"، لكن ذلك الاقتراح قوبل بالرفض من قبل الصدر الأعظم حسين حلمي باشا وأعضاء الحكومة الآخرين، وعبّر عبد الرحمن شريف أفندي وزير التربية والتعليم في الحكومة، عن سبب عدم رغبة الحكومة في استخدام القوة العسكرية على النحو التالي: " لأن عدد المتظاهرين والجنود المتمردين المتجمعين في ساحة بايزيد وأمام البرلمان بلغ الآلاف، وبمجرد استخدام السلاح ستراق الكثير من الدماء، ويموت الكثير من الأبرياء"[٤].

قرّرتِ الحكومة الاستقالة بقرار مفاجئ وتم إخبار قصر يلدز بذلك عبر التلغراف، وتوجّه الصدر الأعظم حسين حلمي باشا ومعه بعض الوزراء إلى القصر وأبلغوا السلطان عبد الحميد الثاني

---

(1) A.G.S s.124-125.

(2) BOA.ZB.67.16.1.

(3) Sevil, A.G.E.S.12.

(4) Yildiz, A.G.E.Ss.126-128.

باستقالة الحكومة [١]، وذَكَرتْ عائشة بنت السلطان عبد الحميد الثاني في مذكراتها أنّ أباها هو الآخر كان في حالة غير مستقرة، وكان يتحدث مع رئيس الكُتّاب ومع رضا بك أحد موظفي القصر، ويحاول فهم ما يجري، ولما دخل دائرة الحريم ورآنا قال: ولقد حدث ما كنت أخشاه، وفي اليوم التالي جاء خبر استقالة الصدر الأعظم حسين حلمي باشا مما جعل والدي يضيق نفساً لذلك الحدث أيضاً، وكانوا يقولون في السراي عن هذا الرجل: "**إنه انتهازي، لا يَثْبتُ على مبدأ**"، ومع ذلك فلم تَرُقْ لأحد استقالةُ حسين حلمي باشا في مثل تلك الظروف وشعر كل إنسان بالقلق تجاه ماذا حدث وماذا سيحدث؟ [٢] .

عند استقالة حسين حلمي باشا في ١٣ نيسان ١٩٠٩م وقع اختيار السلطان على احمد توفيق باشا لتشكيل الوزارة الجديدة وذَكَرَ الكاتبُ الروائي الشهير خالد ضياء في كتابه القصر وما بعده " أن توفيق باشا لم يكن على صلة جمعية الاتحاد والترقي مثل حسين حلمي باشا ولا معارضاً واضحاً للجمعية الاتحاد والترقي مثل كامل باشا، وحده كان يمكن أن يكون الصدر الأعظم الأنسب في ذلك الوقت"[٣] .

وشكل توفيق باشا وزارته في ٢٩ نيسان ١٩٠٩م واختار حسين حلمي باشا ليكون وزيراً للداخلية [٤]، لكن حسين حلمي باشا رفض ذلك [٥]، وقد برَّر حسين حلمي باشا رفضَه لتولي الوزارة قائلاً " ان هذا الامر يعني المخاطرة بحياته"، ويبدو أن ذلك القلق كان مبرر له في واقع الأمر، اذ تجمَّع الجنودُ أمامَ القصر وأرادوا قتله، لكن توفيق باشا بذل جهوداً كبيرة لثني هؤلاء الجنود عن مطالبهم [٦] .

تَسّببتْ تداعيات التمرد ٣١ اذار١٩٠٩م في ردّ فعل عنيف في سالونيك، و من اليوم التالي بدأتْ فكرة تجميع الجنود والسير إلى اسطنبول مع الخوف من فقدان الدستورية، وتم تنظيم مسيرة

(1) A.E.Ss.128-129.

(٢) عائشة عثمان اوغلى، والدي السلطان عبد الحميد الثاني، ترجمة: صالح سَعْدَاوِي صالح، دار البشير للنشر والتوزيع، (عمان، ١٩٩١م)، ص ٢٣١.

(3) Nurten Çetġn,Son Sadrazam Ahmet Tevfik Paşa,Doktora Tez,Selçuk Üngversġtesġ Sosyal Bġlġmler Enstġtüsü,2011,Ss.113-117

(4) BOA.i.DUiT.8/4.

(5) BOA.i.DUiT.8/5.

(6) Çetġn, A.G.E.S s.114-117.

كبيرة لهذا الغرض في وقت لاحق، وبدأ تسجيل المتطوعين للانضمام إلى ما سمي جيش العمل، واسند قيادة ذلك الجيش الى فريق اول محمود شوكت باشا واتجه نحو اسطنبول، وانتشرت شائعات أن محمود شوكت باشا يريد السيطرة على اسطنبول وخلع السلطان عبد الحميد الثاني، الا انه سارع بإرسال برقية إلى الصدر الأعظم، ونفى تلك الشائعات وأعلن أن اسطنبول لن يتم احتلالها، وكان الغرض من ذلك هو تقليل إمكانية إصدار أمر من السلطان لمقاومة جيش العمل [1]، بعد دخول جيش العمل اسطنبولَ في ٢٣ نيسان ١٩٠٩م وقْمع التمرد، بعد ذلك بيوم واحد يوم السبت ٢٤ نيسان، تم القاء القبض على المتمردين ومحاكمتهم في محكمة الحرب الأُوْلى بعد أن كَّفل جيش العمل أمن إسطنبول، انعقد المجلس العثماني في ٢٧ نيسان ١٩٠٩م واعلنوا خلع السلطان عبد الحميد الثاني وقرروا استبداله بأخيه محمد رشاد بعد أن تم إخطار السلطان عبد الحميد بقرار الخلع [2] .

ثالثاً: تولي حسين حلمي باشا وزارة العدل (٢٢ تموز ١٩١٢-٢٠ اب ١٩١٢م):

بعد حل حكومة حقي باشا قرر السلطان محمد رشاد منح ختم الصدارة العظمى لأحد رجال الدولة الأكثر خبرة إلا وهو سعيد باشا ٣١ كانون الاول١٩١١م، لكن استمرار الحرب الإيطالية - العثمانية في طرابلس الغرب، وضغط الذي مارسه قائد الجيش محمود شوكت باشا لتمرير قانون يمنع تدخل الجيش بالسياسة ويمنع تدخل السياسة بالجيش، وإرسال الجنود رسائل تهديد للحكومة والبرلمان، كل تلك العوامل وغيرها دفعت الصدر الأعظم إلى تقديم استقالته للسلطان محمد رشاد في ١٦ تموز ١٩١٢م [3] .

---

[1] Özer Özbozdağli,Ittihat Ve Teraki'nin Balkan Siyaseti (1908-1914) ,Yüksek Lisans Tezi ,Mustafa Kemal Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü,2005,Ss.113-114.

[2] يوسف بك صَاف، تاريخ سلاطين بن عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، مكتبة مدبولي (القاهرة،١٩٩٥م)، ص ص ١٣٨-١٣٩.

[3] Erkan Tural,ii. Meşrutiyet Döneminde Devletin Restorasyonu Bağlaminda 1909 Teşkilat

=

طرح أسماء عدة ليحل محل سعيد باشا وكان من بينهم حسين حلمي باشا، ولكن اختيار السلطان محمد رشاد وقع على غازي أحمد مختار باشا لتشكيل الحكومة، فشكل الحكومة في ٢٢ تموز ١٩١٢م واختار حسين حلمي ليكون وزيرا للعدل(١)، وكان مجلس الوزراء يتألف من أفراد ذوي خبرة في إدارة الدولة، وكانوا معظم أعضائه مصممون على تدمير جمعية الاتحاد والترقي نتيجة لذلك اضطرت جمعية الاتحاد والترقي إلى الانسحاب رسمياً من السلطة، حيث سيطر مجموعة ضباط هالاسكارHalaskar Zabıtan Grubu حزب الحرية والائتلاف (٢)، على السلطة وطالبوا بحل مجلس المبعوثان (٣)، ومن المثير للاهتمام أن الحكومة أرادتْ تغيير المادتين (٧-٣٥) من القانون الاساسي، كان المادة (٣٥) تنص ان للسلطان الحق غير المشروط في تجديد الانتخابات وحل المجلس، اما للمادة (٧) وسيظل حق انهاء وتأجيل عمل مجلس المبعوثان ملكا للسلطان، وقدم ذلك الاقتراح لمجلس المبعوثان وفي آب ١٩١٢م عقدت جلسة للتصويت عليها لكن، وحدثت نقاشات في الجلسة، واوضح عضو مجلس المبعوثان إسماعيل حقي بابان أن الاقتراح ضد القانون الأساسي وذلك يعني انقلاباً على النظام الدستورية، وأعرب وزير العدل حسين حلمي

=

Ve Tensikat Kanunu,Doktora Tezi,Dokuz Eylül Üniversitesi Atatürk Ilkeleri Ve Inkilap Tarihi Enstitüsü,2006,Ss.166-175.

(1) BOA.i.DUiT.8.59.

(٢) مجموعة ضباط هالاسكار: منظمة مسلحة لدعم حزب الحرية والوفاق، نظمت في ١٩١٢م وكانت المنظمة المناهضة للاتحاد والترقي منخرطة في العديد من الحركات منذ تأسيسها على يد الرائد في اركان الحرب جاليبولو كمال Gelibolulu Kemal و قسطموني حلمي Kastamonu Hilmi، مناسترلي رجب Manastırlı Recep، والرائد البحري إبراهيم أكشي وكان هدف المجموعة هو إبعاد =

=

الجيش عن السياسة، والعمل من أجل الإطاحة بحكومة الاتحاد والترقي.

Ali Erdemiry, Halaskar Zabitan Modern Dönemin Ilk Darbesi,7 Temmuz 2022, Https//Www.Derliyo.Com.

تم زيارة الموقع في ١٧ شباط ٢٠٢٣م.

(3) Murat Başhan,"Ittihat-Terakki Cemiyeti'nin Irak Coğrafyasi'ndaki Faaliyetleri (1908-1918) " ,Yüksek Lisans Tezi,Kirikkale Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü , 2018,S 52.

باشا، الذي تحدث أثناء النقاشات، على أن الاقتراح المذكور لم يُطرح من أجل حل البرلمان، وزعم حسين حلمي باشا أن العرض كان ضروريا لـ " **تقدم الوطن وسعادته**"، وأنه لم يتم استخدام أي تهديد أو قوة، بذلك تم تعديل المادة (٣٥) بأغلبية ٢١٢ صوتا مقابل ٢٨ صوتاً معارضاً بذلك مرر القرار (١)، عليه أعلن تعليق عمل مجلس المبعوثان في ٥ اب (٢) .

تعرض وزير العدل الى انتقادات شديدة من اعضاء جمعية الاتحاد والترقي بسبب حل مجلس المبعوثان (٣)، ناهيك عن استمرار الخلاف القديم الذي كان بين كامل باشا وحسين حلمي باشا، وادّى ذلك الى عدم انسجام بين حكومة أحمد مختار باشا(٤)، كما قام احمد مختار باشا باستبدال رئيس الأمن العام وقائد الجيش الأول وكان هدفه من ذلك هو فرض السيطرة على القوات العسكرية في اسطنبول، وتلك السياسة المتعرجة كانت تهدف تضييق الخناق ضد جمعية الاتحاد والترقي، مما تسببت أزمة في مجلس الوزراء (٥) .

واعلنْت الحكومةُ الأحكامَ العرفية في ٨ آب ١٩١٢م وبدأتْ باتخاذ إجراءاتٍ صارمةٍ ضد جمعية الاتحاد والترقي (٦)، مما دفع حسين حلمي باشا بتقديم استقالته الى الصدر الاعظم فوافق عليها ورفعها الى السلطان محمد رشاد فاصدر ارادة سنية في ٢٥ اب ١٩١٢م اعلن فيها موافقته على قرار الاستقالة (٧)، وقد اصدر دائرة الصدارة العظمى برقية في ٢٧ اب ١٩١٢م عبر فيها الصدر الاعظم عن اسفه الشديد لقيام وزير العدل حسين حلمي باشا بتقديم استقالته (٨) .

(1) Dülger , A.G.E.S s.54-57.

(2) Tural, A.G.E,S.177.

(3) Altinkaya, A.G.E.S.293.

(4) Tuğba Aşan, Hüseyin Hilmi Paşa Siyasi Hayati, Fikirleri Ve Şahsiyeti (1855 1923) ,Doktora Tezi ,Marmara Üniversitesi Türkiyat Araştirmalari Enstitüsütürk Tarihi Ana Bilim Dali,Istanbul,2021 , S 189.

(5) Tural, A.G.E.S.177.

(6) Başhan, A.G.E.S.52.

(7) BOA.i.DUiT.8.67.

(8) BOA.BEO.4105.307825.1.

الاستنتاجات:

- تولى حسين حلمي باشا مناصب كبيرة وعديدة وفي أماكن حسّاسة وخطيرة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني وعْهد السلطان محمد رشاد، إنّ دلّ ذلك على شيء فإنّه يدلّ على مدى الثقة التي نالها ذلك الشخصُ والِحنْكةِ التي كان يتمتع بها في إدارة امور الدولة.

- تواطأ الصدر الاعظم حسين حلمي باشا مع جمعية الاتحاد والترقي لخلع السلطان عبد الحميد الثاني إذ كان على علم بتمرد ٣١ آذار ١٩٠٩ الذي خططت له الجمعية لان كتائب الصيادين التي كانت تعتبر اكثر القوة اخلاصاً للحركة الدستورية هي التي قامت بالتمرد، وكان بإمكانه قمع التمرد خلال فترة قصيرة لكنه رفض اعطاء أوامر للجيش لقمع التمرد بذلك سهل الاطاحة بالسلطان عبد الحميد الثاني.

- ساءتْ علاقةُ حسين حلمي باشا بجمعية الاتحاد والترقي لأنه أخذ يتبع سياسة بعيدة نوعا ما عن سياسة الجمعية حيث وضعهم في موقف محرج عندما منح امتياز لشركة لينج دون الرجوع الى مجلس المبعوثان، وتعرض الى انتقادات شديدة من قبل أعضاء الجمعية بعد أن تم حل مجلس المبعوثان عندما كان وزيراً العدل عام ١٩١٢م، وعلى اثر تلك الانتقادات رأى أنه من الأفضل والابتعاد عن تلك الأجواء المشحونة لذلك طلب بتعيينه بمنصب خارج الدولة العثمانية فتم تعيينه سفيراً للدولة العثمانية في النمسا.

قائمة المصادر:

الوثائق العثمانية غير المنشورة:

BOA.BEO.4105.307825.1.

BOA.DH.EUM.AYŞ.19.4.12.

BOA.i.DUiT.190/63.

BOA.i.DUiT.7/109.

BOA.i.DUiT.7/109.

BOA.i.DUiT.8.59.

BOA.i.DUiT.8.67.

BOA.i.DUiT.8/4.

BOA.i.DUiT.8/5.

BOA.ZB.67.16.1.

المذكرات الشخصية:

عائشة عثمان اوغلى، والدي السلطان عبد الحميد الثاني، ترجمة: صالح سَعْدَاوِي صالح، دار البشير للنشر والتوزيع، (عمان، ١٩٩١م) .

مذكرات الدكتور احمد رضا، اتاتورك ورفاقه ونهاية العثمانيين تقديم: احمد عبد الوهاب الشرقاوي، دار البشير للثقافة والعلوم، (القاهرة، ٢٠٢٠م) .

الرسائل والاطاريح الجامعية التركية:

Barış Zeren ,The Formation of Constitutional Rule:The Politics of Ottomanism Between De Jure And De Facto (1908-1913) ,Doctor of Philosophy ,Boğaziçi University, The Atatürk Institute for Modern Turkish History.

Erkan Tural,ii. Meşrutiyet Döneminde Devletin Restorasyonu Bağlaminda 1909 Teşkilat Ve Tensikat Kanunu,Doktora Tezi,Dokuz Eylül Üniversitesi Atatürk Ilkeleri Ve Inkilap Tarihi Enstitüsü,2006.

Hamza Dülger,1912 Seçimleri'nden Bab-I Âli Baskini'na Osmanli Devleti'nde Iktidar Mücadelesi (1912-1913) ,Yüksek Lisans Tezi,Istanbul Üniversitesi Atatürk Ilkeleri Ve Inkilap Tarihi Enstitüsü,2019.

Hülya Küçük Sevil,Ittihat Ve Terakki Döneminde Islamcilik Hareketi (1908-1914) , Doktora Tezi, Ankara Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü,2005.

Murat Başhan,"Ittihat-Terakki Cemiyeti'nin Irak Coğrafyasi'ndaki Faaliyetleri (1908-1918) ", Yüksek Lisans Tezi,Kirikkale Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü ,2018.

Nur Gervan,ii. Meşrutiyet Dönemi'nde Mizan Gazetesi, Yüksek Lisans Tezi,Yildiz Teknik Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü,2009.

Nurten Çetğn,Son Sadrazam Ahmet Tevfik Paşa,Doktora Tez,Selçuk Üngversğtesğ Sosyal Bğlğmler Enstğtüsü,2011.

Nurten Kaan,Ii. Meşrutiyet Dönemi: Volkan Gazetesi'nde Meşrutiyet Düşüncesi (1908- 1909) ,Yüksek Lisans Tezi,Kirklareli Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü ,2019.

Özer Özbozdağli,Ittihat Ve Teraki'nin Balkan Siyaseti (1908-1914) ,Yüksek Lisans Tezi ,Mustafa Kemal Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü, 2005.

Özlem Yildiz,ii. Meşrutiyet'ten i.Dünya Savaşi'na Osmanli Devleti'nde

Deniz Ticareti (1908 1914) ,Doktora Tezi,T.c. Dokuz Eylül Üniversitesi Atatürk Ilkeleri Ve Inkilâp Tarihi Enstitüsü ,2012.

Serhan Kemal Saygi,Meclis-I Mebusan'da Izmir Mebuslari 1908-1918,Doktora Tezi,Ege Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü,2014.

Siddik Yildiz , Çikişindan Bastirilmasina Kadar 31 Mart Isyani ,Master Tezi, Gazi Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü,2006.

Siddik Yildiz,Çikişindan Bastirilmasina Kadar 31 Mart Isyani,Master Tezi,Gazi Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü,2006.

Tuğba Aşan, Hüseyin Hilmi Paşa Siyasi Hayati, Fikirleri Ve Şahsiyeti (1855 1923) ,Doktora Tezi ,Marmara Üniversitesi Türkiyat Araştirmalari Enstitüsütürk Tarihi Ana Bilim Dali,Istanbul,2021.

الكتب العربية والمعربة:

اوديل مورو، الدولة العثمانية في عهد الإصلاحات رجال النظام الجديد العسكري وأفكاره ١٨٢٨-١٩١٤م، ترجمة: كارمن جابر، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، (بيروت، ٢٠١٨م)

اورهان صادق جانبولات، مؤسسة شيخ الإسلام في الدولة العثمانية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، (الاردن، ٢٠١٤م) .

شكيب حمود حسن ارسلان، تاريخ الدولة العثمانية، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، ٢٠١١م) .

شكيب حمود حسن ارسلان، تاريخ بن خلدون، كلمات عربية للطباعة والنشر، (القاهرة، د ت) .

عباس أبو صالح، سامي مكارم، تاريخ الموحدين الدروز السياسي في المشرق العربي، ط٢، منشورات المجلس الدرزي للبحوث والانماء، (بيروت،١٩٨١م) .

مصطفى طوران، اسرار الانقلاب العثماني، ترجمة: كمال خواجة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، (القاهرة، ١٩٨٥م) .

يوسف بك صَاف، تاريخ سلاطين بن عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، مكتبة مدبولي (القاهرة،١٩٩٥) .

***الكتب باللغة التركية:**

Erik Jan Zürcher, Savaş Devrim Ve Uluslaşma Türkiye Tarihinde Geçiş

Dönemi: 1908-1928 ,Istanbul Bilgi Üniversitesi Yayinlari,(Istanbul,2005).

Feroz Ahmad, Essays on the Late Ottoman Empire and Modenn Turkey ,Istanbul BIlgI University Press, (Istanbul, 2008).

Ibnülemin Mahmut Kemal Inal ,Son Sadrazamlar ii,Dergah Yayinlari, (Istanbul,1982).

Mevhibe Savaş,Ikinci Meşrutiyet Döneminde Ittihat Ve Terâkki Ve Basin, Yayinevi Olmayan, (Ankara ,1998) .

المقالات:

*المقالات باللغة التركية:

Sena Hatip Dinçyürek,Reading A Bureaucratic Career Backwards: How Did Hüseyin Hilmi Pasha Become The Inspector-General Of Rumelia, Middle Eastern Studies,Vol. 53, NO. 3, 2017.

Serap Toprak,"Anglo-Rus Ilişkilerinin Yapilandirilmasi Bağlaminda 1908 Reval Görüşmesi, Uluslararasi Ilişkiler Ve Diplomasi Dergisi Journal Of International Relations And Diplomacy Cilt: 2, Sayi 2 Ekim ,October , 2019.

Suat Zeyrek ",Hasan Hakan Ulutin ,31 Mart İsyanı Üzerine Bazı Düşünceler (13 Nisan 1909) " ,Sosyal Araştırmalar ve Davranış Bilimleri Dergisi, , Cilt 5, Sayı: 8,2019.

Yahya Yeşilyurt,Hüseyin Hilmi Paşa'nın Yemen Valiliği ve Ona Yapılan Suikast,OTAM, 34,Güz 2013.

*المقالات باللغة العثمانية:

عبد الرحمن شرف، ويانه سفير سابقى حسين حلمي باشا، تاريخ عثمان انجمنى مجموعه سى، نومرو (٤٩-٦٢)، ١٩٢٣م.

شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)

Mahmut Kamil Paşa,
https://islamansiklopedisi.org.tr
تم زيارة الرابط في ٢٩ تموز٢٠٢٤م

Ali Erdemiry, Halaskar Zabitan Modern Dönemin Ilk Darbesi,7 Temmuz 2022,
Https//Www.Derliyo.Com.
تم زيارة الموقع في ١٧ شباط ٢٠٢٣م.

قراءة تاريخية منهجية لكتاب اليمن بين مشاطئتها للبحر الاحمر وفلسفة أحداث التاريخ

للمؤلف محمد محسن المقداد

د. بكيل محمد محمد الكليبي.
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد
جامعة ذمار

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على المنهجية التاريخية لكتاب اليمن بين مشاطئتها للبحر الاحمر وفلسفة أحداث التاريخ، والتعرف على الموضوعات التاريخية التي تناولها هذا الكتاب واقتضت الدراسة استخدام منهج البحث التاريخي لتحليل مضمون الكتاب وتوصيفه، احتوت الدراسة على ثلاثة محاور وتمهيد ومقدمة وخاتمة تضمن التمهيد التعريف بالمؤلف أما المحور الأول فتناول محتوى الكتاب وموضوعاته، في حين تناول المحور الثاني أسلوب المؤلف في الكتابة التاريخية أما المحور الثالث والاخير تناول النقد التاريخي للكتاب، واختتمت الدراسة بخاتمة تضمنت النتائج التي توصلت إليها الدراسة ولعل من ابرزها المام المؤلف بموضوعات تاريخية مختلفة مرتبطة بقضايا اليمن وتأثير البحر الاحمر.

الكلمات المفتاحية: قراءة، كتاب، مؤلف، اليمن، البحر الاحمر، مشاطئة.

Abstarct:

This study aims to highlight the historical methodology of Yemen's book between its beaches of the Red Sea and the philosophy of history events, and to identify the historical topics in this book and the study rose to the use of the historical research approach to the analysis of the book and its description, the study contained three Axes, boots, pregnancies and conclusion ensure the introduction of the author of the author, while the first axis eat the content of the book and its topics, while eating the second axis in historical writing, and the third and final axis eat historical cash for the book, The findings of the study, and perhaps the most prominent of them, included different historical topics linked to Yemen's issues and the effect of the Red Sea.

Keywords: Reading, Book, Author, Yemen, Red Sea, Seafood.

المقدمة:

يعد النقد التاريخي الموضوعي من أهم الركائز المنهجية العلمية، في تقويم الكتابات التاريخية لتصويب بعض الهفوات والاخطاء التي وقع فيها بعض المؤرخين في كتاباتهم التاريخية، لاسيما أن هناك عدد من الهواة الذين يمتلكون الرغبة في تدوين الاحداث التاريخية، ويجهلون ادبيات استخدام منهج البحث التاريخي في كتاباتهم، فالتاريخ عبر، وتحليل وتعليل لمضمون الحدث التاريخي، ومعرفة ما ورائه، من خلال تمحيص مضمون الحدث واستقراء الدوافع والاسباب الكامنة ورائه، فخلوا الكتابات التاريخية من هذا المنهج يعني فقدانها لقيمتها التاريخية، وتصبح مجرد سرد معلوماتي لا قيمة ولا اثر له، فالمنهج التاريخي يعطي الباحثين القدرة على تحليل الاحداث والوقائع وتتبعها، ودراسة مضامينها ومعرفة قدرة تأثير الاحداث على الاوضاع السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، واستقراء الحقائق المخفية الكامنة وراء الاحداث من خلال تحليل السياقات التاريخية التي انتج هذه الاحداث.

يعد كتاب اليمن بين مشاطئتها للبحر الأحمر وفلسفة أحداث التاريخ للمؤلف محمد محسن المقداد، من الكتب التاريخية القيمة التي تحتاج، إلى دراسة تاريخية منهجية ناقدة لتقويم وتصويب الهفوات العلمية التي وقع فيها المؤلف سواء ـ بقصد او بدون قصد ـ وهذا النقد لا يعني الانتقاص من جهود المؤلف أو التقليل من شأن قيمة هذا الجهد العلمي المهم الذي تناول جزئية مهمة من الاحداث المتعاقبة على اليمن عبر التاريخ، وهذا الجهد بحاجة لدراسة اكاديمية ناقده للمعلومات التاريخية التي استعرضها المؤلف بين طيات هذا الكتاب لتقويم هذا الجهد، من خلال اسقاط المنهج التاريخي العلمي عليه لتوضيح الفجوات العلمية التي وقع فيها المؤلف.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة الموسومة بـ: قراءة تاريخية منهجية لكتاب اليمن بين مشاطئتها للبحر الأحمر وفلسفة أحداث التاريخ للمؤلف محمد محسن المقداد، يحتاج إلى تسليط الضوء عليه، ونقده بأسلوب علمي رصين لتقويمه، وتقييمه منهجيا.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة بشكل اساسي انها تعد اضافة جديدة ومتخصصة في مجال الاهتمام بكتابات الهواة في تدوين الاحداث التاريخ، في اليمن، فضلاً عن رفد المكتبة اليمنية والعربية بدراسة جديدة تتناول قراءة تاريخية منهجية لكتاب اليمن بين مشاطئتها للبحر الأحمر وفلسفة أحداث التاريخ.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة لتحقيق الاهداف الاتية:

- التعريف بمؤلف كتاب اليمن بين مشاطئتها للبحر الأحمر وفلسفة أحداث التاريخ.
- قراءة محتوى الكتاب وموضوعاته.

- دراسة أسلوب المؤلف في الكتابة التاريخية.
- استعراض النقد التاريخي المنهجي للكتاب.

منهج الدراسة:

اقتضت الدراسة استخدام الباحث منهج البحث التاريخي في نقد الكتاب وتحليل مضمون موضوعاته لتقويم الهفوات التي وقع فيها المؤلف.

محتوى الدراسة:

تضمنت الدراسة المحاور التالية:

- **المقدمة:** تضمنت مشكلة الدراسة وأهدافها وأهميتها.
- **التمهيد:** التعريف بمؤلف كتاب اليمن بين مشاطئتها للبحر الأحمر وفلسفة أحداث التاريخ.
- **المحور الأول:** محتوى الكتاب وموضوعاته.
- **المحور الثاني:** أسلوب المؤلف في الكتابة التاريخية.
- **المحور الثالث:** النقد التاريخي المنهجي للكتاب.
- **الخاتمة:** تضمنت النتائج التي خرجت بها الدراسة.

التمهيد: التعريف بمؤلف كتاب اليمن بين مشاطئتها للبحر الأحمر وفلسفة أحداث التاريخ:

هو الشيخ محمد محسن محمد احمد المقداد، من مواليد قرية علول عزلة دمام [١]، مديرية جبل الشرق [٢]، محافظة ذمار [٣]، عام ١٩٣٣م، ينحدر من اسرة المقداد بن راجح، وهذه الاسرة كان لها دوراً مشهوراً في تاريخ اليمن الحديث، إذ ينتمي المؤلف لإسرة مشائخية كبيرة حاضرة بقوة في الاحداث السياسية منذ الوجود العثماني، فجد

---

(١) ـ عزلة دمام: بضم ففتح مركز إداري من مديرية جبل الشرق وأعمال ذمار تشمل عدد من القرى التالية: علول، جرع، الحمامي، قرن حطب، جبل الدخينة، =

= مذرح، قناع، بيت الضبيبي، حباشة، السلف. ابراهيم احمد المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ج١، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، ط٢، ٢٠٠٤م، ص٦٢٠.

(٢) ـ جبل الشرق: مديرية من مديريات محافظة ذمار تقع في الغرب الشمالي من المحافظة، وتتكون من عدة مخاليف منها بني قشيب، وجبل الشرق، وبني أسعد، وخلاف الحداء، ومن قراها وعزلها القارة، ودمام، وبني روية، وهجرة حضران، وإلى جبل الشرق ينسب القضاة بيت الشرقي. ابراهيم احمد المقحفي، المصدر السابق، ج١، ص ٨٦٢.

(٣) ـ محافظة ذمار: بفتح الأول، مدينة تقع جنوب العاصمة صنعاء على بعد ١٠٠ كيلو متر، وهي مركز محافظة ذمار، وتحتل المدينة مكان جغرافي متوسط بين العاصمة، ومدن الجنوب وتحتل سهل زراعي منبسط اثر بشكل مباشر في حياة سكانها التجارية، والسياسية، ترتفع ذمار عن سطح البحر ثمانية الاف قدم، تعد ذمار أحد مراكز العلم الثقافية العربية والإسلامية في اليمن، ويعد جامعها من اقدم المساجد الإسلامية، إذ شيد في اواخر حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تقريباً، كان للمدينة قبل الإسلام دوراً مهم، إذ ورد ذكرها في كثير من النقوش اليمنية القديمة، تحت مسمى هجرن / ذمر اي مدينة ذمار. حسين عبدالله العمري، ذمار، الموسوعة اليمنية، ج٢، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، ط٢، ٢٠٠٣م، ص ١٣٦٢.

المؤلف لأمه هو قائد المقاومة في آنس [١]، الشيخ نصير الدين علي المقداد [٢].

[١] - آنس: بوزن فاعل بلد واسع في الجنوب الغربي للعاصمة صنعاء، على مسافة يومين نحو ستين كيلو متر، تعد ضوران قاعدتها، تشمل آنس حالياً تسعة مخاليف، وكل مخلاف يشمل جملة العزل والقرى والحصون ومزارع وهي: مخلاف ضوران، مخلاف بني أسعد، ومخلاف جبل الشرق، مخلاف ابن حاتم، مخلاف حمير، مخلاف بني خالد، مخلاف المنار، مخلاف بني قشيب، ومخلاف بني سلامة، وهذه مخاليف آنس حاليا ويلحق بها مديرية جهران الواقعة إلى الشرق من بلاد آنس، وتعرف آنس قديماً بمخلافي الهان ومقرى. محمد احمد الحجري، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، ج١، تحقيق: اسماعيل بن علي الاكوع، دار الحكمة اليمانية، ط٢، ١٩٩٦م، ص ٢١-٢٢.

[٢] - نصير الدين علي المقداد: هو الشيخ نصير الدين علي بن المقداد بن أحمد بن عبدالله راجح، نشأ بوطنه من جبل الشرق في بلاد آنس، وكان من كبار مشائخ جهته، في البلاد الآنسية، وتولى للعثمانيين الجباية في ناحيته فأساؤوا معاملته، وتعمد بعض قادة العثمانيين إهانته، بهدف اخضاعه، وكسر هيبته، بسبب كثر العائدات المالية التي كان يجنيها، من الاهالي بواسطته، ونتيجة لما تعرض له من اهانه خرج عن العثمانيين وقاد المقاومة في آنس ضدهم، واعلن المقاومة ضدهم عام ١٣٠٨هـ مدعوماً من الإمام المنصور محمد بن يحي حميد الدين، وابنه يحيى، وتمكن من تحرير العديد من القرى في بلاد آنس وغيرها، عاونه في ذلك اخوانه وعدد من اعيان آنس منهم اخيه الشيخ محسن بن المقداد وعدد من المشائخ الاخرين، وظل يقاوم العثمانيين حتى تم اخراجهم من اليمن، بعد خروجهم كان من القادة المرموقين في عهد الإمام يحيى، وظل حتى وفاته عام =

تلقى محمد محسن المقداد تعليمه الأولي، في مسقط رأسه، حيث درس القران الكريم وعلومه، إلى جانب تعلمه اللغة العربية، والنحو والرياضيات، ومن ابرز معلميه في عزلة دمام العلامة علي محمد نسر [٣]، وبعد فترة من التحاقه بالتعليم اظهر علامات النبوغ، والتفوق على زملائه في وقت مبكر، وهذا سمح له بالاطلاع الواسع لكل ما يجده من كتب في مجالات العلوم المختلفة، وهذه المطالعة الدائمة منحته قدره كبيرة، على اكتساب العديد من المعارف التي اهلته بعد قيام الثورة في السادس والعشرين من سبتمبر عام ١٩٦٢م، ليكون ضمن بعثة الطلبة اليمنيين المبتعثين إلى مصر،

= ١٣٤١هـ. محمد بن محمد يحي زبارة، نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر، ج١، تحقيق: عبدالله بن عبدالكريم الجرافي، مكتبة الارشاد، صنعاء، ط١، ٢٠١٠م، ص ٤٩٣-٤٩٤.

[٣] - علي محمد نسر: هو القاضي جمال الإسلام علي بن محمد نسر الآنسي ولد عام ١٣٣٤هـ، وأخذ العلم من علماء ذمار منهم القاضي علي بن محمد الاكوع الذي اخذ منه شرح الازهار، والقاضي احمد بن احمد سلامة ثم رحل إلى ضوران آنس ثم إلى صنعاء، عرف العلامة علي محمد نسر بالصدق والوفاء مكافح عمل في الارشاد بصنعاء، وذمار، ثم تولى القضاء، واخذ منه جماعة من الطلاب واخذ الاجازة العلمية العامة من القاضي العلامة حسين بن يحيى الواسعي وجده القاضي احمد بن نسر مؤلف العربية في علم الفرائض، وآل نسر من الاسر الكبيرة، في آنس وغيرها. محمد بن محمد يحيى زبارة، المصدر السابق، ص ٤٨٨.

حيث التحق المؤلف بالكلية الحربية المصرية، وعاد بعد ان تخرج منها للعمل في الجيش اليمني برتبه ضابط، لكن فترة عمله كانت قصيرة، إذ تفرغ بعد ذلك للعمل الذي يستهويه وهو الانكباب على القراءة والاطلاع التي اهلته لامتلاك ثقافة تاريخية واسعة، إلى جانب امتلاكه مكتبة تضم بين جنباتها مجموعة من امهات الكتب العلمية القيمة التي تزين رفوف مكتبته الخاصة بالعناوين العلمية القيمة، فضلاً عن امتلاكه مجموعة من الوثائق التاريخية المهمة التي تتناول موضوعات تاريخية مختلفة لعدة مجالات (١). يتضح من خلال ما سبق ان المؤلف امتلك ثقافة علمية واسعة اكتسبها بفضل المطالعة الواسعة والعميقة للعديد من الكتب العلمية التي وقعت بين يديه، فقرأها واستفاد منها بشكل واسع، إذ مكنته من اكتساب ثقافة علمية واسعة، لاسيما في علم التاريخ، الذي حاول الالمام به ونتج عن ذلك هذا الكتاب الذي نحن لصدد دراسته.

قال عنه عدد من الادباء المعاصرين له كلاماً في غاية الاهمية، إذ وصف بالوطني المؤرخ والكاتب والمحدث المفوه القادر على التأثير بمحيطه المنشغل بهمه في تدوين التاريخ، وهذه الشخصية قل ان تجدها في اليمن المعاصر، الذي يبين الهوة الواسعة التي تفصل اليمنيين المعاصرين عن معرفة تاريخ بلدهم القديم، وتفصلهم عن الوعي بما تمتلكه اليمن من مكانة جغرافية واستراتيجية، وخيرات تجعل من اليمن مكان مميز لايمكن الاستهانة به، وبمكانته، وهذا ما جعل المؤلف يطرق هذا الباب الذي يشير إلى وجود انحسار كبير داخل النخب المثقفة بتاريخ اليمن وحضاراته، وهذا يؤثر في عملية ادراك مدي الاهمية التي تحتلها اليمن حاضراً ومستقبلاً الامر الذي تحتاج معه البلاد وجود يمنيين مخلصين مؤهلين ممن لهم انجازات وبصمات تجعلها موضع تقدير الناس وتسيطر على اهتماماتهم، وهذا ما يلحظ في جهود المؤلف محمد محسن المقداد الذي وجد نفسه في اتجاه اجباري لم يكن يحببه، وهذا يفسر السبب في خروجه السريع من القوات المسلحة اليمنية، التي وجد فيها المؤلف محمد محسن المقداد غير قادر على الاستمرار، بينما كان المؤمل ان يدخل قسم الدراسات المدنية بزلاً من العسكرية، إذ امتلك رغبه بالالتحاق بكلية الاداب قسم التاريخ في جامعة القاهرة، لكن الاقدار حالت دون ذلك (٢).

يتضح من خلال ما سبق ان المؤلف محمد محسن المقداد كان له ميول بدراسة علم التاريخ في مصر بزلاً من الالتحاق بالكلية الحربية وهذا الاتجاه يفسر سبب الخروج المبكر من الجيش اليمني بعد عودته من الدراسة العسكرية في مصر.

(١) ـ محمد محسن المقداد، اليمن بين مشاطئتها للبحر الاحمر وفلسفة أحداث التاريخ، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، د.م، ط٢، ٢٠١٥م، ص ١٥٤.

(٢) ـ عبدالعزيز المقالح، تقديم لكتاب المؤلف، كلية الآداب، جامعة صنعاء، في ٢٠١٤/١٢/٢١م.

المحور الأول: محتوى الكتاب وموضوعاته:

تضمن الكتاب مائة ثلاثة وخمسين صفحة بدون الغلاف، فضلاً عن ذلك احتوى الكتاب على خمسة عشر موضوعاً تضمنها فهرس الكتاب بدا ترقيمها من تقديم الاديب (الدكتور)، عبدالعزيز المقالح [١]، الذي تضمن ثناء على المؤلف محمد محسن المقداد، والاشادة بمناقبه وادواره الوطنية واعماله وجهوده في تدوين التاريخ، ثم جاء بعد التقديم قصيدة شعرية للأديب والشاعر عبدالله بن يحي الديلمي [٢]، بعنوان وتقوم أحفاد لأجداد مضوا [٣]، خص بها المؤلف محمد محسن المقداد، وفيها اشارة تاريخية واضحة لجهود آل المقداد وادوارهم التاريخية، في مواجهة العثمانيين في الفترة الثانية لدخولهم اليمن (١٨٧٢-١٩١٨م)، اما اهداء المؤلف، فطغت عليه عبارات العموم دون تخصيص فرد بعينه، إذ خصه للمناضلين اليمنيين علي مر التاريخ دون ذكر اسم اين منهم بقوله: " إلي من رفع الله بهم شأن الأوطان وأعز بفضلهم مقامات الإنسان في بلد الحكمة والإيمان على امتداد العصور والأزمان إلى رجال عقمت نساء العرب والعجم أن يلدن أمثالهم " [٤]، يتضح من خلال ما سبق أن هذا يعكس مدى تجذر الحس الوطني لدى المؤلف الذي اختص بعمله هذا قائمة مناضلي اليمن.

شملت مقدمة الكتاب توضيح فكرة المؤلف الرئيسية من تأليف هذا الكتاب الذي يتناول موضوع الغزو الأجنبي لليمن عبر التاريخ، وموقف اليمنيين منه، مع الاشارة الواضحة إلى تواضع الكاتب في سرد ادبيات المراحل والادوار التاريخية التي مر بها اليمن، لاسيما فيما يتعلق بالمخاطر الدائمة التي تتعرض لها البلاد من جهة

---

(١) ـ عبدالعزيز المقالح: هو الشاعر والاديب والناقد اليمني الكبير ولد في قرية المقالح محافظة إب عام ١٩٣٧م، وتلقى تعليمه الاولي في قريته ثم تابع تعليمه العالي في مصر، تولى رئاسة المجمع العلمي اللغوي اليمني، يعد المقالح في مقدمة الشعراء اليمنيين المعاصرين وأحد ابرز الشعراء العرب، في العصر الحديث، ويعتبر رائد القصيدة اليمنية المعاصرة، ويدين له العديد من الشعراء اليمنيين الشباب بالأبوة الرمزية توفى في صنعاء عام ٢٠٢٢م. www.adengad.net.

(٢) ـ عبدالله بن يحي الديلمي: هو العلامة الشاعر والاديب عبدالله بن يحي الديلمي ولد في مدينة ذمار عام ١٣٣٤هـ الموافق ١٩١٣م، ونشأ يتيماً وعاش مع اخوته في بيت يشتهر بالعلم والادب والتحق بالمدرسة الشمسية التي كانت محاطة بالعلماء وطلاب العلم التوافدين اليها وعمل في التدريس حتى عام ١٩٩٠م، حيث احيل للتقاعد وتوفى عام ٢٠٠٤م. إبراهيم يحي عبدالله الديلمي، الاديب عبدالله بن يحي الديلمي حياته وشعره، د.م، د. ت، ص ٥-٨؛ .ebrahimdilami Bologspot. com

(٣) ـ قيلت هذه القصيدة ثناء على الشيخ محمد المقداد، ابراهيم يحي عبدالله الديلمي، المصدر السابق، ص١١٥.

(٤) ـ المقداد، ص ١-٣.

البحر الاحمر [١]، وجزره المتناثرة على طول امتداد الساحل اليمني وما ارتبط بها من تحديات كبيرة شهدتها البلاد [٢].

استهل المؤلف بعد المقدمة استعراض موقع اليمن الجغرافي معبراً عنه بإضافة عبارة القدر التاريخي والجغرافي وقضاء الأطماع والأهمية الاستراتيجية، ثم انهمك في توضيح الفكرة من خلال استعراض بعض الامثال الشعبية [٣]، قبل الدخول في تناول الموقع الجغرافي الذي ذكره بوصف اطلق عليه عبارة: " موقع اليمن الجغرافي الاستراتيجي الهام " ثم علل ذلك السبب كونه يشرف على مضيق بحري يتحكم بالتجارة البحرية التي تربط الشرق بالغرب وعملية الربط الموضوعي لهذا الموقع اطلق عليه المؤلف:" قدر جغرافي وتاريخي" كان له تأثير مباشر في تعرض اليمن للأطماع الخارجية عبر التاريخ للسيطرة عليه والاستحواذ على ثرواته وموارده واستغلال خيراته، فصلاً عن ذلك عبر المؤلف عن فكرة استقراء التاريخ واستنطاقه، فحسب اعتقاد المؤلف ان التاريخ يمنح العظة والعبرة، ويبين المجهول، وبدونه لايمكن تحقيق هذه الغاية والعبرة [٤].

حاول المؤلف استعراض علاقة اليمن والحبشة بقوله: انه لا مهرب ولا مفر، من الصراع على جزيرة حنيش [٥]، فالقدر الجغرافي حسب وجهة

---

(١) ـ تحاذي اليمن البحر الاحمر من جهة الغرب وتسيطر على الجزء الشرقي من ساحله.

(٢) ـ المقداد، ص ٣-٧.

(٣) ـ الامثال الشعبية: تعد الامثال الشعبية تعبيراً صريحاً عن الايديولوجيا التي يتبناها المجتمع، وفي ذات الوقت يقف المثل راصداً محيط الحياة اليومية بطرفة القول وصريح العبارة ومسايرة المثل لمختلف مجريات الحياة يحقق الخبرة والاستمرارية كونه جزء من المنظومة الاجتماعية التي تعني بضوابط السلوك، إذ يقوم المثل بدور المصدر. المرأة في المثل الشعبي اليمني، نشرت هذه المعلومات عبر موقع: khabarkhair. net

(٤) ـ المقداد، ص ٨-١٠.

(٥) ـ حنيش: جزيرة يمنية تقع في الطرف الجنوبي من البحر الاحمر، يطلق عليها اسم حنيش الكبرى، وهذه الجزيرة تعد ذات اهمية استراتيجية من حيث موقعها واتساعها وصلاحيتها للسكن وعملية المراقبة البحرية، وتبلغ مساحتها الاجمالية ٦٦ كم اتجهت أنظار الدول المعنية إلى أهمية البحر الاحمر بعد افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩م، إذ حاول البرتغاليين استخدامها كمحطة للسيطرة على سواحل اليمن والحجاز، لكن شعابها المرجانية حالت دون حرية تحركاتهم البحرية وفي العام ١٨٨١م، بدات الدولة العثمانية تجري تغييراً في وضع الجزر اليمنية في البحر الاحمر نظراً لأهميتها، فمنحت شركة فرنسية امتياز إقامة بعض الفنارات الملاحية في مجموعة جزر حنيش والزبير والطير لمراقبة حركة الملاحة في البحر الاحمر، وعلى الرغم من سيادة اليمن على هذه الجزيرة، فقامت القوات الارترية باحتلال الجزيرة عام ١٩٩٥م، بعدد كبير من الجنود حينها تريث اليمن في الدخول في مواجهة مباشرة واتجهت نحو استرجاع حقوقها بالطرق السلمية وعقدت مفاوضات بين اليمن وارتيريا انتهت باتفاق التحكيم الذي اعطى اليمن الحق في ملكيته للجزيرة وانسحاب الاحتلال الارتيري منها. =

نظر المؤلف يعني أن يكون التاريخ واحداً، ومتناقضاً ايضاً، لاسيما أن الحبشة ارتبطت علاقاتها مع اليمن بحروب واحتلال، مقابل نضال اليمنيين واستقلالهم، الذي توج بعودة عروبة اليمن من ايدي الاحباش، بقيادة القائد اليمني سيف بن ذي يزن [1]، ثم يعود المؤلف لاستعراض موضوع احتلال جزيرة حنيش التي صور فيها ارتيريا مجرد مطية لقوى الاستعمار الجديدة في المنطقة، وتكشف معالم التأمر الدولي على اليمن والعرب معاً، وهذا كان مجرد لعبه دولية اكبر من ارتيريا واليمن بدأها الرومان وتوارثتها الامبراطوريات المتعاقبة [2].

استعرض المؤلف تحت عنوان استقراء التاريخ واستنطاقه، جمله من الحقائق الثابته والمتحركة والغائبة الحاضرة الساطعة، للعديد من مشاهد تاريخ النضال اليمني، الذي حسب رايه، يتعرض لمحاولات تغييب ممنهج عن الوعي الجمعي، لحركة النضال ضد الغزاة والمستعمرين قديماً وحديثاً، موضحا ان عملية البحث العميقة عن الحقائق التاريخية سيكون من نتائجها الحصول على مادة تاريخية غنية بمحطات النضال وسير الابطال، مستعرضاً العديد من القادة والشخصيات اليمنية التي كان لها أدورا نضالية منذ الوجود العثماني، وقيادة الإمام القاسم بن محمد [3]، حركة النضال ضد العثمانيين، واستمرار مشروع النضال دون توقف لامجال هنا لذكر القيادات اليمنية لكثرة الشخصيات التي استعرضها المؤلف تحت هذا

=

حسين علي الحبيشي، وابراهيم احمد المقحفي، حنيش (جزيرة)، الموسوعة اليمنية، ج٢، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، ط٢، ٢٠٠٣م، ص ١٢٢٥-١٢٣٠.

(١) ـ سيف بن ذي يزن: هو الملك الحميري الشهير بسيف بن عامر بن أسلم بن الحارث الكنى أبي مرة والذي ينتهي نسبه إلى ذي يزن أحد كبار أقيال حمير، وقد حفر اسم هذا الملك في الذاكرة الجمعية اليمنية والعربية على حداً سواء من خلال دوره في قيادة عملية مقاومة الاحتلال الحبشي، حيث تحول بذلك إلى شخصية ملحمية استطاع دحر الاحباش بعد الاستعانة بالفرس عبداللطيف الادهم، ذويزن (سيف ابن)، الموسوعة اليمنية، ج٤، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، ط٢، ٢٠٠٣م، ص ٣٢١٨-٣٢٢٠.

(٢) ـ المقداد، ص ١٠-١٥.

(٣) ـ القاسم بن محمد: هو الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد بن علي بن محمد بن الرشيد ولد عام ٩٦٧هـ واشتغل بطلب العلم منذ وقت مبكر، على يد كبار شيوخ عصره، فأبداء نجابه فائقة في علوم الشرع، وله مصنفات علمية جليلة منها في الحديث كتاب الاعتصام جمع فيه كتب الأئمة وكتب المحدثين من الامهات وعندما فاق في العلوم، كانت اليمن تعاني من جور العثمانيين وعم الفساد البلاد فأعلن امامته عام ١٥٩٧م، ودخل في صراع مرير مع العثمانيين حتى وفاته عام ١٦٢٠م. محمد بن علي بن محمد الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ج١، تحقيق: محمد حسن حلاق، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ٢٠٠٦م، ص ٦٠٢-٦٠٣.

العنوان [١].

بين المؤلف تحت عنوان: اليمن والحبشة مؤشرات ودلائل، جوانب العلاقات اليمنية الحبشية منذ التاريخ القديم، مدللاً ببعض الشواهد التي تدعم القول بان الحبشة قبيلة يمنية نزحت قديماً من جنوب الجزيرة العربية، واستقرت في الساحل الشرقي لإفريقيا وتحديداً في ارتيريا، وهذه القبيلة ساهمت في تأسيس مملكة أكسوم، ثم تابع المؤلف في استعراض جوانب التسمية، ونوعية الجنس الحبشي، مستعرضاً في هذا الاتجاه بعض الشواهد المقتبسة من المؤرخين الاوروبيين، منذ التاريخ اليوناني والروماني حتى الوقت الحاضر، ثم توضيح جوانب الصراع اليمني الحبشي في التاريخ القديم [٢].

اشار المؤلف تحت عنوان منطق التاريخ، إلى جهل العرب بالبحر مستعرضاً شواهد لهذا الغرض، فضلاً عن توضيح جوانب من الحضارة الإسلامية اشار اليها كشواهد لأهمية البحر منها الهجرة إلى الحبشة، واستخدام الاسطول البحري في الحرب لأول مره في عهد بني امية، كما اشار إلى سقوط الاندلس [٣]، وحدد اهم عوامل لسقوطها هو ابتعادها عن الاهتمام بالبحر، فضلاً عن ذلك حاول المؤلف توضيح جوانب اهتمام الاوروبيين بالبحر والنتائج التي ترتبت على ذلك من خلال الكشوف الجغرافية [٤]، اما علاقة اليمنيين بالبحر الاحمر من الناحية العسكرية، حاول المؤلف توضيح جوانب العلاقة بانها غير متوافقة، بقوله: أن علاقة اليمنيين بالبحر عبر التاريخ كانت ولاتزال علاقة طابعها التأزم وعدم التألف والتوافق والانسجام، وان سبب هذه العلاقة هي تعرض اليمن للعديد من الاطماع والاخطار الخارجية من وراء هذا البحر الذي حمل الطامعين عبره إلى اليمن من رومان واحباش، وبرتغال واتراك وانجليز قاسم هؤلاء المشترك احتلال اليمن، ثم اشار إلى اهمية البحر الاحمر من الناحية العسكرية حتي الوقت الحاضر، فضلاً عن اهمية الجزر اليمنية [٥].

تعد تجارة البحر من العناوين المهمة التي اشار اليها المؤلف تحت عنوان: " اليمنيون وتجارة البحار"

(١) ـ المقداد، ص ١٥-٣٢.

(٢) ـ المقداد، ص ٣٢-٣٧.

(٣) ـ اخر الأمارة العربية فيها امارة آل الاحمر سقطت عام ١٤٩٢م.

(٤) ـ الكشوف الجغرافية: هي حركة كشفية قامت بها بعض الدول الاوروبية لتحقيق مطامعها الاستعمارية، من خلال التسلل إلى مناطق حيوية في الوطن العربي ومنها إلى بقية أنحاء العالم، وكان الاستيلاء على طرق التجارة العالمية التي تربط بين الشرق والغرب من اهم اهداف حركة الكشوف الجغرافية، وكان البرتغال اول الدول الاوروبية التي وصلت إلى مياه الشرق. محمد حسن العيدروس، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط٢، ١٩٩٨م، ص ١٩.

(٥) ـ المقداد، ص ٣٧-٤٦.

من خلال هذا العنوان حاول المؤلف توضيح جهود اليمنيين التجارية عبر الحقب التاريخية المختلفة وهذا حسب راي المؤلف اعطى اليمن شهرة كبيرة ساهمت ـ بصورة أو بأخرى ـ في خلق اطماع دولية على اليمن، فضلاً عن توضيح جهود اليمنيين في اكتشاف الرياح الموسمية التي ساهمت في عملية ابحار السفن التجارية بين اليمن والصين والهند (١).

حاول المؤلف توضيح اهمية البحر الاحمر بين الاهمية القصوى والخطر العظيم على اليمن، حيث استهل حديثه بالإشارة إلى ان البحر الاحمر يعد عمقاً استراتيجي للدول المشاطئة (٢)، ثم استعرض اهمية البحر الاحمر ومكانته التاريخية منذ التاريخ القديم حتى التاريخ المعاصر لليمن واختتم هذا الجزء بتوجيه دعوه لمن يتولى اليمن بضرورة بناء قدارة القوة البحرية اليمنية لتقوم بواجب حماية سواحل اليمن (٣).

تابع المؤلف اهتمامه بالبحر الاحمر، وافرد في هذا السياق عنوان البحر الأحمر وفلسفة أحداث التاريخ، بين تحت هذا العنوان اطماع اوروبا التي لم تنسى حسب وصف المؤلف هزائمها في الحروب الصليبية (٤)، معدداً جملة من الاسباب وراء اطماعهم في البحر الاحمر، مستعرضاً تدخل بريطانيا في تشجيع الشريف حسين (٥)، للقيام

(١) ـ المقداد، ص ٤٦-٥٠.

(٢) ـ الدول المشاطئة: يقصد بها الدول المطلة على البحر الاحمر هي اليمن والسعودية، والاردن، وفلسطين المحتلة، ومصر، والسودان، وارتيريا، وجيبوتي.

(٣) ـ المقداد، ص ٥٠-٥٩.

(٤) ـ الحروب الصليبية: هي حلقة من حلقات الصراع بين المسلمين والصليبيين (المسيحيين)، بشر بها بابا الفاتيكان اربان الثاني مطلع الالف الميلادي الثاني، حيث استغل الصليبيين حالة الفوضى الذي ضربت العالم الإسلامي بهدف احتلاله والسيطرة على مقدساته الإسلامية. سهيل زكار، الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، ج١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ١٩٩٥م، ص ٩-١٠.

(٥) ـ الشريف حسين: هو الشريف حسين بن علي ولد عام ١٨٥٤م، في اسطنبول اثناء نفي والده فيها، هو ملك الحجاز ومؤسس الاسرة الهاشمية المالكة في العراق سابقاً والاردن وأخر من حكم مكة المكرمة من الاشراف، نفاه العثمانيين من الحجاز إلى العاصمة اسطنبول وعين عضوا في مجلس شورى دولت وعند وفاة شريف مكة عينه العثمانيين شريفاً عليها وخدم الدولة العثمانية وقاتل بجانبها ضد امير عسير، ثم توترت علاقته بالدولة العثمانية وعندما اخذ الاتحاد والترقي الحاكم في تركيا باتباع سياسة التتريك نمت لدى العرب النقمة على الاتراك فاتفق مع بريطانيا من خلال مراسلات حسين مكماهون عام ١٩١٥م، توجت بأعلان الثورة العربية الكبرى في العاشر من حزيران عام ١٩١٦م، ضد الدولة العثمانية وطردها من الحجاز وتأسيس مملكة الحجاز، استقال من الحكم بعد هجمات ابن سعود على الحجاز ونفي إلى قبرص وتوفى عام ١٩٣١م. عبدالوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، ج٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٥م، ص٥٤٢.

بالثورة ضد الدولة العثمانية، والخديعة التي وقع فيها العرب، وكانت جزء من الدول الاوربية التي ورثت تركة الرجل المريض [(١)]، ثم استعرض سياسة بريطانيا تجاه اليمن ودعم الادريسي، والدور المرسوم له بالسيطرة على سواحل البحر الاحمر، فضلاً عن تناول الحرب اليمنية السعودية عام ١٩٣٤م [(٢)]، ثم استعرض المؤلف تحت عنوان اليمن بين مطرقة الافعال وردود الافعال وسندان الاثر والتأثير، اوضح المؤلف فيه عوامل الفعل ورد الفعل عبر التاريخ في التأثر، والتأثير على اختلال وتوازن عيش الإنسان اليمني على ارضه خلال الحكم العثماني والتواجد الاستعماري، كما استعرض الدوافع والابعاد الدينية والروحية التي جعلت اليمنيين يخرجوا بثورات متكررة ضد الاستبداد العثماني، ضمن محددات وطنية بطولية اثمرت في التحرر من براثين الحكم العثماني، والاستعمار الغربي الاتي من جهة الساحل والبحر، وقيام كيانات يمنية حرة مستقلة اخرها دولة الوحدة، ثم المنعطف المهم في تاريخ اليمن الثورة الدستورية عام ١٩٤٨م، حسب راي

(١) ـ الرجل المريض: مصطلح اطلقه الاوروبيين للسيطرة على املاك الدولة العثمانية في مؤتمر فينا بعد هزيمة نابليون بونابرت في معركة واترلو. محمود ثابت الشاذلي، المسألة الشرقية دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية (١٢٩٩-١٩٢٣م)، مكتبة وهبه، القاهرة، ط١، ١٩٨٩م، ص ١٣٣.

(٢) ـ المقداد، ص ٥٩-٨٥.

المؤلف [(٣)]، حاول المؤلف افراد عنوان خاص تناول فيه بشكل مستفيض ازمة حنيش ومحاولة تكرار التاريخ حدثاً وحديثاً، انتهى المؤلف بعنوان اليمن الزيدية [(٤)]، علاقة وتاريخ [(٥)].

يتضح من خلال ما سبق أن المؤلف محمد محسن المقداد من خلال العناوين ال ١٥ التي تناولها في مؤلفه هذا محور الدراسة تحقيق الاتي:

أولاً: الالمام بجوانب من تاريخ اليمن القديم كشواهد تاريخية متجذرة منذ فترات تاريخية قديمة.

ثانياً: استعراض شواهد تاريخية من تاريخ اليمن

(٣) ـ المقداد، ص ٨٥-١٠٣.

(٤) ـ الزيدية: تنسب الزيدية إلى الإمام زيد بن علي وهذه التسمية اطلقها بنو امية على كل ثائر عليهم بعد استشهاد الإمام زيد بن علي، وهذه التسمية قبل بها الزيديين لإنها شعار الحرية والعزة والكرامة والجهاد والتضحية، في سبيل الله والمستضعفين من عباد الله، ثم صارت التسمية اسماء لأئمة آل البيت ومن تابعهم في الاعتقاد يرتكز المذهب الزيدي الفقهي على أصلين كبيرين هما: أولاً: علم اصول الفقه وهي الكتاب والسنة والاجماع والقياس، والاجتهاد، وهم بهذه الاصول لا يختلفون عن بقية المذاهب الاسلامية السنية، فهم مذهب سني شيعي جمع بين فضيلتين التسنن بسنة الرسول صلى الله عليه واله وسلم، واجماع الامة، واجماع أهل البيت والقياس والتبعية. أحمد علي الماخذي، الزيدية (فقه)، الموسوعة اليمنية، ج٢، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، ط٢، ٢٠٠٣م، ص ١٥٣٤-١٥٤٣.

(٥) ـ المقداد، ص ١٠٣-١٤٩.

في الحقبتين الإسلامية، والتاريخ الحديث والمعاصر لإيصال فكرة المؤلف للقراء.

المحور الثاني: أسلوب المؤلف في الكتابة التاريخية:

اتبع المؤلف محمد محسن المقداد، في هذا الكتاب موضوع الدراسة اسلوب السرد التاريخي، في تناوله للأحداث التي تناولها في هذا الكتاب، إذ ركز بشكل واضح في ثنايا العناوين الخمسة عشر التي تضمنها الكتاب، على حشو العناوين بمفردات بعيده عن سياق المضمون والعرض الذي يسوقه تحت كل عنوان، وهذا الاسلوب في الكتابة تخلق حالة من الارتباك الذهني لدى القارى لفهم الهدف الموضوعي، في تتبع الاحداث وفهمها، على الرغم من اللمام المؤلف في ثنايا العرض بمعلومات غاية في الأهمية من حيث طرح القضايا والموضوعات ذات الابعاد والمضامين المهمة، في تناولاته لسرد الاحداث، وهذا يدل على سعة اطلاع المؤلف بالقضايا العامة، في تاريخ اليمن، باعتباره مثقف نهم، إذ لم تخلوا كتاباته من محاولة اظهار الغاية والهدف من المواضيع التي طرقها، والتي تبدوا في سياق مبهم وغير مفهوم، في توضيح الفكرة فيقول: " نشعر بالأخطار ومع ذلك نتجاهلها ونشير إليها بالبنان ولا نحاول صدها وإبعادها عنا رغم بعض الاستطاعة وتسيئ إلينا ونحن نسيئ التفاهم والتفهم والفهم لما تحمله الينا ولنا من اسفار الوعيد والتهديد..." [(١)].

يبين النص بشكل واضح التباس الفكرة لدى المؤلف، وجعلته يدور في حلقة واسعة بعيداً عن الموضوع الذي يريد ايصاله إلينا، وهذا الاسلوب نجده يغلب على بقية المواضيع الواردة في هذا الكتاب، إذ يصعب على القارى فهم الفكرة منذ الوهلة الأولى لقراءة المقطع الامر الذي يتطلب منه البحث عن الاجابة من خلال تتبع السرد سواء في المقطع الواحد او الذي يليه، للوصول للفكرة، فالأسلوب ينم عن تواضع الكاتب، وافتقاره للقدرة في توصيف الاحداث، بطريقة انشائية سلسه دون التكلف في جر القارئ بعيداً عن السياق الذي اشار اليه في بداية الفقرة التي تبدا بمعلومة وتنتهي بأخرى، الامر الذي يجعل المطلع في حاجة ماسة لمعرفة الفكرة الاساسية من المعلومة الأولى، قبل الولوج باتجاه فكره جديدة، لم ينجح خلالها الكاتب من اقناع القارئ بما يريد الوصول اليه، في تتبعه لسرد الاحداث، وهذا النوع من الكتابة تبدوا انها اقرب إلى تحقيق اثارة المتابع، اكثر منها لإيصال الفكرة المتوخاه من وراءها، فعلى سبيل المثال لا الحصر حاول المؤلف استخدام اسلوب جديد في ايصال الفكرة التي يرغب بها، من خلال حشو العرض بشواهد تبدوا انها عبارة عن امثلة شعبية اراد من خلالها المؤلف لفت نظر المتابع وشد انتباهه لموضوع موقع اليمن بين القدر التاريخي والجغرافي وقضاء الأطماع والأهمية الاستراتيجية، لاسيما ان المؤلف حاول ـ بقصد او بدون قصد ـ تشبيه موقع اليمن بمرأة فاتنه

---

(١) ـ المقدار، ص ٥.

وهذا يبدوا انها اشارة للأطماع المحدقة بموقع اليمن الجغرافي ذو الاهمية الاستراتيجية، فضلاً عن ذلك اتبع المؤلف استخدام عبارات توحي بإن هذا الكتاب له عدة مؤلفين مثل: "فإننا نرى" [1].

يفتقر العرض على الرغم موضوعيته، إلى الرصانة في الالفاظ اللغوية التي تمنح الكتابة قدر عالي من الحبكة القائمة على تعدد مفردات اللغة وتنوعها، فمن الملاحظ ان المؤلف خلط في كتاباته بين استخدام المفردات اللغوية الفصيحة، وبين الاستعانة بمفردات عامية، فضلان عن استعراض بعض الاحداث بأسلوب الجمع لا المفرد.

تبدوا الكتابة ـ بصوره أو بأخرى ـ اقرب من ناحية الدقة والموضوعية، لأسلوب الكاتب الصحفي الذي لا يراعي استقاء المعلومات من المصادر بقدر ما يهمه سرد الاحداث لإثارة المتابع بغض النظر عن الحاجة لإحالته لمصدر المعلومة ونوعها، وهذا الاسلوب من الكتابة بعيده عن الوصف بانها تاريخية، بقدر ما هي تعبر عن حالة ميول جامح للمؤلف لتدوين تاريخ بأسلوب سردي ملحمي يعبر عن انطباع الكاتب وميوله ونوازعه، ودوافعه الوطنية وانتمائه الايديولوجي، فلا مجال في هذا النوع من الكتابات لتطبيق قواعد كتابة الإنشاء، فضلاً عن تطبيق قواعد المنهج العلمي في صياغة الاحداث وتتبع تسلسلها، وتوصيفها بشكل علمي رصين.

تميزت كتابة المؤلف بعدم تقيدها باي نمط يحد من اسلوب المؤلف في عرض الاحداث، كما تصورها، في عرضه للاحداث، وسرده للقضايا التي تناولها وكانت مصدر اهتمامه في هذا المؤلف موضوع الدراسة، فالكتاب على الرغم من اقتصار العرض فيه على مائة وتسعة واربعون صفحة فقط، إلا انه يشكل رافد علمي يشرح جوانب مهمة من تاريخ اليمن والبحر الأحمر، على امتداد التاريخ القديم مروراً بالتاريخ الإسلامي، حتى حقبة الحديث والمعاصر، إذ بداء المؤلف بذكر محاولات الرومان في السيطرة على اليمن مروراً بالغزو الحبشي، وانتهاء بأهمية الجزر اليمنية الموجودة في البحر الاحمر، لاسيما أن المؤلف حاول سرد الاحداث التاريخية بأسلوب ايجابي مبتعداً عن الاشارة للجوانب السلبية في تناولاته، مع التأكيد الجازم، بوجود مسار سلبي فيما يخص موضوع علاقة اليمن بالبحر الأحمر، التي وضحها بان كل الكوارث التي احاطت باليمن كان البحر الأحمر مصدرها، مستعرضاً عدد من الدول التي، كانت مصدر الخطر المباشر، علي اليمن عبر التاريخ.

حاول المؤلف ابراز الادوار الوطنية لعدد من الزعامات الوطنية التاريخية اليمنية عبر الفترات والازمنة التاريخية مورداً مضامين تمجد ادوارهم وبطولاتهم، في الاعمال التي قاموا بها في سبيل اليمن، إذ استهل المؤلف كتاباته باستعراض شخصية سيف بن ذي يزن ودوره في قيادة المقاومة اليمنية لطرد الاحباش، ثم اتجه الكاتب لعرض شخصيات

[1] ـ المقداد، ص٩.

يمنية أخرى من حقب تاريخية مختلفة، حيث ذهب باتجاه تمجيد ادوارها والتغني بالأعمال الجليلة التي قاموا بها، خلال الحقب التاريخية التي عاشوا فيها، حيث اظهر الكاتب نفساً وطنياً في تدوين اعمال هذه الشخصيات التي اشار اليها في هذا الكتاب.

تناول المؤلف الاحداث بشكل تلقائي بسيط دون تكلف يذكر، في مجال انتقاء الالفاظ والعبارات المنمقة، في مضامين العرض التاريخي الذي خطه في هذا الكتاب، حيث اشار الكاتب في هذا السياق إلى هذا الجانب بقوله: " ولا اتكلف في حذلقة الكلام وتميق الأحاديث عن أحداث، وتاريخ من أبجدياته البساطة، والدقة والتواضع والصواب والحقيقة والانصاف والوعي والواقعية، وكل هذه امور هامة يحتاجها كاتب التاريخ " [(١)]، يبين النص مدى تواضع الكاتب وبساطته في هذا الكتاب وهذا ينم - بصورة او بأخرى - عن فهم عميق للصفات الواجب ان يتحلى بها الكتاب والمثقفين والنخب اين كانت مكانتهم ومراتبهم العلمية، ومنازلهم فلا غناء للعلماء عن التواضع ونبل الاخلاق قبل اي شي أخر.

المحور الثالث: النقد التاريخي المنهجي للكتاب:

يقصد بالنقد المنهجي تقويم العمل الذي قام به المؤلف محمد محسن المقداد في هذا الكتاب الموسوم بـ: اليمن بين مشاطئتها للبحر الأحمر وفلسفة أحداث التاريخ، وهذا النقد المنهجي لا يعني الانتقاص من جهود المؤلف، أو التقليل من الجهد الذي قام به، وانما يأتي النقد من باب أن كل عمل إنساني مهما بلغ فيه الإنسان من المعرفة، فلابد ان يعتريه النقص لإن الكمال لله وحده سبحانه وتعالى، ومن خلال هذه المعطيات يمكن القول: أن عرض هذا الكتاب لنقد منهجي يأتي من باب قيمة العمل الكبير الذي قام به المؤلف، لإثراء وتقويم الجهد لا الانتقاص منه، لإن جهودنا اين كانت في جانب الكتابات الإنسانية تظل معبره عن وجهة نظر الكاتب مهما، اعترضنا على بعض الكتابات ونقدناها، إلا فيما يخص المنهجية العلمية التي تظل قاعدة اساسية لتقييم العمل وتقويمه بأسلوب علمي رصين.

يعد هذا الكتاب من الكتب العلمية المهمة التي أرخت لليمن، وناقشت علاقة الاخيرة بالبحر الاحمر، على امتداد التاريخ وفتراته وحقبه، ونظراً للقيمة المعرفية التي يشكلها هذا المؤلف، فلابد لزاماً من نقده بأسلوب علمي ومنهجي دون التقليل من قيمة الكتاب على النحو الاتي:

المنهج التاريخي:

يقصد بالمنهج التاريخي مجموعة من القواعد العلمية الملزمة للمؤرخ الموضوعي يجب اتباعها لإخراج عمله بأسلوب علمي منهجي رصين، وهذا النوع من الكتابات يقوم به اصحاب الاختصاص ولا يمكن ان يقوم به المهتمين بالتاريخ، والهواة في تدوين وقائعه واحداثه، وهذا الاتجاه يلاحظ في

---

(١) ـ المقداد، ص ٤.

كتابات المؤلف محمد محسن المقداد الذي قال: " وقد يلحظ القارئ أني لم أراع الأسلوب العلمي أو البحثي " [1]، وهذا يعد اعترافاً من المؤلف أنه ليس مؤرخاً بالمعنى الملزم له لكي يستخدم المنهج التاريخي في اعداد هذا العمل، وهذا يعبر ـ بصورة أو بأخرى ـ أن المؤلف اراد القول بانه مجرد هاوي نهم لكتابة التاريخ.

ترتيب الاحداث التاريخية:

يلاحظ بشكل واضح عدم التزام المؤلف في ترتيب الاحداث التاريخية، وترتيب تسلسلها الزمني حسب المنهج التاريخي المتعارف عليه علمياً، بتقسيم التحقيب الزمني التاريخي وفق الترتيب الاتي: التاريخ القديم، ثم التاريخ الوسيط (الإسلامي)، ثم التاريخ الحديث والمعاصر، وهذه المنهجية لم يلتزم بها المؤلف في هذا الكتاب.

اقتباس اللالفاظ المنهجية:

حاول المؤلف اقتباس الفاظ منهجية علمية، في غير محلها، بدون الاشارة لمضمونها، واوردها عناوين لبعض الموضوعات ومن امثلة ذلك " استقراء التاريخ واستنطاقه " تحت هذا العنوان المنهجي وقع المؤلف في خطاء سواء ـ بقصد أو بدون قصد ـ واورد احداث تاريخية مختلفة، بينما الدلالة المنهجية للعنوان تعبر عن دور المؤرخ الموضوعي في تحليل الاحداث والوقائع التاريخية واستنطاق نتائجها.

" منطق التاريخ " وقع المؤلف تحت هذا العنوان في خطاء منهجي أخر، فمن المعروف منهجياً أن منطق التاريخ يشير إلى أن لكل حدث عله تكمن وراء الاسباب التي تحرك الاحداث وتسيرها في الاتجاهات المختلفة.

" البحر الأحمر وفلسفة احداث التاريخ " تحت هذا العنوان حاول المؤلف حشو العنون ـ بدون قصد ـ باستعارة عبارة فلسفة أحداث التاريخ، وهذه الاشارة الموضوعية لم يوفق فيها المؤلف، كون مصطلح فلسفة التاريخ له دلالة علمية عميقة فالمؤرخ بطبيعته ليس فيلسوف لكنه يتفلسف وكلا الحالتين لم نجد الفيلسوف ولا من يتفلسف وانما مجرد حشر المصطلح دون تأكيد مضمونه في العرض، وهذه من الاخطاء التي وقع فيها المؤلف بدون وعي.

تحليل الاحداث التاريخية:

ابتعد المؤلف عن تكليف نفسه في تحليل الاحداث التاريخية عند استعراضها للوقوف على اسبابها ونتائجها، والغاية منها، وانما اكتفى بإيراد الوقائع والاحداث بأسلوب مجرد، بصورة تشبه الاتجاه الذي سار عليه مؤرخي الحوليات الإسلامية التي اكتفى مؤلفيها بإيراد نصوص التاريخ بشكل اخبار عابرة دون الوقوف عليها لتحليلها ومعرفة مضمونها.

التوثيق العلمي:

يعد التوثيق العلمي من أهم المرتكزات المنهجية التي تمنح المؤلفات رصانة علمية، وهذه تعد من

---

[1] ـ المقداد، ص٦٠.

الامور التي وقع فيها المؤلف الذي اغفل توثيق المعلومات التي اقتبسها في متن الكتاب، ولم يورد هوامش للمعلومات في كل صفحة، واكتفى بإيراد اشارات لهوامش في بعض الصفحات في الكتاب دون ذكر الصفحة المقتبس منها، فضلا عن اغفال المؤلف عند تدوين المصادر لأدبيات ذكر جميع المعلومات عن المصدر سواء في الهامش او قائمة المصادر والمراجع، فضلاً عن عدم التزام بترتيب المصادر التي رجع اليها بشكل ابجدي.

هيكل الكتاب وتبويبه:

تميز هيكل الكتاب بالعشوائية في ترتيب فصوله ومباحثه، التي لم يتضمنها الكتاب وانما اكتفى الكاتب بتقسيم الهيكل العام للكتاب إلى خمسة عشر عنوان فقط ابتداها بتقديم الدكتور عبدالعزيز المقالح واختتمها بعنوان الزيدية والتاريخ، كما اغفل المؤلف الخاتمة في نهاية الكتاب.

توازن الموضوعات:

طغى الجانب العشوائي في توزيع صفحات الكتاب على عدد الموضوعات التي تضمنها هذا الكتاب، فالمؤلف لم يلتزم بتوزيع صفحات الكتاب على العناوين الواردة بشكل متساوي، واستعاض بدلاً عن ذلك بالإسهاب الممل في عنوان، والشح وانعدام المعلومة في عنوان أخر.

التكرار:

يقع كثيراً من الباحثين في هذه الجزئية التي تخل بمضمون المحتوى العلمي الذي يدونه المؤرخون وهذا ما وقع فيه المؤلف في تكرار سواء بعض الألفاظ في الصفحة الواحدة، أو الاحداث التاريخية التي تناولها.

الترتيب الموضوعي للكتاب:

يشكل ترتيب الافكار من الامور البديهية في اي عمل بحثي يقوم الباحثين بإعداده، وهذا الجانب تميز فيه المؤلف المقداد بإغفاله، فمن خلال العنوان يخيل للقارئ البسيط أن عبارة فلسفة التاريخ مجرد عمق داخل لليمن بينما مدلولها منهجي لم نجد له اي اشارة في مضمون البحث من البداية حتى النهاية، فضلاً عن ذلك حاول المؤلف حشو بعض العناوين بعبارات يبدوا انه لا يعلم مدلولاتها العلمية، اضافة إلى حشر موضوعات بعيدة من حيث السياق والمضمون عن عنوان الكتاب والموضوعات التي تم تناولها فيه، فلم نجد اي مسوغ لعرض موضوع اليمن والزيدية علاقة وتاريخ في هذا الكتاب الذي يتناول احداث سياسية بعيداً عن الجانب الفكري والأيديولوجي، وهذا من الاخطاء التي وقع فيها المؤلف باعتبار ان السياق الموضوعي للكتاب لا يتناسب مع عرض موضوع فكري، نظراً لعدم وجود اي علاقة موضوعية لذلك تتطلب عرض مثل هكذا مواضيع كون هذا الامر مرتبط بشكل كبير بالحديث عن تاريخ البحر الاحمر حصراً.

الربط بين الموضوعات:

لست في معرض التقليل من شأن هذا الجهد العلمي القيم الذي انتجه المؤلف محمد محسن المقداد، فحجم الجهد واضحاً في ثنايا صفحات هذا الكتاب

لكن ما يهمنا هو معرفة قدرة المؤلف في الربط بين الموضوعات التي تناولها المؤلف، إذ يبدوا أن المؤلف وقع في خطاء منهجي يتضح من خلال النظر إلى العناوين التي انتقاها، واغلبها يبين وجود علاقة موضوعية مع بعضها، وحتى لا نقلل من جهد المؤلف تبدوا ان استعارة المؤلف لعناوين منهجية بعيده عن المنهج ذاته، شكلت نقطة غير متجانسة في عملية التناسق والربط الموضوعي بين عنوان واخر، إذ حاول المؤلف حشر جوانب بعيدة عن السياق الاساسي للكتاب.

ترتيب الافكار:

لايستطيع اي باحث انكار حجم الكم الهائل من المعلومات التي استطاع المؤلف المقداد جمعها في هذا الكتاب محور الدراسة، إلا انه يجعل من المطلع على هذا الكتاب في حيرة من أمره، في تتعب السرد الذي دونه المؤلف، إذ تميز بقدرة واسعة في الانتقال بالمطلع على ثنايا هذا الكتاب من اتجاه تاريخي ومرحلة معينة، إلى سياق واتجاه تاريخي أخر يختلف من حيث السياق والمضمون عن الفكرة الأولي التي شد فيها المؤلف انتباه القارئ، فضلاً عن ذلك نجد أن المؤلف في تناوله لبعض الجوانب، كان واعياً في طرح الفكرة وإيجاد شواهد تاريخية لها.

الخاتمة:

خرجت الدراسة بالنتائج الاتية:

- انتماء المؤلف محمد محسن المقداد لإسرة قيادية كان لها تأثير في تاريخ اليمن الحديث والمعاصر.
- المام المؤلف بموضوعات تاريخية مختلفة مرتبطة بقضايا اليمن وتأثير البحر الاحمر
- تميز أسلوب المؤلف باتباعه طريقة السرد التاريخي في تناولاته للأحداث واستعاضة بعض الالفاظ العامية الدارجة في كتابه.
- اغفال المؤلف استخدام المنهجية التاريخية في تناولاته للموضوعات التاريخية داخل هذا الكتاب.

قائمة المصادر والمراجع:

١. ابراهيم احمد المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ج١، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، ط٢، ٢٠٠٤م.

٢. حسين عبدالله العمري، ذمار، الموسوعة اليمنية، ج٢، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، ط٢، ٢٠٠٣م.

٣. محمد احمد الحجري، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، ج١، تحقيق: اسماعيل بن علي الاكوع، دار الحكمة اليمانية، ط٢، ١٩٩٦م.

٤. محمد بن محمد يحي زبارة، نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر، ج١، تحقيق: عبدالله بن عبدالكريم الجرافي، مكتبة الارشاد، صنعاء، ط١، ٢٠١٠م.

٥. محمد محسن المقداد، اليمن بين مشاطئتها للبحر الاحمر وفلسفة أحداث التاريخ، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، د.م، ط٢، ٢٠١٥م.

٦. www.adengad.net.

٧. إبراهيم يحي عبدالله الديلمي، الاديب عبدالله بن يحي الديلمي حياته وشعره، د.م، د. ت، ص ٥-٨، ebrahimdilami. Bologspot. Com

٨. المرأة في المثل الشعبي اليمني، نشرت هذه المعلومات عبر موقع: khabarkhair. Net

٩. حسين علي الحبيشي؛ وابراهيم احمد المقحفي، حنيش (جزيرة)، الموسوعة اليمنية، ج٢، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، ط٢، ٢٠٠٣م.

١٠.عبداللطيف الادهم، ذويزن (سيف ابن)، الموسوعة اليمنية، ج٤، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، ط٢، ٢٠٠٣م.

١١.محمد بن علي بن محمد الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ج١، تحقيق: محمد حسن حلاق، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ٢٠٠٦م.

١٢.محمد حسن العيدروس، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط٢، ١٩٩٨م.

١٣.سهيل زكار، الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، ج١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ١٩٩٥م.

١٤.عبدالوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، ج٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.

١٥.محمود ثابت الشاذلي، المسألة الشرقية دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية (١٢٩٩-١٩٢٣م)، مكتبة وهبه، القاهرة، ط١، ١٩٨٩م.

١٦.أحمد علي الماخذي، الزيدية (فقه)، الموسوعة اليمنية، ج٢، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، ط٢، ٢٠٠٣م.

الـدرّة اليتيمة
بذكر (مدينة الدور) في النصوص والأخبار التاريخية القديمة

إبراهيم فاضل الناصري
الباحث في التاريخ والتراث

ملخص البحث

على هامش، التقدم النوعي الحاصل في مضمار قراءة النصوص المسمارية. وبظل الحرفية العالية التي اكتسبتها حركة الترجمة للموروث الفكري والتاريخي السرياني يجيء بحثي هذا، والذي اردت به إعادة استقراء التاريخ القديم لـ (مدينة الدور) الحاضرة النهرينية الناهضة على ضوء ما ظهر حديثا من التواريخ وما اكتشف من النصوص، معدلا ومكملا ما كنت كتبته عنها.

عنوان البحث: جاء البحث يحمل العنوان: (الدرة اليتيمة بذكر مدينة الدور في النصوص والاخبار التاريخية القديمة).

هدف البحث: يهدف البحث للوصول الى رسم الصورة التاريخية المعبرة عن الهيئة المدنية التاريخية لمدينة لدور وهي باول عهد حضري لها.

الغاية من البحث: وان الغاية النهائية للبحث هي استكشاف حقيقة مدينة الدور كمدينة تاريخية قديمة، ورسم ملامحها الحضرية المبكرة ضمن الثابت المكاني والمحدد الزماني اللذان يشكلان حالتها في الجغرافية التاريخية.

حدود البحث: وان الحدود المكانية للبحث تمتد في المكان لترسم الحدود الإدارية لمركز قضاء الدور الحالي، اما الحدود الزمانية فتجسد الازمان التاريخية العتيقة والتي هي ضمن المراحل ما قبل الإسلام تحديدا.

الكلمات المفتاحية: التاريخ القديم لمدينة الدور، المصادر الكلاسيكية القديمة، التواريخ السريانية، النصوص المسمارية.

موقع الدور

تقوم مدينة الدور في موضع هضبي، يقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة الى الشمال من مدينة سامراء بنحو ٤٠ كم وفي الجنوبي الشرقي من تكريت عبر النهر بنحو ٢٥ كم. وموضعها الأرضي بين دائرتي عرض ٣٤ ْ و٥٠ ْ ٣٤ شمالاً، وبين خطي طول ٤٥ ْ ٤٣ وْ٤٤ شرقاً، ويرتفع عن مستوى سطح البحر بحدود ١١٠ متر، ضمن منطقة تلاعيّة كهفية، تشكل التخوم الجنوبية للمنطقة المتموجة التي تشغلها طبوغرافية منطقة وسط العراق [(١)].

---

(١). الناصري، إبراهيم فاضل، مدن عامرة لها تاريخ في =

مقدمة تاريخية

لعل من حسن الاستهلال، هو الذكر بأن تحديد تاريخ قيام (مدينة الدور) وتبيان مدى إيغالها في القدم المدني [(١)]، لمن الصعوبة، ذلك لندرة المصادر التاريخية المتوفرة والمتاحة في ذلك، بيد انه يمكن التصريح بقدم المدينة.

فلقد أكد المؤرخون على ان هذه البلدة كانت آهلة بالسكان منذ قديم الزمان [(٢)]. اذ انها قامت كقرية في مرحلة زاهرة من عصر الدولة العربية الاسلامية، على كهف ذي صخور وحجارة، يطل على دجلة من جهة الشرق مناوحا الغرب [(٣)]، عند موضع مدني قديم هو موضع مدينة (دورا) التي ذكرها المؤرخ الروماني اميانوس مارسيلينوس ضمن سرده لوقائع التقهقر الكبير للجيش الروماني بعد هزيمته امام جيش الفرس بقيادة الملك سابور، ومقتل قائده الامبراطور يوليان ثم تولي القيادة من قبل الامبراطور جوفيان [(٤)] ضمن غمار وقائع دار اوارها بين الجيش الروماني والجيش الساساني عند تخوم مدينة (طيسفون) في عام ٣٦٣ م [(٥)]، إذ جاء نص المؤرخ اميانوس، مرسيلينوس وهو يقول: (وسرنا في اليوم الأول من تموز مسافة (٣٠ فرلونج - أي ما يعادل ستة الاف متر-) حتى بلغنا مدينة تسمى - دورا - وضاعت علينا أيام أربعة في هذا الموضع بسبب عناد الفرس وعدائهم، ذلك أنهم يغذون في السير في أعقابنا) [(٦)].

وهكذا فأن مدينة الدور وعلى حسب ما يذكر

=

وادي الرافدين العريق، دار دجلة، عمان، ١٩١٩م، ص١٠٩

(١). فرنسيس، بشير، موسوعة المدن في العراق، مجلد٢، تحقيق جنان بشير فرنسيس، لندن، ٢٠١٧م، ص٤٦٤

(٢). السامرائي، يونس ابراهيم، دليل سامراء، بغداد، دار البصري، (بلا)، ص٧٧

(٣). الدجيلي، الشيخ كاظم، مدينة الدور، مجلة لغة العرب، العد ١٢، سنة ١٩١٢م، ص٤٧٠.

(٤). الدكتور باقر، طه، والدكتور فؤاد سفر، المرشد الى مواطن الاثار والحضارة، الرحلة الثانية، بغداد، وزارة الارشاد، ١٩٦٢م، ص٢١.

(٥). مرسيلينوس، اميانوس، العراق في القرن الرابع الميلادي، ترجمة فؤاد جميل ود. سالم الالوسي، دار الوراق، (بيروت، ٢٠٠٨) ص٥٤؛ د. سالم الالوسي، اكتشاف مهم، مجلة سومر، العدد ١٠ لسنة ١٩٥٤م، الجزء الثاني، ص١٤٧؛

Rome -- History. Ammianus Marcellinus. London. 1902.p391

(٦). مرسيلينوس، اميانوس، العراق في القرن الرابع الميلادي، ترجمة فؤاد جميل، دار الوراق، (بيروت ٢٠٠٨) ص٥٤؛ د. سالم الالوسي، اكتشاف مهم، مجلة سومر العدد ١٠ لسنة ١٩٥٤م، الجزء الثاني، ص١٤٧؛

Rome History. Ammianus Marcellinus. London. 1902.p391

الرحالة (جون آشر) تحتضن في أحد مواضعها مثوى الإمبراطور الروماني جوليان كما وتحتضن موضع العبور التاريخي للرومان بأعقاب تقهقرهم التراجعي [١].

ولقد عاد موضعها التليد في العهد العباسي الزاهر، وتحديدا في أيام المعتصم ليحتضن بلدة من جديد. ومن ذلك التاريخ باتت تذكر في كتب التراث والرحلات حيث ورد ذكرها في معجم البلدان لياقوت الحموي تحت اسم؛ دور تكريت، اذ قال فيه: (دور تكريت بين سامراء وتكريت هو أحد سبعة مواضع تحمل ذات الاسم، وتعد من نواحي بغداد) [٢]. وأشار اليها الزبيدي في تاج العروس بسمة (الدور العليا) [٣]. وسماها ابن حوقل في كتابه صورة الأرض بسمة: (دور الحرب) [٤]ولعل هذا معبرا عن كونها خربة لبلدة داثرة. بينما ذكرها ابن سرابيون بسمة: (دور الحارث). ويخبرنا الشيخ يونس السامرائي في كتابه الذي وضعه فيها واسماه، تاريخ الدور: (أن المدينة قد خربت في آخر عهد الساسانيين في العراق، ثم بقيت خربة حتى عهد العباسيين، حيث أعيد بناؤها على يد الخليفة المعتصم بن هارون الرشيد في سنة (٢٢١هـ) على أثر تأسيسه لحاضرته في موضع سامراء المجاورة لموضعها) [٥].

ثم ما فتئ ذكرها يأتي على هامش الحوادث في السنين التي تلت، ومنه ذكرها كقطيعة تابعة لإمارة العقيليين بتكريت أيام اميرها حماد بن مقن [٦]. وقد عرّفها الرحالة الفرنسي تافرنيه في رحلته الى العراق بقوله: (انها بلدة على الجهة الآشورية) [٧]ولقد ميزها كتاب بلدان الخلافة الشرقية عن غيرها من التي تحمل اسم دور فقال بانها غير دور عربايا [٨]. وذكرت المسز بيل في كتابها (امورات الى امورات): انها قرية تقع فوق موقع قديم [٩]. وقال عن موضعها السير واليس بدج: (ومما لا مراء فيه أن قد وجدت في موضعه مدينة منذ أوغل الأيام قدما)، ثم أضاف: (وكانت هناك

(١). السير آشر، جون، رحالة اوربيون في العراق، الوراق، (بيروت ٢٠٠٨)، ص١٣٨

(٢). الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، المجلد الثاني، مادة الدال، ص٤٨١

(٣). الزبيدي، مرتضى، تاج العروس، المجلد٦، القاهرة، بلا، ص٤٢٤

(٤). النصيبي، ابن حوقل، صورة الأرض، بيروت، ١٩٩٢، ص٢١٨

(٥). السامرائي، يونس، تاريخ الدور، ص٩

(٦). الصفدي، صلاح الدين، الوافي بالوفيات، ج ١٣، دار احياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م، ص٩٤

(٧). السير تافرنيه، جان بابتيست، العراق في القرن السابع عشر، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، الدار العربية للموسوعات، (بغداد٢٠٠٦)، ص٥٦.

(٨). لسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة كوركيس عواد وبشير فرنسيس، مطبوعات المجمع العلمي، بغداد، ١٩٥٤م، ص٨٢

(٩). gretrude bel, amurath to amurath, London,٢٠١٠، p٢١٤

مدينة أيام الفرثيون، ويذكر اميانوس مارسلينوس (دورا-dura) سنة ٣٦٣ للميلاد. وقيل بذلك إن القائد جوفيان وجنوده عبروا دجلة عند هذا الموقع بعينه إثر موت القائد يوليان. ويذكر بلدة الدور المؤرخون ويسمونها دور الحارث او دور تكريت تمييزا لها عن - دور عربايا - التي هي كرخ سامراء) [١]. وقال عنها كاظم الدجيلي في مقال كتبه عنها في مجلة لغة العرب سنة ١٩١٢م: (أنها قرية تقوم فوق مكان قديم وتحيط بها خرائب قديمة [٢]).

ولقد عثر أهل الآثار على قبور في شمال الدور تدل على أنها عاصرت الأدوار الآشورية إذ جاءت طريقة بناءها دالة على ذلك، وهي عبارة عن توابيت فخارية، وهذا ما كان قد استعمله الآشوريون حقا في الدفن [٣].

أما عن أصل اسمها: (الدور) ومعناه فلقد وردت عدة رؤى بصدده، بيد ان أبعدها اشارة هو ما ذهب اليه المستشرق ريج في أن اسمها انماء يمتد إلى أمد بعيد، إذ جاء ذكر سهل الدور في أحد الأسفار القديمة [٤]. أيضا هنالك الرأي الذي ساقه لنا الباحثان الدكتور طه باقر والدكتور فؤاد سفر في رحلتهم الاثارية والذي مفاده: (تقوم قرية الدور قرب موضع قديم... والجدير بالذكر ان كلمة دور من الالفاظ الاشورية البابلية التي تعني القلعة او الحصن مثل دور شروكين ودور كوريكالزو وغير ذلك [٥]، على الرغم من ان الدكتور طه باقر له رايا اخر في كتابه المنفرد من تراثنا اللغوي حيث فسر فيه كلمة دور بقوله؛ (وفي الا كدية تطلق كلمة دور duru على السور والحصن والجدار، ومنها الكلمة الآرامية دور، واشتقت من كلمة دور البابلية أسماء جملة مدن ومستوطنات شهيرة في وادي الرافدين [٦]. ولقد استمرت هذه التسمية لبلدة الدور عبر عهود الازدهار العربي، حيث ذكرتها المصادر العربية والإسلامية، تارة تحت مسمى دور الخرب [٧] وتارة تحت مسمى دور

---

(١). بدج، السير واليس، رحلات إلى العراق، ج١، بغداد، بلا، ص٣٦١.

(٢). الدجيلي، الشيخ، مجلة لغة العرب، مدينة الدور، العدد ١٢ لسنة ١٩١١٢م ص٤٧٢,

(٣). تقارير التحريات الاثرية لمديرية آثار صلاح الدين في مدينة الدور.

(٤). ريج، السير كلوديوس، رحلة ريج إلى العراق. بغداد، بلا، ص١٨٧.

(٥). الدكتور باقر، طه، والدكتور فؤاد سفر، المرشد إلى مواطن الآثار والحضارة، الرحلة الثانية، بغداد، ١٩٦٢م، ص٢١.

(٦). الدكتور طه باقر، من تراثنا اللغوي القديم، دار الوراق، بغداد، ٢٠١٠م، ص١٠٣

(٧). النصيبي، ابن حوقل، صورة الأرض، ص٢٤٤؛ البغدادي، ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، مج٢، ص٥٣٨.

الحارث (١) أو الدور العليا (٢)، وهذا الأخير أجده أقدم الأسماء التي عرفتها مدينة الدور وهو يؤول إلى العصر الآشوري، إذ أنه قد ورد في نص مسماري من العصر الآشوري الحديث كما مر آنفا.

المدنيات العتيقة لـ الدور

مدينة (دور ـ بيل ـ إيليا) (٣):

(١). سهراب، بن سرابيون، عجائب الأقاليم السبعة، (فينا ١٩٢٩). ص١٢٧.

(٢). هنالك إشارة في إحدى نصوص العهد الآشوري الحديث إلى مدينة جنوبي الزاب الأسفل اسمها (دور بيل إيليا)، ولعلها من ذلك نعتت لاحقا بالدور العليا.

(3). انظر: (Adapted from Andreas Fuchs and Simo Parpola, The Correspondence of Sargon II, Part III: Letters from Babylonia and the Eastern Provinces (State Archives of Assyria, ١٥) ٢٠٠١, Lemmatised by Mikko Luukko, ٢٠٠٩-١١ as part of the AHRC-funded research project Mechanisms of Communication in an " Ancient Empire: The Correspondence between the King of Assyria and his Magnates in the ٨th Century BC" AH/F٠١٦٥٨١/١; University College) London) directed by Karen Radner. The annotated edition is released under the Creative Commons Attribution Share-Alike license ٣,٠, Please cite this page as (/http://oracc.org/saao/P٣٣٤٣١٦

مدينة آشورية ذات أهمية جيوسياسية، ذكرت في نصوص مسمارية من العصر الاشوري الحديث بالصيغة المسمارية (Dur-Bel-ila'iو dur-bel-iliya) (٤)، وجاء عنها أنها من مدن المنطقة التي تمتد إلى جنوب الزاب الأسفل باتجاه التخوم البابلية (٥). كما ورد ذكرها في أكثر من نص مسماري كونها تقع في المنطقة ما بين حوض حمرين وبين مصب الزاب الأسفل، ففي رسالة بعثت الى الملك سرجون الثاني من قبل (نابو بيل اوكين) يخبره فيها بانه ذهب الى مدينة ميترنات Meturnat (وهي مدينة في حوض حمرين الاعلى) وفي طريق عودته مكث بعض الوقت في مدينة (دور بيل إيليا) (٦). وفي نص مسماري اداري اخر عثر عليه في (كالخو -نمرود) يأتي ذكر مدينة (دور بيل إيليا Dur-Bel-ila'i) ضمن تعداد المدن التي تقع في المنطقة التي تمتد في جنوبي الزاب الأسفل، باتجاه التخوم البابلية (٧)

(٤). حنون، الدكتور نائل، مدن قديمة ومواقع اثرية، دار الزمان، دمشق، ٢٠٠٩م، ص٣٣٣

(٥). انظر: الناصري، إبراهيم فاضل، المدن التاريخية والمواقع الحضارية. دار الفا دوك. قسنطينة، ٢٠٢٠م

(6) Albert Kirk GRAYSON.CHRONICLES Assyrian and Babylonian Chronicles.NO.٢١IV;١-٤

(7) Parker, ' Administrative tablets from the North - west Palace, Nimrud ', in Iraq ٢٣ pp. ٤٢f ,(١٩٦١)

وهو ما يتطابق مع موقع الدور الحالي. أما الموقع الأثري لهذه المدينة الاشورية فهو عندي لا يعدو الا ان يكون ذاته موقع (الدور العليا - دور تكريت)، وان خير معزز لرؤيتي هو انه قد جاء ذكرها بهكذا صيغة أي (دور عليا – دور إيليا) في كتب البلدانيين العرب والمسلمين ومنها كتّاب معجم البلدان (١). وان موقعها التاريخي بحسب ما أرى انما قد قامت عليه او أقيمت عنده مدينة الدور الحالية، وهو غيره موضع (الدور السفلى) الذي تجيء تسميته لدى البلدانيين العرب والمسلمين بـ (دور سامراء او دور عربايا) والذي كان يشكل قطيعة عباسية موضعها يقع شمالي كرخ سامراء، وكان في أحد نواحيه دير يعرف بـ (دير الطواويس) (٢).

نهر (دور- ايلي):

نهر محلي او قناة نهرية يرد ذكرها في حوليات الملك ادد نيراري الثاني بالصيغة (آنا ميش دور ايلي DUR-ILI.ANA.MES). (٣) اذ يجيء خبره ضمن نص يقول ان الملك ادد نيراري قد سيطر على منطقة تقع على الحدود الجنوبية للدولة الاشورية مع الدولة البابلية وانه وصل الى حد نهر يسمى دور ايلي يقع في الصقع الواقع الى الجنوب من الزاب الأسفل وفي غربي منطقة (الشاي) (٤). اما موقعه اليوم فهو عندي لا يعدو الا ان يكون الأساس لاحد تفرعات النهر المسمى بالجعفري نسبة الى من أعاد حفره.

مدينة (دورا):

مدينة قديمة كانت تعد من ضمن التخوم السفلى لبلاد آشور او دولة اشور، واسمها كان يأتي مذكورا بالصيغة دور او دورا، فقد ورد ذكرها في اخبار حملة الملك الاشوري سرجون الثاني على ملك العيلاميين وعلى حليفه مردوخ بلادان البابلي سنة ٧٢٠ ق.م حيث ان الخبر يأتي يبين ان الملك العيلامي اومانيكاش كان قد انتهى في تقدمه الى مدينة اسمها دور وعسكر عندها ينتظر وصول مردوخ بلادان حليفه ليتقدموا صوب بلاد اشور وبينما هو على ذلك إذا بالملك الاشوري سرجون الثاني يفاجئه بان يحمل عليه بشدة ويهزمه في المكان (٥). كما وقد ورد ذكرها بهذه التسمية (دورا-dura) في الاخبار القديمة التي جاءت تروي انسحاب جيش الرومان المتقهقر بقيادة جوفيان الروماني بعد وفاة سابقه القائد جوليان اذ يخبرنا اميانوس مارسيلينوس بان الامبراطور

(١). الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٢٠

(٢). ابن عبد الحق، عبد المؤمن، مراصد الاطلاع، ج٢، دار الجيل، بيروت، ص٥٣٩

(٣). حنون، الدكتور نائل، مدن قديمة ومواقع اثرية، ص٢٩٨

(4) .p205GRAYSON.CHRONICLES .Assyrian and Babylonian Chronicles

(٥). الاسقف ادي شير، تاريخ كلدو واثور، ج١، مكتب اغاجان، ٢٠٠٧م، ص١٢٩

الروماني جوفيان زوجيوشه المندحرة في معركة مع الفرس عند طيسفون سلك عام ٣٦٣م طريقا يحاذي نهر دجلة من الجهة الشرقية ثم بعدما اجتاز مكانا يدعى كرخا (كرخ سامراء) بيوم كامل بلغ مدينة دورا وبعد أربعة أيام من التعسكر تم خلالها عقد معاهدة صلح وتسليم مع الفرس، عبر بجيشه دجلة في موضع قربها فيه مخاضة ومنه حث السير بمن نجح في العبور نحو نصيبين سالكا اقصر الطرق(١).

مدينة حطارا:

حطارا hatarra أو حطر Htara كانت في الأزمنة الدائرة تعد من قرى مقاطعة طيرهان الزراعية المشكلة للساحل الشرقي ما بين جنوبا سامراء والبوازيج شمالا (٢). وهي في عهد التمكين الآرامي الذي كان دوره في مرحلة من مراحل ما قبل الإسلام انما عدت المركز الحضري لإحدى الامارات الآرامية التي قامت بأطراف مدينة الدور وجاءت تحمل ذات الاسم امارة حطارا والتي هي في شأنها المذكور انما كانت على غرار إمارة حدياب وإمارة ميشان وامارة سنجار، ولقد كان لها دور في الحروب الدائرة في سنة ١٩٤ م بين ملوك الطوائف الرومانيين في المنطقة، حيث ان من الأمور التي سجلت لإمارة حطارا أنها وقفت في وجه الجيوش الرومانية التي شددت الحصار عليها في عام ١٩٨م ولم تمكن من اقتحامها (٣). ولقد كان لها ذكر في عهد بزوغ النصرانية اذ ذكرت ضمن اخبار القديس مار ماري تلميذ مار ادي الرسول الذي انفذ الى بلاد الطيرهان للتبشير (٤). كما وكان لها ذكر كبلدة سريانية لها صيت في كتاب (شرائع البلاد) للكاهن برديصان وهو من رجال المائة الميلادية الثانية، اذ جاء ذكرها خلاله باسم حطارا (٥). أيضا كان لها ذكر في اخبار الاسقف مارن عمه الحطاري الطيرهاني وهو من أساقفة النصارى في منتصف القرن الثامن للميلاد، اذ انها تعد مسقط راسه (٦). ولقد استمرت في الوجود حتى العهود الإسلامية الزاهرة المتأخرة اذ ورد ذكر اسمها واخبارها في كتب البلدانيين المسلمين، فمثلا البلداني ياقوت الحموي يذكرها

(١). الالوسي، سالم وفؤاد جميل، العراق في القرن الرابع، ص١٥٠؛ سالم الالوسي، مجلة سومر العدد ١٠ لسنة ١٩٥٤م، الجزء الثاني، اكتشاف مهم، ص١٤٧

(٢). المرجى، توما، كتاب الرؤساء، تحقيق البير ابونا، الموصل، ١٩٦٦م، ص١٢٧

(٣). الاسقف ادي شير، تاريخ كلدو واثور، ج١، ص ٢٢٨

(٤). السعردي، مختصر الاخبار البيعية، ترجمة وتحقيق بطرس حداد، بغداد، ٢٠٠٠م، ص ١١٣.

(٥). الاسقف ادي شير، تاريخ كلدو واثور، ج٢، ص٢٧

(٦). الاسقف المرجي، توما، كتاب الرؤساء، ص١٣٢و ص١٥٠

بمستوى قرية ويوردها بتسمية هاطري [١]. غير أنها خربت ثم اندثرت في نهايات العصر العباسي. وأما موقعها اليوم فهو لا يعدو عندي أن يكون تلول هاطرى الواقعة بأعلى قصبة الدور على الشاطيء الأيسر لدجلة. ولقد توهم في أمرها البلدي العديد من الباحثين المحدثين فخلطوا بالإشارة بينها وبين بلدة الحضر (حترا او حطرا) بأسفل الموصل مثلما خلطوا بينها وبين بلدة حطارا التي كانت قرب منطقة العزير في محافظة ميسان والتي كانت معسكر لأسرى السبي اليهودي. واما عن اسمها فبالاستفادة من المعاجم السريانية فهو يعني (الرحا) وهو من جذر (هطر) والتي تفيد معنى طحن، وذلك انما هو متأتي من وظيفتها النهائية وهي طحن الحبوب بانواعها لتركز المطاحن التي تدور بقوى تيار الماء فيها.

مدينة أوينا:

أوينا او اوينة قرية سريانية قديمة تقع في جنوبي قصبة تكريت، ضمن منطقة الطيرهان التي هي جزء من بيث كرماي [٢]. ورد ذكرها ضمن اخبار انسحاب جيش الرومان بقيادة جوفيان عام ٣٦٣م بصيغة (بيث أونا – bethauna) [٣]. أنجبت عددا من أعلام الثقافة السريانية أمثال ربان مار سبريشوع مؤسس دير بيث قوقا على الزاب الكبير ومن رجال المائة السابعة للميلاد [٤]. والعالم الفلكي الحسن بن بهلول صاحب المعجم الشهير [٥]. وكانت تقوم فيها مدرسة معرفية مهمة [٦]. ولقد خربت منذ أمد بعيد جدا وموقعها الأثري اليوم لا يعدو عندي إلا أن يكون المنطقة التي تضم تل (قبر العروس) في قرية عوينات بمحاذاة العوجة من الجنوب. وان اسم قرية عوينات الحالية إنما هو مشتقا من اسم اوينة هذه القرية العتيقة. وهي على حسب ما توصلنا انما تختلف عن أوانا التي في مقاطعة حدياب وعلى مسافة ١٨ كم شرقي الكوير وعن اوانا التي هي بإزاء اسكي موصل على الشاطيء الشرقي لدجلة كذلك عن اوانا التي موقعها ضمن اعمال مقاطعة دجيل والتي هي بلدة إسلامية خالصة وقامت في عهد الإسلام [٧].

---

(١). الحموي، ياقوت، معجم البلدان، الجزء الثاني، دار صادر، بيروت، ص ٤٨١

(٢). الناصري، إبراهيم فاضل، تاريخ الازمان في مملكة حطارا وبلاد الطيرهان، عمان، ٢٠٢١م، ص ٥٧

(٣). مارسيلينوس، اميانوس، العراق في القرن الرابع الميلادي، ترجمة فؤاد جميل، سالم الألوسي، ص ١٥٠

Rome History. Ammianus Marcellinus. London. 1902.p391

(٤). الاسقف المرجي، توما، كتاب الرؤساء، ص٢٢

(٥). الاسقف المرجي، كتاب الرؤساء، ص٩٨

(٦). الاسقف المرجي، توما، كتاب الرؤساء، ص٢٢

(٧). الاسقف المرجي، كتاب الرؤساء، ص٩٨

بلدة باحّرين:

باحّرين (pahirin) قرية كانت قائمة في عصر ما قبل الإسلام، وكانت تعد مركز أبرشية (اسقفية) لنصارى السريان [١]، حيث شكلت مركزا لأسقفية الجزيرة الفراتية أي الأبرشية السابعة لجثلقة الإقليم الشرقي [٢]. وهي بحسب الاخبار الواردة عنها كانت الى جوار أبرشية كرمي. إذا ما علمنا أن كلمة بحرين قد جاءت من الصيغة باحرين السريانية والتي أما أنها تعني بيت الطين الحري إذا كان أساسها باحرا أو تعني بيوت الآخرين إذا كان أساسها باحران. ولعلها في نظري لا تعدو ان تكون هي ذاتها مدينة باخراني او فاخراني (pahrani) التي ورد ذكرها في احدى الوثائق الاشورية المكتشفة في مدينة اشور حديثا على ما يذكر الدكتور عامر الجميلي في أحد بحوثه المنشورة عن تأصيل المدن القديمة والتي اوّل بان معنى اسمها انما جاء ليعطي دلالة اكدية عن موضع الفخارين اي المتعاملين مع صناعة الفخار وهو بذلك لم يبتعد عن رؤيتي فيها بانها انها معدن الطين الحري (بيت الطين الحري) مادة الفخّارين. وأما عن موقعها الأثري اليوم فهو لا يعدو في رأيي إلا أن يكون تلول (أبو جعلات) من أراضي قرية الناعمة [٣].

مدينة (مشخط ـ شاري):

مدينة اشورية، جاءت مذكورة في نصوص تعود الى العصر الآشوري الوسيط، بالصيغة maskhat-shrri [٤]. اذ بحسب نصوص مسمارية تعود الى عهد الملك توكلتي نينورتا الأول فأنها تعد من المدن القائمة في المنطقة الواقعة الى الجهة اليسرى من الزاب الأسفل، وأن موقعها انما هو يشكل نقطة البداية لخط الحدود بين الدولتين الآشورية والبابلية [٥]. اما موقعها الأثري فهو بتقديري لا يعدو ان يكون ضمن منخفض (الشاري) في شرقي الدور، وان اسم هذا المنخفض المائي الأزلي الخالد، انما قد اشتق من اسم هذه البلدة، التي حتما أنها كانت تقع في نقطة معينة على شاطئه [٦].

مقاطعة (الايتوعا):

منطقة رعي واسعة، تقع في شرقي الدور

---

(١). الدومنيكي، جان فييه، اشور المسيحية، ترجمة نافع تواس، ج٣، ص٣٨

(٢). السعردي، التاريخ السعردي، تحقيق ادي شير، ج٢، ٢٠١٠م، ص٢٢٣

(٣). الناصري، إبراهيم فاضل، تاريخ الازمان، دار زهدي، عمان، ٢٠٢٠م، ص٥٩

(4). حنون، الدكتور نائل، مدن قديمة ومواقع اثرية، ص٣٢٩؛ ARI ١: p ٦٩٤ GRAYSON.CHRONICLES Assyrian and Babylonian Chronicles.

(5). ARI ١: p ٦٩٤ GRAYSON.CHRONICLES Assyrian and Babylonian Chronicles.

(٦). الناصري، إبراهيم فاضل، المدن التاريخية، دار الفا، قسنطينة، ٢٠٢٠م، ص٦٥

وشمال شرقي سامراء، تنتثر فيها مواقع القرى الدائرة والدارسة التي تؤول الى عهود مختلفة لعل منها سحيقة بشكل تلال رملية. اختلف في تفسير اسمها بيد ان الدكتور عامر الجميلي يرى (١) انه من itua,a او ithua,a، اذ ان العيث برأيه انما هي من بقايا تسمية المكان العتيقة اذ ان اسم المكان قد تحور من الايثوعا او العيثوءا التي هي الايتوءا او الايتوعا خاصة وانا أؤيد ما جاء به الجميلي يدعوني الى ذلك ما توافر لدي من دلائل تاريخية تشهد على ان المنطقة المذكورة انما كانت احدى اهم مناطق انتشار قبيلة الايتوعا الآرامية النجار (٢).

قناة (ايبيلاسكي):

قناة مائية نهرينية قديمة تحمل اسما الهيا (٣). عرفتها الجغرافية التاريخية لمنطقة الدور، وقد جاء ذكرها في المعارف الجغرافية الاشورية بسمة ايبيلاسكي e-pi-la-as-ki (٤). اذ وردت بهذه الصيغة في القائمة الجغرافية الموجودة في كتاب رولنصون IIR والتي نقلها عنه اميل فورر forrer.RLA1 (٥). اما موضع هذه القناة اليوم فهو عندي لا يعدو ان يكون ذاته موضع النهر الذي امر الخليفة المتوكل بحفره، والذي سماه الدكتور احمد سوسة بالنهر الجعفري نسبة إلى أبو جعفر المتوكل وقال عنه: إن مشروع نهر الجعفري هو المشروع الذي انشأه جعفر المتوكل لإيصال المياه إلى مدينته الجديدة المتوكلية. اذ انه على حسب تقديري لا يعدو إلا أن يكون تلك القناة المائية الاشورية التي اسمها قناة ايبيلاسكي. وان هذا التأصيل مني انما له سنده. إذ يورد اليعقوبي في كتابه البلدان عن قدم هذا النهر بما نصه: (وعزم المتوكل ان يبتني مدينة ينتقل إليها وتنسب إليه... ويحفر نهرا قد كان في الدهر القديم. فاعتزم على ذلك وابتدأ العمل فيه...) (٦). ولعل من الآراء التي جاءت تعزز هذا السند هو ما ابداه الدكتور سوسة في تاريخ نشأته حيث قال فيه بعد ان وصفه (واننا نميل الى الاعتقاد بان منشأ النهر يرجع الى عهد ما قبل الفرس أي الى زمن الكلدانيين او الاشوريين ثم جاء المتوكل فأعاد حفره) (٧). كما وان الذي يؤيد نسبة هذا النهر الى

---

(١) (١). الدكتور الجميلي، عامر عبد الله، تحقيقات بلدانية لبعض المواقع الجغرافية من العصور الاشورية. بحث قيد النشر في مجلة جامعة تورنتو.

(٢). الناصري، ابراهيم فاضل، المدن التاريخية والمواقع الاثرية، ص١٦٦

(٣). حنون، الدكتور نائل، مدن قديمة ومواقع اثرية، ص٩١

(٤). الناصري، إبراهيم فاضل، المدن التاريخية، ص١٥٢

(5). Die Provinzeinteilung des assyrischen Reiches, von Emil Forrer.

Leipzig, J.C. Hinrichs, 1920.1 Von, p 257

(٦). اليعقوبي، احمد، كتاب البلدان، النجف، ١٩١٨م، ص٣٢

(٧). الدكتور سوسة، احمد، ري سامراء، الجزء الثاني، بغداد، ١٩٤٩، ص٣١٧

دهر اقدم من عهد المتوكل وان المتوكل انما كان قد أعاد حفره واحياه فضلا على ما تم ذكره هو ان المتارب المكونة من حفرياته تأتي بمستويين، اذ ان المتارب التي نتجت في عهد المتوكل جاءت على بضعة امتار من المتارب الاعتق بحيث يمكن تمييز المتارب المتوكلية عن المتارب الاعتق، كما ويلاحظ ان هنالك عدة مجار في صدر النهر يستدل منها على ان بعضها يرجع الى عهود تعود الى ما قبل عهد المتوكل لهذا نجد ان هناك تسميات مختلفة قد أطلقت على اقسام هذا النهر (١).

مقاطعة الطيرهان:

مقاطعة حضرية كانت تشكل الشريط الساحلي الممتد ما بين موضع سامراء جنوبا وحتى موقع البوازيج شمالا، وهي بقسمها الشرقي كانت ضمن إقليم باجرمي، ولقد عدت في عهد ما قبل الإسلام منطقة تركز للآراميين ثم خلائفهم من السريان، وصقعها يعرف ببيت كرماي. وهي تتكون من قرى حضرية أبرزها بلدة حطرا وبلدة باحرين وبلدة جبلتا وقرية الخصاصة وبلدتا كرمي وسدقنايا وهي بحدودها الحضرية الممتدة انما تضم الدور. ولقد أصبحت مركز أسقفية في عهد ترؤس (مدينة تكريت التاريخية) لكأس المشرق السرياني إذ أسست أسقفيتها في ٦٢٨م (٢).

عمر سطيح:

تل أثري يجيء مسجل ضمن قوائم المواقع الاثرية على الرغم من كونه غير منقب فيه لحد اليوم، وهو في حالته انما ينطوي على ركام حالة عمرانية مندثرة، وموقعه بالقرب من مشروع العظيم. فلعل اسمه (تل سطيح) حسبما أرى قد جاء منسوبا إلى اسم الشخصية التكريتية الأسطورية الصيت والمعروف صاحبها باسم سطيح الغساني أو عبد السطيح (٣)، ولعل حالته عندي ركام لقصر زائل او لدير قديم كان اخذ اسم الشخصية المذكورة.

المقصورة النهرية:

هو تل أثري، موقعه جنوبي قصبة الدور يعرف بتل البنات، قال عنه الباحثان د. طه باقر ود. فؤاد سفر: (لعله كان قبرا لأحد قادة الرومان المقتولين في المعركة التي جرت لهم ضد الفرس والتي حصلت عند الدور في عام ٣٦٣ م) (٤)، أما د. احمد سوسة فقال عنه؛ (انه منصة للتفرج على احدى حلبات السباق التي كان قد عملها

(١). الدكتور احمد سوسة، ري سامراء، الجزء الثاني، ص٣١٧

(٢). انظر: إبراهيم فاضل الناصري، تاريخ الازمان لمملكة حطارا وبلاد الطيرهان، دار زهدي، عمان ٢٠٢١م.

(٣). انظر: قصة حرب الامام علي مع الملك الغساني عبد السطيح، دراسة وتحقيق إبراهيم فاضل الناصري، القاهرة، دار نظر، ٢٠٢٣م

(٤). الدكتور باقر، طه وفؤاد سفر، المرشد الى مواطن الاثار، ص٢١

المتوكل في المكان) [1]. بينما هو عندي لا يعدو ان يكون منصة اصطناعية كانت قد عملت من متارب الحفر للنهر الذي تم حفره والذي جاءت تتوسطه كجزرة، لتكون كـ (مقصورة انتجاع ونزهة نهرية وان تاريخ قيامها انما يعود الى عهد الخليفة المتوكل.

مجرى الحفر:

هو أثر لقناة او نهر محلي قديم جاء عنه في مجلة لغة العرب انه: (مجرى لنهر قديم كان يعرف بنهر الحفر وكان يجري في منطقة مسماة نائفة تقع على بعد٤٨ كم من جهة شمال غرب الدور وفوقه بساعة ونصف حاو يسمى اللكلك وهو بلسان العامة يسمى الوهدة وبعد أن يمتد هذا النهر إلى مسافة ٦٠ كيلو مترا يصب في نهر قديم يسمى نهر الرصاصي (شعبة من النهروان الأعلى) عند موضع فوق جامع أبي دلف التاريخي بكيلومترين وان احد جداوله بات يسمى حديد (كزبير). [2]ولقد تحرينا عنه في الدراسات الحديثة فوجدنا انه ذاته نهر الجعفري الذي أحياه المتوكل إذ جاء عن هذا النهر في إحدى دراسات الدكتور جابر خليل القول: (أما النهر الثاني الذي أحياه الخليفة المتوكل فهو الجعفري الذي تقع بدايته إلى الشمال من تكريت بأربعين كيلومترا في المنطقة المعروفة عند السكان باسم (نايفة) ويتجه هذا النهر جنوبا بمحاذاة نهر دجلة حتى مدينة المتوكلية الكائنة على مسافة ستين كيلومترا من صدره يمون بالماء بركة القصر الجعفري وجامع أبو دلف بالإضافة إلى إرواء مساحة كبيرة من المزارع والحقول الواقعة إلى اليسار من نهر دجلة. وأما بخصوص تاريخه فتذكر المصادر أن البداية في حفر هذا النهر كانت في شهر ذي الحجة سنة ٢٥٤هـ وتجدر الإشارة إلى ان الدلائل الأثرية توحي ان عقيف هذا النهر كان موجودا قبل تولي المتوكل إحيائه ويحتمل أن الآشوريين أول من حفر هذا النهر [3]).

الخاتمة

وهكذا وبعد جولة استقرائية تاريخية استندت على ما توافر من النصوص المسمارية والمصادر الكلاسيكية القديمة والمدونات السريانية، رغم قلتها وسلطت الأضواء على الكثير من الاخبار التاريخية وكشفت عن العديد من القراءات والاستنتاجات الاثرية، انتهي الى تشكيل او رسم الصورة التاريخية التي كانت عليها مدينة الدور- الحاضرة النهرينية في ازمان ازهارها الحضري التليد او الصورة التاريخية المعبرة عن جزء من حقيقتها التاريخية التي كانت عليها. مستهدفا اثارة الواقع النهضوي لها بكونها مدينة ذات عراقة ولابد لها من ان تأخذ مكانتها الحضرية الاصيلة في منظور المؤرخين وفي حسابات المعنيين بإحياء التراث الثقافي المدني من خلال الاهتمام بموقعها الاثرية والتاريخية والابراز لتاريخها العتيق.

(١). الدكتور. سوسة، احمد، ري سامراء، ج٢، ص٣١٧
(٢). المصدر نفسه ص٤٧٧
(٣). الدكتور سوسة، احمد، ري سامراء، ج٢، ص٣١

المراجع العربية

١. آشر، السير جون، رحالة اوربيون في العراق، الوراق، بيروت، ٢٠٠٨م

٢. الالوسي، الدكتور سالم، اكتشاف أثري مهم، مجلة سومر، العدد ١٠ للسنة ١٩٥٤م

٣. الالوسي، الدكتور سالم وفؤاد جميل، العراق في القرن الرابع الميلادي دار الوراق، لندن، ٢٠١٠م

٤. باقر، الدكتور طه، من تراثنا اللغوي القديم، الوراق، بغداد، ٢٠١٠م

٥. باقر، الدكتور طه، والدكتور فؤاد سفر، المرشد إلى مواطن الآثار والحضارة، الرحلة الثانية، بغداد، ١٩٦٢م

٦. بدج، السير واليس، رحلات إلى العراق، ج١، بغداد، بلا

٧. البغدادي، ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، دار الجيل، بيروت،

٨. تافرنيه، السير جان بابتيست، العراق في القرن السابع عشر، ترجمة الدكتور بشير فرنسيس والدكتور كوركيس عواد، بغداد٢٠٠٦م

٩. التقارير الخاصة بالتحريات الاثرية في منطقة الدور، مديرية آثار وتراث محافظة صلاح الدين

١٠. الجميلي، الدكتور عامر عبد الله، تحقيقات بلدانية لبعض المواقع الجغرافية من العصور الاشورية. بحث قيد النشر في مجلة جامعة تورنتو.

١١. الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٥٥م

١٢. حنون، الدكتور نائل، مدن قديمة ومواقع اثرية، دار الزمان، دمشق، ٢٠٠٩م

١٣. الدجيلي، الشيخ كاظم، مدينة الدور، مجلة لغة العرب، العد ١٢، للسنة ١٩١٢م

١٤. الدومنيكي، جان فييه، اشور المسيحية، ترجمة نافع توسا، مج٣، بغداد، ٢٠١٣م

١٥. ريج، السير كلوديوس، رحلة ريج إلى العراق. بغداد، بلا،

١٦. الزبيدي، مرتضى، تاج العروس، المجلد٦، القاهرة، ١٣٠٦هـ

١٧. السامرائي، الشيخ يونس ابراهيم، دليل سامراء، بغداد، دار البصري، (بلا)

١٨. السامرائي، الشيخ يونس، تاريخ الدور، بغداد- دار البصري، ١٩٦٦م

١٩. السعردي، التاريخ السعردي، تحقيق ادي شير، ج٢، ٢٠١٠م

٢٠. السعردي، مختصر الاخبار البيعية، تعريب وتحقيق بطرس حداد، بغداد، ٢٠٠٠م

٢١. سهراب، ابن سرابيون، عجائب الأقاليم السبعة، فينا، ١٩٢٩م

٢٢. سوسة، الدكتور احمد، ري سامراء، الجزء الثاني، بغداد، ١٩٤٩

٢٣. شير، الاسقف ادي، تاريخ كلدو واثور، ج١، مكتب اغاجان، ٢٠٠٧م

٢٤. فرنسيس، بشير، موسوعة المدن في العراق، مجلد٢، تحقيق جنان بشير، لندن، ٢٠١٧م

٢٥. الصفدي، صلاح الدين بن ايبك، الوافي بالوفيات، مج ١٣، دار احياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م

٢٦. لسترنج، السير كي، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة كوركيس عواد وبشير فرنسيس، مطبوعات المجمع العلمي، بغداد، ١٩٥٤م

٢٧. المرجى، الاسقف توما، كتاب الرؤساء، تحقيق البير ابونا، الموصل، ١٩٦٦م

٢٨. مرسيلينوس، اميانوس، العراق في القرن الرابع الميلادي، ترجمة فؤاد جميل ود. سالم الالوسي، دار الوراق، بيروت، ٢٠٠٨م

٢٩. المطلبي، محمد ابن إسحاق، قصة حرب الامام علي مع الملك الغساني عبد السطيح، دراسة وتحقيق إبراهيم فاضل الناصري، القاهرة، دار نظر، ٢٠٢٣م

٣٠. الناصري، إبراهيم فاضل، المدن التاريخية والمواقع

الحضارية. دار الفا دوك. قسنطينة، ٢٠٢٠م

٣١. الناصري، إبراهيم فاضل، تاريخ الازمان لمملكة حطارا وبلاد الطيرهان، دار زهدي، عمان ٢٠٢١م

٣٢. الناصري، إبراهيم فاضل، مدن صلاح الدين اخبار تالدة وآثار خالدة، دار أمجد، عمان ٢٠١٧م

٣٣. الناصري، إبراهيم فاضل، مدن عامرة لها تاريخ، دار دجلة، عمان، ١٩١٩م

٣٤. الناصري، إبراهيم فاضل، مدن دائرة في أواسط بلاد ما بين النهرين، عمان٢٠١٨م

٣٥. النصيبي، ابن حوقل، صورة الأرض، طبعة بيروت، ١٩٩٢، وطبعة ليدن ـ بريل ١٩٣٨م

٣٦. اليعقوبي، احمد، كتاب البلدان، النجف، ١٩١٨م

المراجع الاجنبية

1. Albert Kirk GRAYSON.CHRONICLES Assyrian and Babylonian Chronicles.NO.21IV;1-4
2. ARI 1: p 694 GRAYSON.CHRONICLES Assyrian and Babylonian Chronicles.
3. Die Provinzeinteilung des assyrischen Reiches, von Emil Forrer.
4. GRAYSON.CHRONICLES Assyrian and Babylonian Chronicles .
5. gretrude bel, amurath to amurath, London,2010, p214
6. Leipzig, J.C. Hinrichs, 1920.1 Von, p 257
7. Parker, ' Administrative tablets from the North - west Palace, Nimrud ', in Iraq 23 (1961).

Rome History. Ammianus Marcellinus. London. 1902

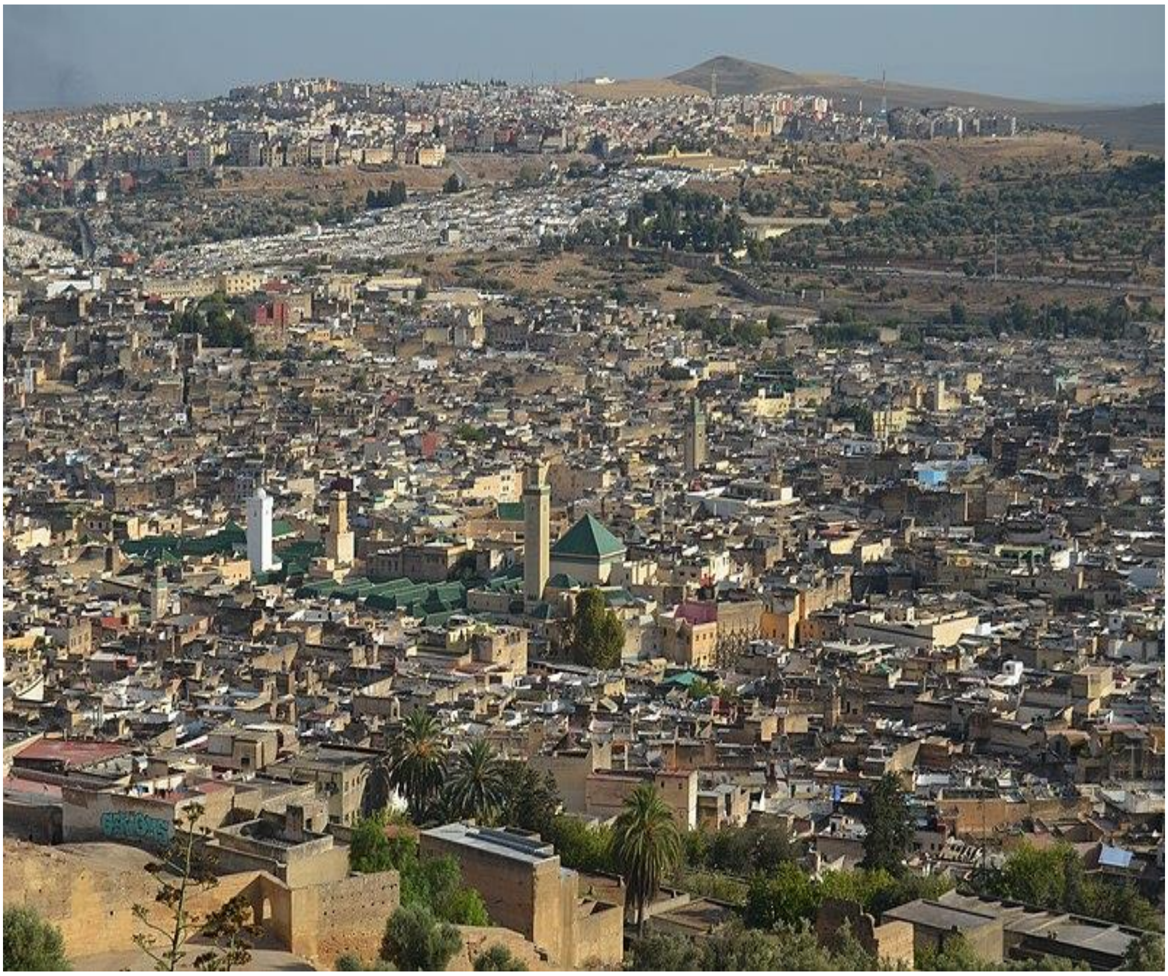


جامعة القرويين بمدينة فاس المغربية
معلمة العلم والحضارة والعروبة في الزمان والمكان

الباحثة حنان الحمياني

الدكتوراه في التاريخ المعاصر بكلية الآداب والعلوم

الإنسانية سايس فاس المغرب



صورة رقم ١: منظر لمدينة فاس وجامعها القرويين الموجود في القطاع الغربي بقلب المدينة القديمة (فاس البالي)، جامع القرويين في الصورة هو صاحب القبب الكثيرة الخضراء والصومعة البيضاء

مقدمة

تشتهر بلاد المغرب بغناها بالمدن العريقة ذات البعد التاريخي والحضاري الكبير، ومنها مدينة فاس التي تأسست في القرن الثاني الهجري، فهي من أقدم المدن الإسلامية، وأول عاصمة لأول دولة بالمغرب الأقصى الدولة الادريسية. وتشكل فاس جزءًا أساسيًّا من التراث المغربي والعربي والإسلامي، فهي مقصد للسياح العرب والأجانب. ومنذ تأسيسها مثلت قمة الفن المعماري العربي الأندلسي فكانت شعاعا ثقافيا هاما في العالم. وتعد فاس في صدر المدن المقدسة، بل إنها تأتي في المرتبة الرابعة بعد مكة ومدينة الرسول عليه السلام وبيت المقدس[١]. وتزخر مدينة فاس العريقة بعشرات المساجد والمدارس العتيقة التي جعلتها مركزًا علميًّا مزدهرًا، تطورت في حضنه مختلف العلوم الفقهية والفكرية والطبيعية وغيرها. وفي مقدمة هذه المعالم جامع القرويين الذي يقع في قلب المدينة القديمة بفاس، والذي يمتاز دون سائر مساجد العالم الإسلامي بأنه أول بيت لله تشيده امرأة مسلمة، وهي السيدة فاطمة الفهرية. ويمثل تأسيس جامع القرويين في سنة ٨٥٧م، بداية العصر الذهبي للمدينة، فهو بيت العبادة والذكرى، ومقر النور والهدى، ومعهد العلم والحكمة، ومنبع الشريعة واللغة، وموئل الإسلام والعروبة، طاول القرون والأجيال، وعاصر الخطوب والأهوال، وأنشأ العقول والرجال فقاموا بإعلان أسرار النبوة والرسالة، وبددوا بنور الإسلام حالك الجهالة، وأوضحوا بلسان العرب مسالك الهداية والدلالة، واقتلعوا من النفوس جذور الغواية والضلالة. كانت الدعوة تنتشر منها إلى التوحيد والتنزه في الاعتقاد، والتسامي في الأغراض والمقاصد والإخلاص والتقوى والاجتهاد في العمل، والسير على هدى الكتاب والسنة، وسيرة السلف الصالح من الأمة، وتصحيح العبادات والمعاملات، وترك منكر العادات والتفقه في الدين والدنيا، وانتهاج الطريقة المثلى.

وكانت القرويين جامعا وجامعة معا. وقد سجل التاريخ دورها العلمي منذ فتراتها الأولى، ولم يقتصر إشعاعها العلمي على المغرب فحسب، بل تجاوزه ليشمل بلدان عديدة. فقد كانت منذ تأسيسها مجمعا علميا لعديد من العلماء، وقِبلة لكثير من العلماء المرموقين والفقهاء المشهورين الذين توافدوا عليها من كل قطر، حبا في أخذ العلم وتعليمه، وإسهاما في نشره وتبليغه، ورغبة في نيل حظوة التدريس برحابها واستجابة لرغبة ملوك المغرب الذين كانوا يشجعون العلماء النابهين على الوفادة على المغرب والحضور إليه والمقام به، فكان العلماء محل العناية والتقدير والاحترام والتكريم، تهيأ لهم السكنى المناسبة وتخصص لهم العطاءات مما

---

[١] التازي عبد الهادي: *جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس موسوعة لتاريخها المعماري والفكري*، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٢، المجلد الأول٤٧.

يجعلهم يخلدون إلى الاستقرار، ويتيسر لهم التفرغ للاشتغال بالعلم وتدريسه والنهوض به في كل مجالات المعرفة وفروعها، الأمر الذي كان له أثر كبير على تطور الجامعة ونهضتها.

والواقع أن القرويين لم تكن مجرد جامعة علمية لتكوين الأطر الدينية، ولم تكن مؤسسة تعليمية لدراسة علوم الفقه والحديث والتفسير، ولم تكن مسجدا تقام فيه الصلاة فقط، وإنما مثلث رمزا من رموز الشخصية المغربية، وصمام استقراره الديني والسياسي. فعلماؤها من أصحاب الحل والعقد، حيث يحتكم إليهم في الفتوى والقضاء والمنازعات العامة والخاصة، كما يتم استشارتهم في القضايا التي ترتبط بالعلاقات مع الدول الأجنبية، وتناط بهم مسؤوليات في مجال السلطة والحكم، ولعل من أهمها مسألة البيعة التي كانت لا تتم إلا بموافقتهم، وكانت تتخذ صفة الإلزام المعنوي لكافة علماء المغرب، ولباقي النخب الأخرى. وضمن هذه الرؤية لم تكن جامعة القرويين منعزلة عن الواقع، بل كانت في ارتباط وثيق بالمجتمع وفي تكامل وترابط مع محيطها السياسي والاجتماعي. ولعل هذا الارتباط هو ما خول لعلمائها الدعوة إلى مقاومة التدخل الأجنبي بالمغرب.

ومن بين الخلفيات التاريخية التي تميزت بها جامعة القرويين، هي الحفاظ على الثوابت الثقافية الإسلامية وعلى الهوية العربية، وذلك من خلال ارتباطها الوثيق باللغة العربية وبالإسلام، وبالمعرفة العربية الإسلامية، وخدمة علوم الشريعة الإسلامية. ومن هنا نجد أن جامعة القرويين في رسالتها حملت على عاتقها مقومات الثقافية العربية، ومن أجل ذلك تعتبر مركز التراث الأصيل التي تدور على أساسه الحياة العربية الإسلامية. فإذا ما اضطلعت جامعة القرويين بهده الرسالة على الأقل من الضياع فقد أدت خدمة جليلة للوطن المغربي والعربي. وقد مثلت القرويين قلعة للعلم وإنتاج النخب، وقام علماؤها بدور بارز في تاريخ المغرب، وأكدوا حضورهم في مختلف المؤتمرات العربية والدولية، واتصلوا بمختلف الأحزاب والهيئات والشخصيات والجمعيات العربية والدولية لكسب التأييد العربي والدولي لصالح قضية الحرية، والاعتراف بسيادة المغرب واستقلاله.

ومن الأثر الحضاري لمعلمة جامعة القرويين خزانتها العلمية التي تعتبر من المكتبات المغربية العتيقة، ومن أهم الخزانات العالمية التي تتوفر على مخطوطات نادرة وفي غاية الأهمية، وتحتفظ الخزانة أيضا بكتب ذات فن أصيل في الخط والتزويق تمثل مختلف الخطوط العربية وتوضح جانب الإبداع في الفن التشكيلي. كما توضح خشوع الإنسان العربي حينما يتعلق الأمر بكتابة المصاحف القرآنية فيوجه عنايته إليها بكل دقة ورعاية، ومن أهمها المصحف الكوفي المسجل تحت رقم ٨٧٦، ويرجع تاريخه إلى أواخر القرن الثاني الهجري. وبذلك تمكن هذه الخزانة الباحثين من الاطلاع على ما تحتوي عليه من الكتب والوثائق، فسجلوها في كشوف عامة وعرفوا بها جهد المستطاع، وفتحوا آفاق المعرفة أمام المهتمين بالتراث

الإسلامي. واتجهت عناية المنظمات الثقافية إلى استنساخ صور من هاته المخطوطات، سواء على الصعيد العربي أو الصعيد العالمي، فكان ذلك من أسباب الازدهار الفكري في العالم أجمع. ومن الأثر الحضاري الموروث كذلك مخطوطات علماء القرويين، إذ تحتوي المكتبة الوطنية للمملكة المغربية بالرباط على مخطوطات مفهرسة للعالم محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي (من علماء القرويين). ومن هنا يمكننا طرح مجموعة من الإشكالات فتتحدد في ما يلي، أين توجد جامعة القرويين؟ ولماذا سميت جامعة القرويين بهذا الاسم؟ وما هي أبرز المميزات المعمارية والفنية لهذه الجامعة؟ وكيف كان النظام التربوي بهذه الجامعة؟ وماهي العلوم والفنون التي كانت تدرس بها ؟ وماهي تقاليد الجامعة؟ وماهو دور علماء القرويين في المبادارت الفكرية والوطنية والدولية؟ وماهي الخلفية التاريخية لجامعة القرويين؟ وماهو الأثر الحضاري لجامعة القرويين عبر العصور؟ وماهي وظيفة القرويين في المغرب الراهن، وماهي الرهانات المنوطة بالقرويين لأجيال المستقبل؟ إنها أسئلة ترمي إجمالا إلى تسليط الضوء على معلمة تاريخية وعلمية عريقة حملت رسالة الإسلام والعلم لقرون عديدة، وظلت رائدة في المغرب وفي العالم. إن جامعة القرويين عظيمة السمعة وافرة العطاء ذات أصالة وتاريخ جديرة بأن تكون مميزة في نوعية إسهامها الحضاري، وفي تعميق الشعور بالهوية الحضارية التي تقوم على أساس الإسلام كدين، والمحافظة على اللغة العربية كلغة للقرآن وكوعاء لغوي للثقافة الإسلامية، وعندما تنمو مشاعر الانتماء بثقافاتها الذاتية ستظل على امتداد تاريخها محتفظة بكيانها ولغتها وخصوصياتها الحضارية.

المبحث الأول: مدينة فاس: موقعها تأسيسها تسميتها

المطلب الأول: موقع مدينة فاس وتأسيسها

قبل الخوض في الحديث عن معلمة جامعة القرويين، لابد من الإشارة إلى المدينة التي تحتضنها ألا وهي مدينة فاس المغربية العريقة، التي تقع في أقصى شمال شرق المملكة المغربية، وتشغل الطرق السهلة التي تصل بين ساحل المغرب المطل على المحيط الأطلسي[١]، وهي ثالث أكبر مدن المغرب بعد الدار البيضاء والعاصمة الرباط، وهي واحدة من المدن الأربعة العتيقة بالمغرب الأقصى التي تشمل مراكش، الرباط، مكناس وفاس.



رسم توضيحي لموقع مدينة فاس[٢]

وتعتبر مدينة فاس حاليا هي إحدى مواقع التراث العالمي حسب تصنيف اليونسكو. وتعد فاس من المدن الساحرة بالنسبة لزوارها، فهي مدينة قديمة ومحاطة بالتلال والغابات، الأمر الذي جعلها من أجمل الأماكن في المنطقة. ويعود تاريخ مدينة فاس إلى القرن الثاني الهجري، عندما شرع المولى إدريس بن عبد

---

[١] لوطورنو روجي، فاس قبل الحماية، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ١٩٩٢، الجزء الأول، ص٦٣٠.

[٢] https://ar.wikipedia.org.

الله[1] (٧٤٣م-٧٩٣م) مؤسس دولة الأدراسة بالمغرب الأقصى سنة ١٧٢هـ الموافق لعام ٧٨٩م، في ترسيخ جذور دولته، بعد بيعته من قبل القبائل الأمازيغية المغربية. والجدير بالذكر أنه من العوامل التي أدت إلى لجوء الإمام إدريس للمغرب الأقصى وتأسيسه للدولة الإدريسية هي فشل ثورة الحسين بن علي سنة ٧٨٦م، في وقعة فخ مع الجيش العباسي، الأمر الذي أدى إلى نتائج سلبية على العلويين المشتركين فيها. إذ حاول العباسيون استئصالهم لكن يشاء القدر أن ينجو منها إدريس وأخوه يحيى، فاتجه شقيقه نحو الشرق، واختار الإمام إدريس طريق المغرب، واختياره ليس عبثا بل عن تخطيط مدروس وتنظيم دقيق لتأسيس الدولة العلوية الإدريسية بالمغرب الأقصى. وما يؤكد هذا الطرح، أنه إبان رحلة المولى إدريس من مكة عبر مصر إلى المغرب كان يرافقه مولاه راشد الذي لم يكن اختياره عبثا، فقد كان ينتمي إلى قبيلة أوربة المغربية. ويقول السنوسي:" وراشد بن منصت الأوربي كان قد سبي مع أبيه في غزوة موسى بن نصير ثم قفل مع أبيه إلى المشرق وهو صغير، ثم أتى مع مولانا إدريس ودله على المغرب".[2] واستقر المولى إدريس بمدينة وليلي بالمغرب بعدما تم الاتصال بإسحاق الأوربي وإعلامه بمقدم إدريس، وتم الاتفاق على إعداد العدة لإعلان قيام الدولة، وبالفعل بويع سنة ٧٨٩م، من قبل قبيلة أوربة المغربية على السمع والطاعة والقيام بأمره والاقتداء به في صلواتهم وغزواتهم وسائر أحكامهم. وبويع كذلك من قبل القبائل المغربية الأخرى مثل زناتة ومكناسة وغياثة وغمارة وغيرها. ودشن الإمام إدريس قيام دولته بخطبة هامة حرص فيها على إرضاء كافة القبائل على اختلاف مذاهبهما، فقد استرضى أهل السنة حين دعا إلى كتاب الله وسنة نبيه، واسترضى الخوارج حين نص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعبر أقواله في التوحيد والعدل عن حرصه على كسب المعتزلة[3]. ولقد كان عليه أن يؤسس عاصمة جديدة ويسن نظم الدولة ورسومها، وأن يكون جيشا الذي يكفل الاستمرارية والبقاء من جهة، والتوسع من ناحية أخرى. وقد تم اختيار الإمام إدريس موضع فاس لإنشاء قاعدة تكون مفترقا للطرق بين سهول الأطلس وبين تلمسان من جهة، وبين سواحل الريف وصحراء الجنوب من جهة أخرى، وتم بناء جانبا منها على الضفة اليمنى لنهر فاس عرفت بعدوة الأندلسيين.وبعد وفاة المولى إدريس الأول سنة٧٩٣م، أسس ابنه المولى إدريس الثاني (٧٩٣- ٨٢٨) عدوة القرويين غربي مدينة أبيه على الضفة اليسرى من واد

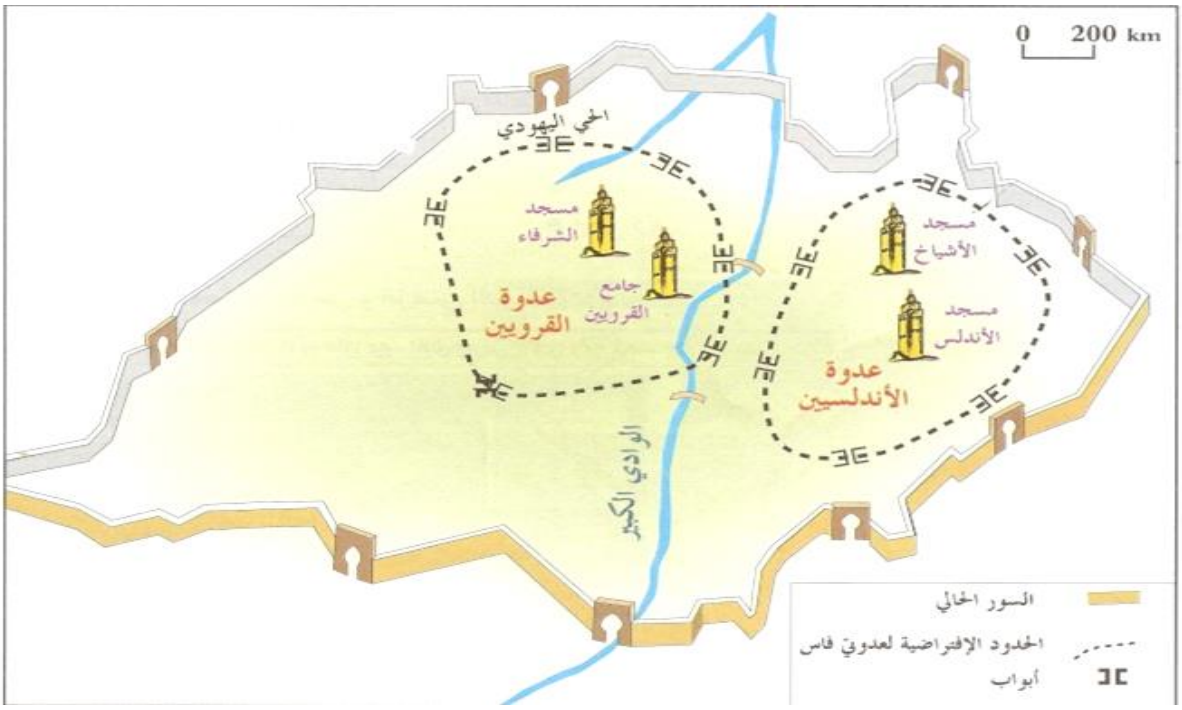
(١) الأمام إدريس: بن عبد الله (٧٨٨- ٧٩٣) بن الحسين المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله عليه الصلاة والسلام.

(٢) السنوسي علي، الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية، مطبعة الشباب بمصر، ١٣٤٩هـ، ص٤٣٠.

(٣) نفسه، ٤٤-٤٥.

فاس[1]. وقد تعاظم دور مدينة فاس أيام إدريس الثاني وجعلها عاصمة لدولته، وقد ظلت المدينة مقسّمة هكذا إلى أن دخلها المرابطون فأمر السلطان يوسف بن تاشفين بتوحيدهما وجعلهما مدينة واحدة، فصارت مركزا دينيا وعلميا في شمال إفريقيا[2].

رسم توضيحي يبين العدوتين الأندلس والقرويين[3]



---

(1) التازي عبد الهادي، ***التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، الدولة الإدريسية***، مطابع فضالة، المحمدية، ١٩٨٦، المجلد الرابع، ص.١٦٠.

(2) لوطورنو روجي، ***فاس قبل الحماية***، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ١٩٩٢، الجزء الأول، ص.٨٣.

(3) نفسه، ص.٧١.

المطلب الثاني: التسمية بمدينة فاس

اختلف في تسمية مدينة فاس بناءا على ما ذكره الجزنائي وابن أبي زرع، ويقول الجزنائي في هذا الصدد:" إن الإمام إدريس لما شرع في بنائها كان يعمل فيها بيده مع الصناع والفعلة، فصنع له بعض خدمه فاسا من ذهب فكان يمسكه بيده ويبدأ به الحفر ويختط به الأساسيات للفعلة، فكثر ذكر ذلك الفأس على ألسنتهم في طول مدة البناء. فكان الفعلة يقولون هاتوا الفأس خذوا الفأس، احفروا بالفأس، فسميت مدينة فاس لأجل ذلك"[1]. في حين يقول ابن أبي زرع في هذا الأمر:" أنه لما شرع في حفر أساسها من جهة القِبلة وجد في الحفير فاس كبير طوله أربعة أشبار، وسعته شبر وزنته ستون رطلا من عمل الأوائل، فسميت المدينة به (...) وقيل: أنه لما تمت بالبناء قيل للإمام إدريس: كيف تسميها ؟ قال سموها باسم أول رجل يطلع عليكم، فمر بهم رجل فسألوه عن اسمه وكان ألثغ، وقال اسمي فارس فأسقط الراء من لفظه لأجل اللثغة، فقال الإمام إدريس سموها كما نطق بها فقالوا فاس. وقيل سميت فاس لأن قوما من الفرس نزلوها مع الإمام إدريس حين أسسها فسقط عليهم جرف، فماتوا من حينهم ولم ينج منهم إلا قليل، فسميت مدينة الفرس، ثم خفف الناس الاسم فقالوا مدينة فاس [2].

تنقسم مدينة فاس إلى ثلاثة أقسام: فاس البالي وهي المدينة القديمة، التي أسستها الدولة الادريسية، وفاس الجديد وقد بُني في القرن (السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي)، خلال فترة حكم السلاطين المرينيين، إذ قاموا ببناء فاس الجديد، وتحصين المدينة بسور وتخصيصها بمسجد كبير، وأحياء سكنية، وقصور، ومدارس، ومارستانات، وحدائق. وقد اشتمل فاس الجديد في القرن السادس عشر على حي إسلامي في ضواحي دار المخزن، وحي يهودي يحمل اسم الملاح، وحي عسكري تجاري دولي في آن واحد[3]. ثم **المدينة الجديدة** التي بناها الفرنسيون إبّان فترة الاستعمار، الذي بقي في المغرب في الفترة ما بين ١٩١٢ و١٩٥٦م، ففي سنة ١٩١٢ فرضت الحماية الفرنسية على المغرب بعد توقيع معاهدة الحماية، وأصبح المغرب محمية فرنسية، بينما سيطرت إسبانيا على شمال المغرب. وتم نقل العاصمة من فاس إلى الرباط، التي لا تزال العاصمة حتى يومنا هذا. وقد استعاد المغرب استقلاله عن فرنسا وإسبانيا عام ١٩٥٦. والواقع أن الإدارة الفرنسية قامت ببناء مدن حديثة جديدة خارج المدن القديمة مباشرة، حيث

---

(١) الجزنائي علي، *جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس*، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، ١٩٩١، ص. ٢٣.

(٢) ابن أبي زرع الفاسي علي، *الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس*، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢، ص.٤٥.

(٣) لوطورنو روجي، *فاس قبل الحماية*، مرجع سابق، ص.١٠٩.

أقام فيها المستوطنون الأوروبيون. وقد حافظت لوائح البناء الجديدة على الميزات المعمارية الموجودة مسبقا في البلاد. فقد كان مظهرها ممزوجا بشكل كبير مع الزخارف المغربية المحلية، مما أدى إلى فن العمارة أو الطراز المغربي الجديد. وأدخل الفرنسيون أيضًا مبانٍ ذات مظهر مغربي في نسيج المدن القديمة، مثل بوابة باب بوجلود في فاس سنة ١٩١٣[١]. واليوم، حافظت مدينة فاس على الوظائف الأصلية والهندسة المعمارية لهذا الفضاء الحضري، مما أدى إلى إدراجها في قائمة التراث العالمي في عام ١٩٨١.



صورة رقم ٢: أزقة فاس البالي (المدينة القديمة) [٢]



صورة رقم ٣: فاس الجديد[٣]

[1] Gaudio Attilio, Fès de la Civilisation Islamique, Editions Latines, Paris, 1982,pp123-131.

[٢] https://ar.wikipedia.org.

[٣] https://ar.wikipedia.org.



صورة رقم ٤، شارع الحسن الثاني بفاس تم بناؤه خلال فترة الاحتلال الفرنسي[١]



صورة رقم ٥: بوابة باب بوجلود

(١) https://ar.wikipedia.org.

المطلب الثالث: فاس الأثرية ذات تراث إنساني عالمي

تزخر مدينة فاس بمعالمها الأثرية التي تؤرخ لتاريخها وحضارتها، ومن أهمها جامعة القرويين التي جعلتها مركزًا علميًّا مزدهرا، وتطورت في حضنه مختلف العلوم الفقهية والفكرية والطبيعية وغيرها. كما امتازت مدينة فاس بأسوارها وأبوابها المقوسة والمنقوشة، وداخل الأسوار تتميز المدينة القديمة بوجود بنايات أصيلة ومستشفيات ومساجد وزوايا ومدارس، تعكس تطور تقنيات البناء، ومهارات الصنَّاع التقليديين والبنائين على مدى أكثر من ١٢ قرنًا من تاريخ المدينة، وهي جميعا أمكنة تستهوي الزوار والسياح، وقد اختيرت مدينة فاس كأحد مواقع التراث العالمي من قبل اليونسكو عام ١٩٨١م، حيث احتفلت المدينة سنة ٢٠٠٨م بعيد ميلادها الـ١٢٠٠[(١)]. ومع مرور ١٢ قرنا ظلَّت فاس محتفظة بموقع القلب النابض للحياة السياسية والثقافية للمغرب، وتكشف التفاعلات السكانية والحضارية التي صاحبت بناءها عام (١٧٢هـ=٧٨٩م) سر هذا العمق الحضاري المتواصل.

(١) https://ar.wikipedia.org.

المبحث الثاني: المميزات المعمارية والفنية لجامع القرويين

المطلب الأول: جامع القرويين: الموقع والتأسيس

يقع جامع القرويين في القطاع الغربي بقلب المدينة القديمة بفاس (فاس البالي) بعدوة القرويين، وهو من بناء السيدة فاطمة الفهرية بنت محمد الفهري القيرواني الشهيرة بأم البنين سنة ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م.

موقع جامع القرويين بقلب فاس البالي (المدينة القديمة)



وقد كانت ممن نزحوا من أهل القيروان (تونس) إلى مدينة فاس إثر اضطراب أمر القيروان، واستقروا بعدوة القرويين، في أيام الإمام محيي الدين يحيى الأول حفيد إدريس (٢٣٤-٢٤٩)، [1]. وبعد أن كثر الواردون على فاس أيام الإمام يحيى الذي امتد سلطانه وعظمت دولته، وحسنت أثار أيامه، واستجدت

---

(1) الجزنائي علي، *جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس*، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، ١٩٩١، ص. ٤٥.

فاس في العمران وبنيت بها الفنادق للتجار، ورحل إليها الفقهاء والعلماء وسائر الناس من البلدان. وقد أمست الحاجة بالناس إلى مسجد جامع كبير، وقد رأت السيدة فاطمة الفهرية أن تتقرب إلى الله بالتوسعة على الناس في إقامة دينهم، وبناء بيت يذكر فيه اسم الله ويعبد فيه، فاشترت أرضا في عدوة الواردين القرويين لتجعل منه مسجدا، وشرعت في حفر أساسه وبنائه سنة ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م. ويشير صاحب" الأنيس" إلى أن فاطمة الفهرية، ورثت من أبيها وزوجها ثروة طائلة، فعزمت على صرفها في بناء جامع (١). ويذكر الجزنائي أن المكان الذي بني فيه كان "أرض لعمل الحضر، وفيه أشجار لرجل من هوارة كان قد ورثها عن أبيه، فاشترته منه ووقع الشروع في بناء الجامع في شهر رمضان سنة ٢٤٥هـ، وبني من أربعة بلاطات، وفي كل بلاط اثنا عشر قوسا من الشرق إلى الغرب، وجعل محرابه بمقدم البلاط الذي أمام الثريا الكبرى الآن" (٢). وجعل بمؤخره صحن صغير، وجعل طوله من الحائط الغربي إلى الحائط الشرقي مائة وخمسين شبرا، وبنيت فيه صومعة قليلة الارتفاع.(٣) وكانت القرويين تتوفر على أربعة أبواب: بابان إحداهما في اتجاه باب ابن حيون شرقا، والثانية في اتجاه باب الكتبيين غربا، والبابان الباقيان ينفتحان على الجهة الشمالية من جهة الصحن(٤).

وكانت المرافق الأولى للقرويين تتشكل كالتالي:

١- الماء: كان في أول الأعمال التي فكر فيها القائمون بأعمال البناء الاطمئنان على الماء الذي يقوم به المسجد. وقد توفقوا في حفر بئر شمال المسجد في منطقة قريبة من الصحن القديم. وقد ظل المسجد يعتمد على البئر طوال القرون الأولى، ومازال موقع البئر معروفا إلى الآن ينعتونه بالبئر المغمور.

٢- الصومعة: كانت الصومعة متضامنة الإشراف كما وصفها الجزنائي، يعني أنها لم تكن مرتفعة وذلك فيما يظهر جريا على العادة المتبعة في القرون الثلاثة الأولى للإسلام من تجنب نصب صوامع للمسجد بالمرة اقتداءً بمسجد النبي على السلام، وكانت الصومعة تقع حيث توجد العَنزة الحالية أو المحراب الصيفي.

٣- المحراب: كان المحراب القديم يقع في ناحية البلاط الذي يتقدم البلاط الذي تعلوه الثريا الكبرى

---

(١) ابن أبي زرع الفاسي علي، *الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس*، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢، ص.٥٥.

(٢) الجزنائي علي، *جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس*، مصدر سابق، ص. ٤٦.

(٣) ابن أبي زرع الفاسي علي، *الأنيس...*، مصدر سابق، ص.٥٥ - ٥٩.

(٤) التازي عبد الهادي: *جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس موسوعة لتاريخها المعماري والفكري*، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٢، المجلد الأول٤٧.

اليوم. وقد نصبت قِبلة المسجد على سمت القِبلة التي خطها الإمام إدريس لمسجد الشرفاء. وقد أثر شيوخ خدمة القرويين أن التربة التي فرش بها المحراب جلبت من الكعبة[١].



صورة رقم ٦: جامعة القرويين من الخارج



صورة رقم٧: جامعة القرويين من الداخل

(١) التازي عبد الهادي، مرجع سابق، مجلد١، صص٤٨-٤٩.

المطلب الثاني: التطور المعماري لجامع القرويين على مر العصور

قامت الدول المتعاقبة على حكم المغرب بتوسيع جامع القرويين، وترميمه وتجهيزه وإضفاء طابع الفن المعماري عليه. فقد زاد الزناتيون في مساحته من الناحية الشرقية والغربية والجوف، وبلغت مساحته بعد هذه الزيادة أربعة آلاف متر مربع. وكان فيما اكتسبه جامع القرويين بمناسبة الزيادة فيه في العهد الزناتي المئذنة التي ما تزال شاخصة إلى الآن، والتي تعد أقدم منارة ثبتت في الغرب الإسلامي وبقيت نموذجا للصومعة المربعة التي استوحاها الفن الإفريقي آنذاك من شكل الكعبة المشرفة. كما جعل بيتا صغيرا يسار مدخل باب الصومعة يعرف اليوم باسم المنار الأول، أعيد لمبيت المؤذنين الذين يراعون أوقات الليل وانصداع الفجر لإقامة الأذان في وقته المعين. كما جعل فوق البيت المذكور بيتا أصغر يعرف بالمنار الثاني أو القبة العليا(١). كما أحدث عند باب الحفاة سقاية وجلب إليها الماء من وادي حسن الذي بخارج المدينة من ناحية باب الحديد، وصنع بالجامع منبرا من خشب العناب والابنوس وكتب عليه " بسم الله الرحمان الرحيم وصل الله على سيدنا محمد وآله وسلم"(٢).

وفي عهد الدولة المرابطية تمت توسعة الجامع مرة أخرى، بحيث زاد امتداده في كل الاتجاهات وأضيف إلى قاعة الصلاة ثلاثة بلاطات، وزين البلاط الأوسط الموازي للقِبلة، كما زود المسجد بمحراب في غاية الإتقان وبنيت قباب بالجبس المقرنص أو المقربص، وهو ما يعرف بالعربية باسم الدلايات، وهي تكوين هندسي على أحجام تتجلى على درجة من التطور. ويقول ابن أبي زرع عن هذه الإضافات «فشرع في بناء المحراب والقبة التي عليه منقوشين بالذهب واللازورد وأصناف الأصبغة، وتم ذلك على غاية الجمال والكمال، وكان يبهت الناظر إليه من حسنه ويشغل المصلين»(٣). لقد غير المرابطون من شكل القرويين التي كانت على عهد الزناتيين، لكنهم بذلوا أقصى جهدهم في الإبقاء على أصولها الأولى، وذلك باحتفاظهم منذ البدء على تصميم البلاطات الموازية لجدار القِبلة. وقد حرصوا عند إضافتهم للبلاطات الثلاثة أن يبرزوا عملهم أتم إبراز عن طريق البلاط الأوسط الذي ينزل من المحراب في اتجاه العَنَزة(٤). لقد امتاز هذا البلاط عن بقية البلاطات بما احتواه في الداخل من روعة متناهية، وفي الخارج بما تميز به

(١) الجزنائي علي، مصدر سابق، ص٥٠.
(٢) ابن أبي زرع الفاسي علي، مصدر سابق، ٥٨.
(٣) ابن أبي زرع الفاسي علي، مصدر سابق، ٦١.
(٤) العنزة: بفتح النون وتعني في المصطلح المغربي المحراب الصيفي بموقع القوس المحوري لواجهة بيت الصلاة على الصحن.

من علو ملحوظ[١].

في أواخر القرن السادس الهجري حافظ سلاطين الدولة الموحدية على التصميم العام للجامع، ومن أهم الإضافات المعمارية والزخرفية التي خصوا بها الجامع الخصة الحسناء، وهي الخصة الأولى التي اكتسبها صحن جامع القرويين، وتتكون من بَلية[٢] مستطيلة من رخام. وقد بنيت سنة ٥٩٩هـ على يد موسى بن حسن بن أبي شامة، وكان من أهل الهندسة والمعرفة بالبناء وكان الذي أنفق فيها ماله الفقيه المبارك أبو الحسن السلجماسي[٣]. وشهدت أيام الموحدين إصلاحات هامة تهدف إلى تكثير السرج وتغليظ الفتائل، لأن في الإضاءة بهاءً للدين، وأنسا للمجتهدين وهداية للسابلة، وتنزيها لبيوت الله من وحشة الظلام. ولم تكن الإنارة لتقتصر على داخل البيت، ولكنها كانت تتعداه إلى ضواحيه، فكان المؤمنون يشعرون قبل الوصول إليه بالانشراح والبهجة. فقد نصب في خارج الجامع أربعون سراجا، وكانت وظيفة الوقاد أو اللّمْبَجي كما يسمونها في الشرق وظيفة مطلوبة، إذ كانت تحت تصرفه دائما كميات وافرة من الزيت والفتائل والآلات، وهو يعد من المرضيّ عنهم لأنه يسرج بيوت الله[٤].

وفي العهد المريني أصبح الجامع يشمل حسب وصف ابن أبي زرع على مائتي واثنين وسبعين سارية، وعدد المسقفة منها عشر بلاطا من القِبلة إلى الجوف، ومن الغرب إلى الشرق، وأصبح بلاط الجامع يتألف من ستة عشر بلاطا[٥]. وتم ترميم الجدار الشرقي والباب الحدودي للجامع، واتجه أنظار بني مرين إلى العناية بمنارة القرويين، ونصب العلماء المؤقتين ساعة مائية في الحجرة العليا من المنارة، وبناء غرفة خاصة بالمؤذنين وتعرف إلى الآن بالغريفة، وهي بالجهة الجنوبية للصومعة، ومسقفة بقبة ذات أربعة جوانب[٦].

وقد امتاز العهد الوطاسي والسعدي بتعدد المرافق التابعة للقرويين، وجهز الجامع بمستودع توضع فيه أموال الأحباس. وقد بعث السلطان أحمد المنصور السعدي بالخصة العظيمة لجامع القرويين مع كرسي من المرمر[٧]. وأقيمت خزانة للكتب في عهده، ولم يكن القصد من إنشائها الاستغناء عن الخزانة العلمية التي

---

(١) التازي عبد الهادي، مرجع سابق، م١، صص.٦٨-٦٩.

(٢) البيلة: هي حوض الوضوء.

(٣) ابن أبي زرع الفاسي علي، مصدر سابق، ٦٤.

(٤) التازي عبد الهادي، مرجع سابق، م١، ص ٨٠.

(٥) ابن أبي زرع الفاسي علي، مصدر سابق، صص. ٦٥- ٦٦.

(٦) التازي عبد الهادي، مرجع سابق، المجلد الثاني، صص. ٣١٨-٣٢٢.

(٧) الافراني محمد الصغير، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تحقيق هوادس، ١٨٨٨، ص١٦٠.

أنشأها أبو عنان المريني، وإنما كانت لإرضاء الرغبات المتزايدة للطلاب. وقد أطلقت عليها الحوالة الإسماعيلية بالخزانة الأحمدية الشريفة نسبة إلى أحمد المنصور[١].

وانصرفت جهود الملوك العلويين في بادئ بدء إلى الحفاظ المطلق على التراث العظيم، وتجلى ذلك في ترميم الجهات المهددة بالانهيار، وفي تمية بعض الأثاث، ونال البلاط الأوسط منهم التفاتة شاملة سواء في القباب أو في الثريات أو في العَنزات. وشيدت المدارس الداخلية للطلاب، وبنيت محكمة خاصة للقاضي في صميم سماط العدول، وعمدوا إلى الصحن فادخلوا عليه تحسينات زادت في جماله وبهائه بما نصبوا من ساعات شمسية، والتفتوا إلى الخزائن العلمية، فرتبوا وفهرسوا وبنوا وشيدوا. وعرف الجامع مزيدا من الاهتمام والإصلاحات والزيادات في جوانبه الفنية، كصيانة الثريا الكبرى في عهد السلطان المولى إسماعيل، وإضافة الساعات الشمسية في عهد السلطان المولى الحسن الأول، وتجديد القبتين في عهد السلطان المولى يوسف، [٢] وتمكن السلطان سيدي محمد بن يوسف من تشيد مدرسته المحمدية التي كانت محل تنافس بين أعيان الطلاب ونجبائهم. ولا ننسى أن المغرب كان يعيش في فترات الحماية الفرنسية التي كانت تنظر إلى تعليم جامعة القرويين وإلى المدارس التي تؤوى الطلبة وإلى الأساتذة نظرة اليقظ الحذر. وكان السلطان يرى أن الطريق الوحيد للخلاص يكمن في الحفاظ على هذه المعلمة ومقوماتها[٣]. في عهد الملك الحسن الثاني تم وضع مصابيح أمام أبواب الجامع، وتم ترميم الجامع في عهد الملك محمد السادس نصره الله.



صورة رقم ٧: الساعة شمسية[٤].

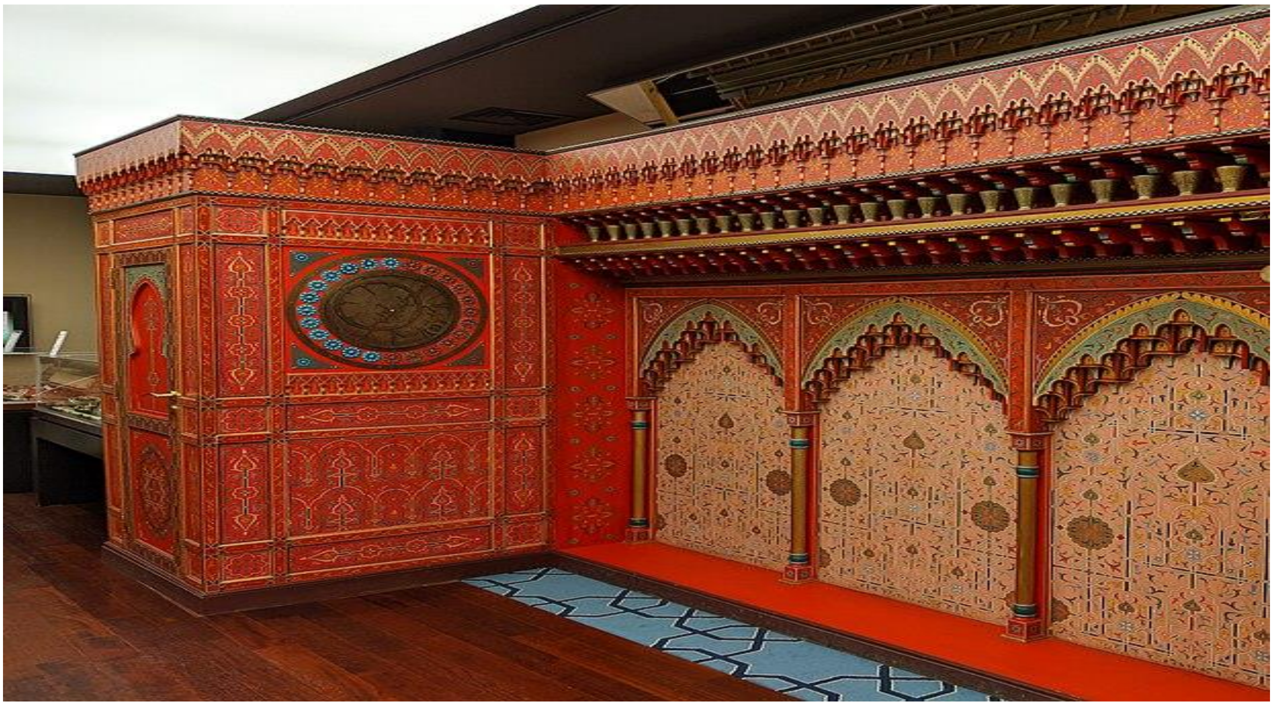
---

[١] التازي عبد الهادي، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص، ٣٤١.

[٢] نفسه، صص، ٦٥٤-٦٥٥.

[٣] نفسه، ص٦٧١.

[٤] https://ar.wikipedia.org. جامعة القرويين



صورة رقم٨: الساعة المائية من القرن الرابع عشر في جامع القرويين[1].

(١) https://ar.wikipedia.org. جامعة القرويين

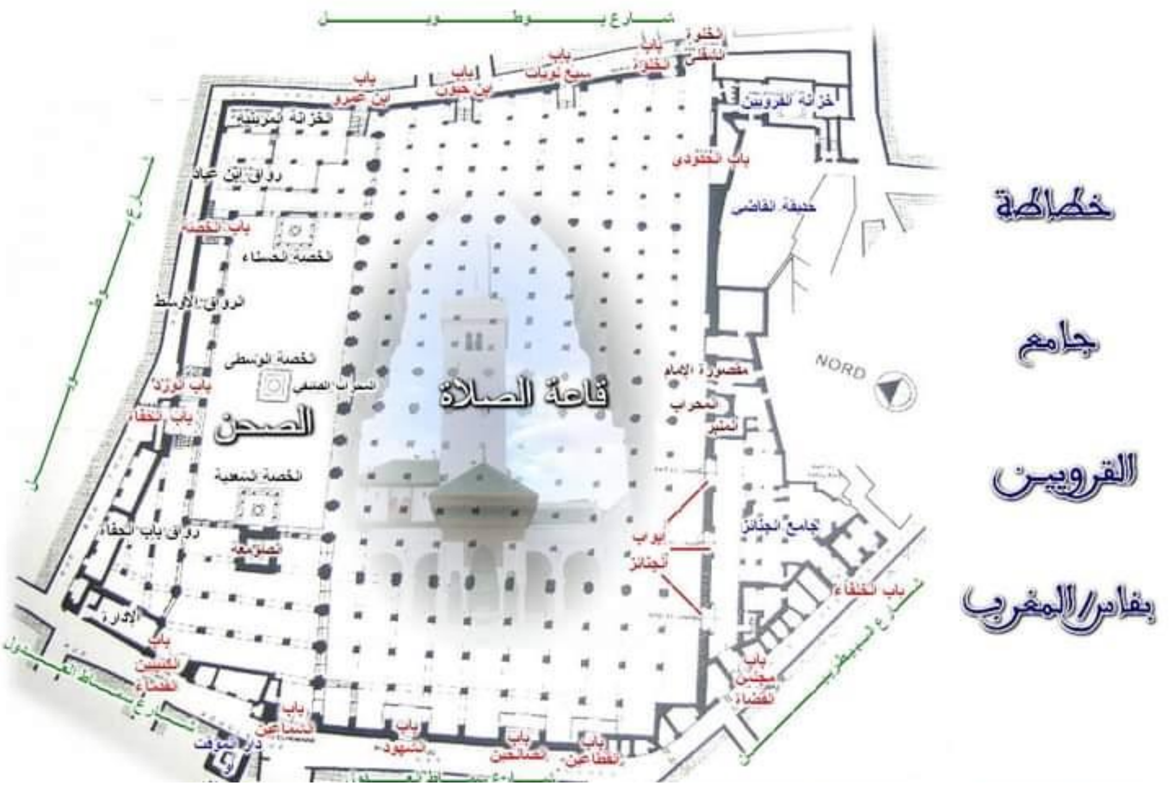
المطلب الثالث: الخصوصيات المعمارية والسمات الفنية الأصيلة للقرويين

أ- الوصف المعماري للقرويين

قامت الدول المتعاقبة على حكم المغرب بتوسيع جامع القرويين حتى أصبح أعظم جامع بفاس، وتبلغ مساحة الجامع الحالي بحوالي نصف هكتار[١]. وبصفة عامة فإنه يتكون من فضاء داخلي وخارجي، فبالنسبة للفضاء المبنى الداخلي للجامع ينقسم إلى قسمين:

- قسم مسقف وهو بيت الصلاة.
- قسم مكشوف وهو الصحن.

-يضم القسم المسقف



- **قاعة الصلاة:**

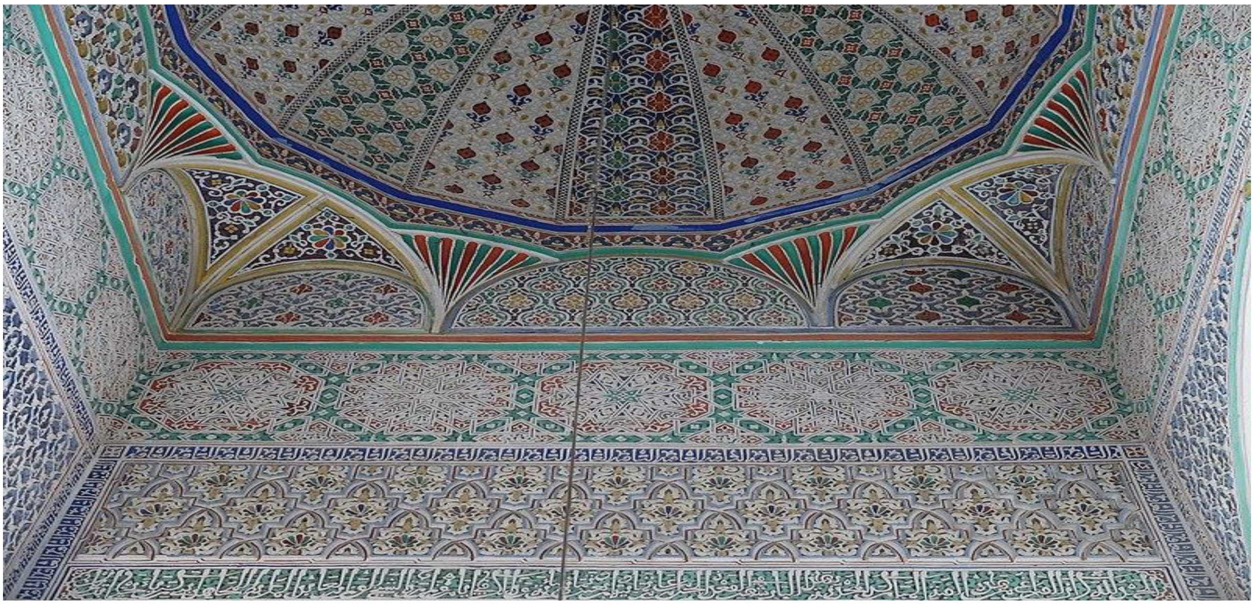
قاعة الصلاة الداخلية المعمدة تستحوذ على معظم مساحة المسجد، وهي مثل المناطق الداخلية لمعظم المساجد التقليدية في العمارة المغربية، وهي عبارة عن مساحة شاسعة مقسمة إلى عشرة ممرات وإحدى وعشرين بلاطات موازية للقبلة. وتميز البلاطة المحورية nef axiale في هذه القاعة بقبابها التي تعتبر نماذج رائعة من القباب في العمارة الإسلامية المغربية. ولعل وجودها في هذا الجامع كانت الغاية منه إضفاء جو

---

(١) https://ar.wikipedia.org. جامعة القرويين

روحاني. وتقوم هذه القباب على قواعد مربعة أو مستطيلة، محمولة على سواري وهي إما قباب مقرنصة coupoles à mouqarnas أو قباب مضلعة coupoles nervées. كل قبة تحمل إفريزا، تلهم الناظرين إليها، وذلك بفضل نقوشها وزخارفها التي تزينها، من رسوم هندسية وتفريعات نباتية وكتابات كوفية ونسخية بالجبس المنقوش بدقة متناهية، كما تغطي هذه القاعة سقوف هرمية ذات هياكل واضحة مسقفة بالقراميد. (١)

صورة٩: تبين القبة بجامع القرويين التي شيدت في العهد المريني



(١) Hoag D. John, Architecture Islamique. Paris, 1982,p.103.

صورة رقم ١٠: القاعة الصلاة



وفي نهاية بيت الصلاة يقع المحراب، ويعود تاريخ منطقة المحراب إلى عهد المرابطين في القرن الثاني عشر. ويتميز الصحن المركزي الذي يمتد على طول محور المحراب عن بقية المسجد بعدد من الزخارف المعمارية على سبيل المثال، الأقواس التي تمتد على طولها ذات أشكال مختلفة، بما في ذلك كل من أقواس حدوة الحصان والأقواس متعددة الفصوص. ومعظم أقسام الرواق مغطاة بسلسلة من أسقف المقرنصات المعقدة والقبة بدلاً من الأسقف الخشبية العادية، كل منها يختلف قليلاً عن الآخر، بالإضافة إلى ذلك، هناك العديد من الثريات البرونزية المنحوتة بشكل متدلي في الصحن،



صورة رقم ١١: محراب جامع القرويين

وإلى يمين المحراب يوجد منبر المسجد، والذي يمكن تخزينه أيضًا في غرفة صغيرة خلف باب في جدار

القِبلة. ويعد هذا المنبر تحفة فنية وأثرية، ولذلك يعده الأثريون والباحثون من أجمل وأعرق المنابر الأثرية، صنع من خشب صلب يدعى الأبنوس ébène. ويشير هنري طيراس Henri Terrasse إلى أن منبر مسجد علي بن يوسف بمراكش (١١٢٠م) ومنبر القرويين (١١٤٤م) قد صنعا بقرطبة(١).



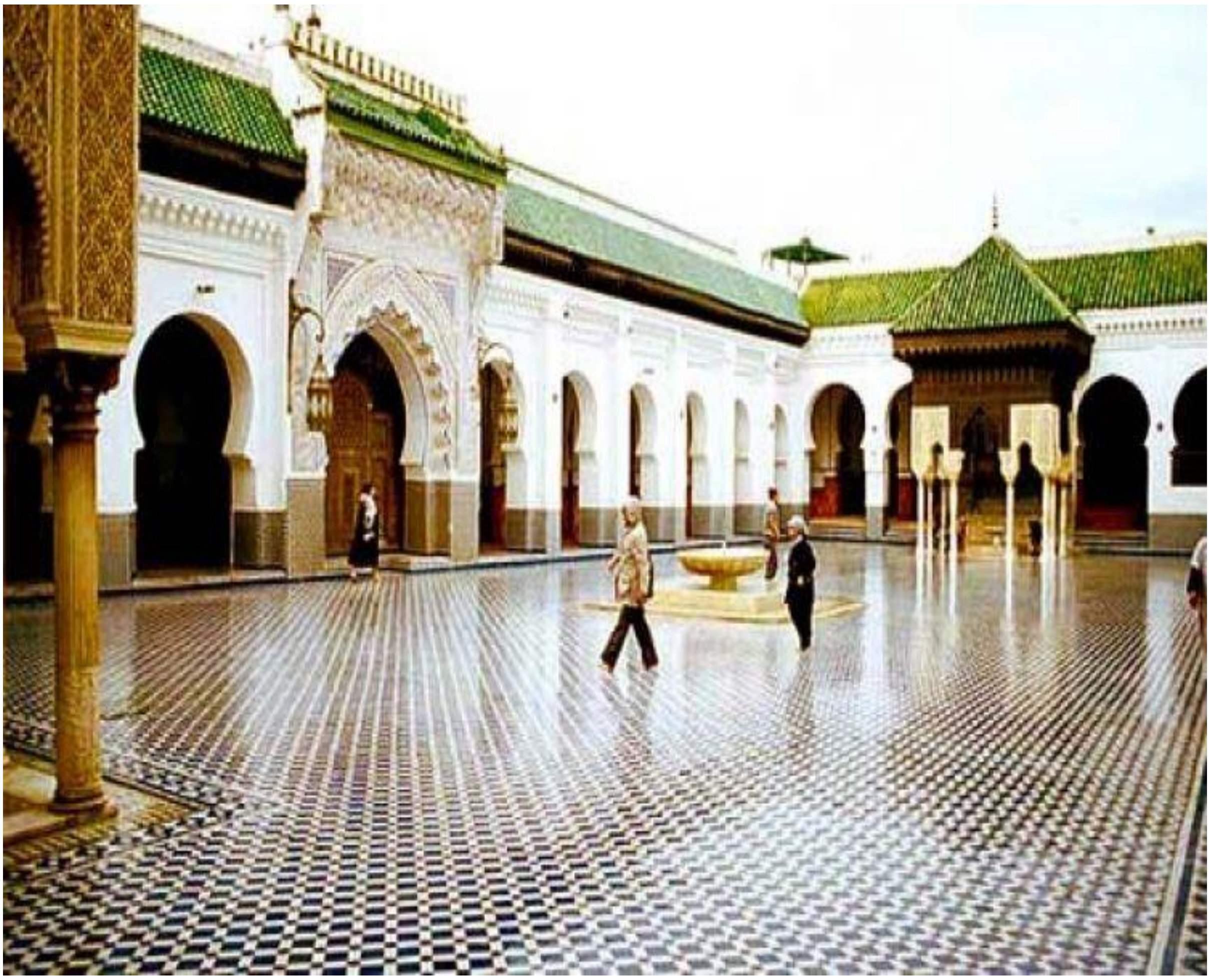
صورة رقم ١٢: منبر جامع القرويين

ويتشكل القسم المكشوف من:

- **الصحن:**

ويعد صحن جامع القرويين تحفة رائعة بهندسته المعمارية وفنون زخرفته، وهو عبارة عن ساحة مكشوفة وفسيحة تتخذ شكل شبه مستطيل. وتحيط به قاعة الصلاة من ثلاث جهات ورواق إلى الشمال. الأرض معبدة ببلاط الفسيفساء المغربي الزليج.

(1) Hoag D. John, op, cit.p.104.

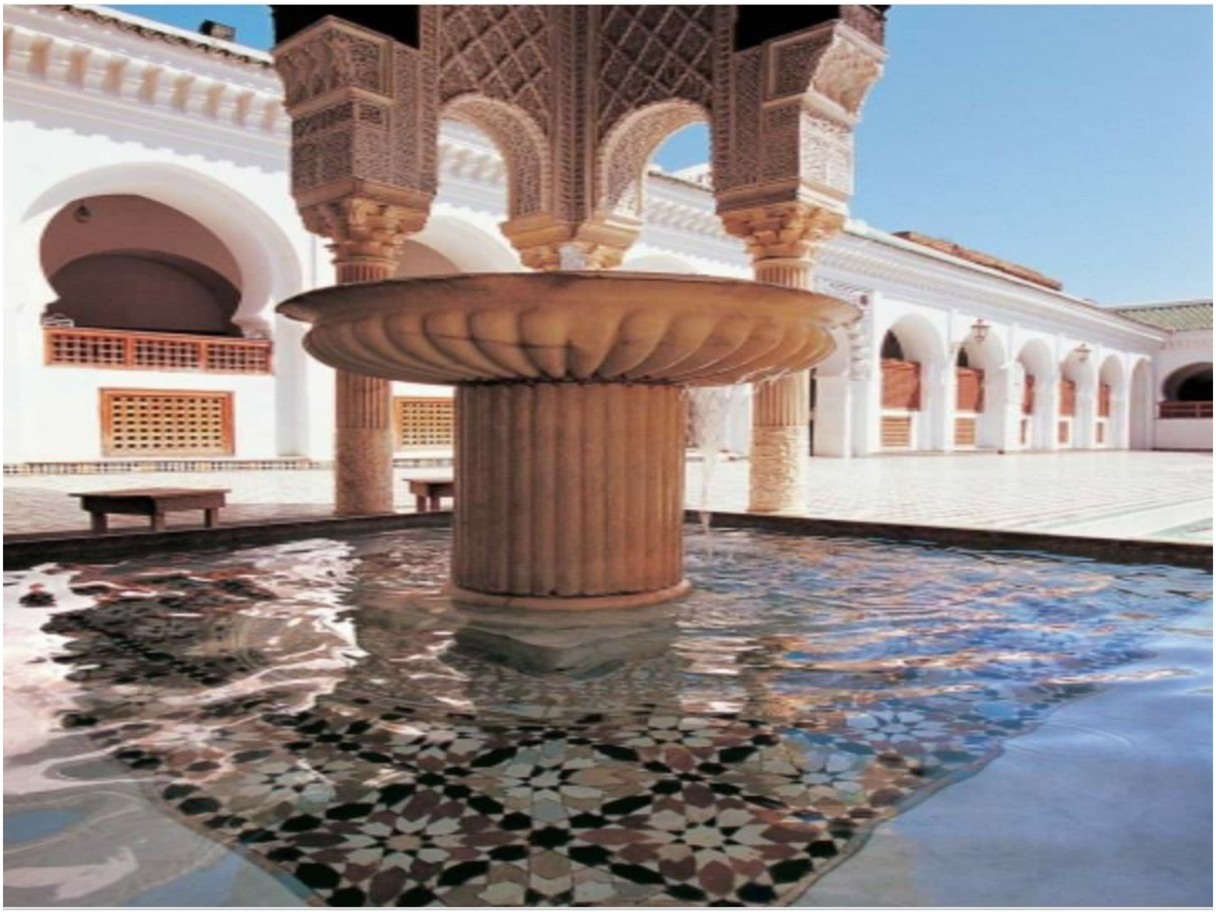


صورة رقم ١٣: صحن جامع القرويين

وفي الوسط الصحن توجد خصة. وأول ما يشد الانتباه في هذا الصحن الجناحان، والخصة الوسطى أو النافورة المخصصة للوضوء ائلا"قامت الخصة على ساق من نحاس أحمر مموه منقوش، طوله خمسة أشبار من الأرض، وقسم الساق بنصفين، يصعد الماء من النصف الواحد فيفور في وسط الخصة من تفاحة فيها عشرة أنابيب فيملأ الخصة، ثم يفور في أثقاب بجوانب الخصة لأنها بطاقتين، ثم ينحدر في النصف الثاني من العمود"[١].

---

(١) ابن أبي زرع الفاسي علي، مصدر سابق، ص. ٦٥.



صورة رقم ١٤: الخصة وهي مكان يتوضأ فيه المصلين

وفي هذا الصحن نشاهد العنزة بفتح النون وتعني في المصطلح المغربي المحراب الصيفي بموقع القوس المحوري لواجهة بيت الصلاة على الصحن. وقد صنعت زمن أبي يعقوب يوسف (٦٨٥هـ - ٧٠٦هـ) موافق (١٣٢٨م - ١٣٠٦م) على يد الفقيه الخطيب قاضي الجماعة وخطيبها محمد بن أيوب (أبي الصبر)، أيام ولايته القضاء بمدينة فاس وأنفق فيها من مال الأحباس، وابتدأ العمل فيها عام (٦٨٧ هـ - ١٢٨٨م). وفرغ من عملها وركبت في موضعها عام (٦٨٩هـ - ١٢٩٠م) [١].

وفي الطرفين الغربي والشرقي من الفناء يقف جناحان مزخرفان كل منهما يؤوي خصة أخرى. تحتوي الأجنحة على قباب هرمية، وهي مصممة بالخشب المنقوش والجبس، والجدران ذات البلاط الفسيفسائي والأعمدة الرخامية .خلف هذه الأجنحة يوجد امتدادات لقاعة الصلاة الرئيسية مقسمة إلى أربعة

[١] نفسه.ص. ٦٥.

بلاطات بصفوف من الأقواس .والرواق والقاعة المقوسة على الجوانب الشمالية الشرقية من الفناء عبارة عن مكان للصلاة مخصص للنساء.

صورة رقم ١٥: العَنزة أو المحراب الصيف



- **الصومعة:**

أشرف الزناتيون على تزويد الجامع بصومعة مربعة التخطيط خالدة إلى يومنا هذا على حالتها المعمارية الأولى، وتعتبر الأصل التاريخي الأول Prototype لصوامع المغرب المربعة حيث لا يسبق تاريخ تشييدها بالمملكة المغربية إلى اليوم. وتستمد صوامع المغرب أصولها الأولى من عمارة اليمن العربية القديمة، الأمر الذي يدعمه فيما بعد توافق ذلك النظام مع تخطيط الكعبة المشرفة.وقد تم العمل في بناء الصومعة على يد أحمد بن أبي بكر الزناتي في شهر ربيع الأول سنة خمس وأربعين وثلاثمائة حسبما كتب في التربيعة المنقوشة بها من جهة الصحن. والصومعة عبارة عن عمود مربع، تبلغ سِعة كل وجه منها واحداً وعشرين شبراً،

وجعل بابها من جهة القِبلة تعلوه قبة[١].



صورة رقم ١٦: صومعة جامع القرويين

- **مصلى الجنائز:**

تشير أعمال الباحث موريس ماسلو Moris Maslow حول مساجد فاس وشمال المغرب، إلى أن المساجد المغربية عرفت مصليات الجنائز في العهد المرابطي[٢]. ويؤكد الأستاذ التازي أن أقدم جامع للجنائز في المغرب هو الذي يوجد بجامع القرويين وقد خططه «القاضي ابن معيشة عبد الحق سنة ٥٣٧هـ»[٣].وإذا كانت مصليات الجنائز في المساجد أكثر بساطة ولا تميز بأي عنصر معماري مهم، فإن مصلى الجنائز في القرويين عبارة عن غرفة منحرفة الشكل، تتخذ شكل بيت الصلاة تنتظم في مخطط يتكون من بلاطة تشبه البلاطة المحورية لبيت الصلاة بالجامع. ويتكون من رواق مسقوف يرتكز على أقواس تحمل نقوشا خطية تعلوه قبة مربعة القاعدة و ذات أقواس، تستند على سواري، وأهم ما يميز هذه

(١) إسماعيل عثمان، ***تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى***، الحلال العربية للطباعة والنشر، الرباط، ١٩٩٣، الجزء الثاني، صص١٢٨٠- ١٣٠.

(2) Maslow Boris , Les mosquées de Fès et du Nord du Maroc , de l’ Institut des Hautes Etudes Marocaines TXX, Paris, 1937,p.140.

(٣) التازي عبد الهادي، مرجع سابق، م١، ص، ٧٤.

القاعة أو مصلى الجنائز من الناحية الفنية احتواؤها على خصوصيات فنية أولها:

- استعمال القوس المتعرج أو المزين بالزهور الثلاثي الفصوص l'arc à festons trilobés والعقود الثلاثية الفصوص نادرة في العمارة المغربية(١).

- استعمال الشكل الملفوف أو الثعباني serpentiforme، وهو نظام زخرفي معماري يحمل منابت العقود

استعمل مابين القرن الحادي عشر والقرن الرابع عشر(٢). ويحتفظ جامع الجنائز ببابه الذي لم يعرف تعديلات. وشيدت هذه القاعة المخصصة لاستقبال نعوش الموتى خلف جدار المحراب.



صورة رقم١٧: تبين أشكال الزخرفة في سواري مصلى الجنائز إما على شكل زهور أو شكل ثعبان

(1) Maslow Boris , op, cit.p.104.

(2) Ricard P, Pour comprendre l'art musulman dans l'Afrique du Nord et en Espagne, Librairie Hachette, Paris, 1924, p.163.



صورة رقم١٨: مكان مصلى الجنائز بالقرويين



صورة رقم ١٩:أبواب مصلى الجنائز

- **الخزانة:**

تقع المكتبة وراء الجدار الجنوبي للمسجد، من ناحية الشرق من محور المحراب، وهي المكتبة التاريخية للجامع والجامعة .وتعتبر أقدم مكتبة في العالم، وقد صُنفت ضمن أعظم ١٠٠ موقع في العالم تأسست في البداية كمكتبة صغيرة إلى جانب جامع القرويين عام 750 هجرية المُوافق 1350 ميلادية على يد السلطان المريني أبو عنان، لكنها كانت تقع في الزاوية الشمالية الشرقية للمسجد بدلاً من الجنوب. إلا أنه يعود المبنى الحالي جزئيًا إلى البناء السعدي من إنشاء أحمد المنصور في أواخر القرن السادس عشر، الذي بني غرفة تسمى الأحمدية خلف جدار القبلة مباشرةً[١]. لكن معظم المبنى الحالي يعود إلى توسع كبير في القرن العشرين. وشمل هذا التوسع غرفة القراءة الكبرى الحالية، التي يبلغ طولها ٢٣ مترًا، وتميز بسقف خشبي مطلي بالزخارف. وقد رُممت وأعيد فتحها مؤخرًا في عام ٢٠١٦. وحاليًا تتوفر جامعة القرويين على خمس مكتبات بأكثر من ٤٥,٢٦٨ مُجلدًا.



صورة رقم ٢٠: داخل خزانة القرويين [٢].

---

[١] التازي عبد الهادي، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص، ٣٤١.

[٢] مكتبة القرويين بفاس ضمن أعظم ١٠٠ موقع عالمي، هسبريس، ٢٥ غشت ٢٠١٨.



صورة رقم ٢١ : قاعة للمطالعة بخزانة القرويين

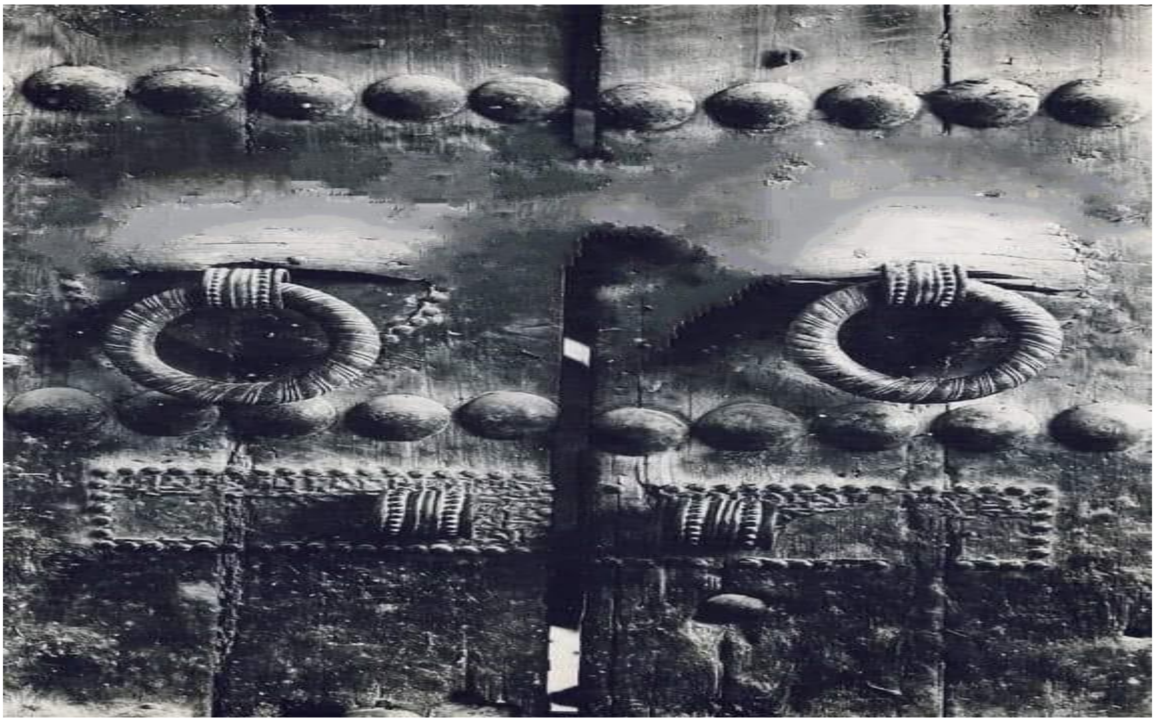
- **أبواب الجامع:**

يتوفر جامع القرويين على أبواب استطاع الصناع والحرفيون أن يتفننوا في كل جزء من أجزائها، وكل عنصر استعملوه كالمطرقة النحاسية والمسامير الكبيرة الموزعة. وجعلوا من بعضها تحفا ظلت محطة انتباه من حيث ضخامتها وتنوعها. ويذكر الجزنائي أن للقرويين ثمانية عشر بابا وهي مداخل متفاوتة المقاييس، وتتميز بمصاريع مكسوة بصفائح برونزية، وبعضها مصنوع من الخشب، وبعضها من النحاس الأصفر، وهم كالتالي: في الجانب الغربي: ١- باب مجلس القضاة. ٢- باب الصفر المعروف بباب النطاعين. ٣- باب الأولياء. ٤- باب الكتبيين. ٥- باب الشماعين الأكبر. ٦- باب الموثقين. ٧- باب الحفاة. ٨- باب الصفر المعروف بباب العميان.٩- باب بيت النساء الأصغر بموخر الصحن. ١٠- باب الحصة. ١١- باب بيت النسا بأسفل الساباط الفاصل بين الجامع ودار أئمته. في الجانب الشرقي: ١٢- باب بن عمر. ١٣- باب ابن حيون. ١٤- باب الحصة. ١٥- باب سبع لويات. ١٦- باب الحدودي. ١٧- الباب الأصغر. ١٨- باب الخلفاء[١].

---

[١] الجزنائي علي، مصدر سابق، صص. ٧٧- ٧٨.

صورتان رقم ٢٢: أبواب القرويين من الخشب





صورة رقم ٢٣: باب جامع القرويين مصفحة بالبرونز



صورة رقم ٢٤:باب القرويين من النحاس الأصفر



ب-مواد البناء والتزيين:

اتسم الطابع العام لجامع القرويين قبل العصر المرابطي بالبساطة في البناء. فقد اعتمد في بنائه في بداية الأمر، على المواد المتوفرة في عين المكان.ونظرا لكثرة الزيادات والترميمات التي عرفها الجامع، فقد تنوعت مواد بنائه وتزيينه.

ونجمل هذه المواد فيما يلي:

- الطابيـــة:

عرف المغرب استعمال هذه التقنية في عملية البناء منذ الفترات الرومانية[١]. والطابية هي مادة البناء الرئيسية في أكثر مناطق مدن المغرب وخاصة مراكش ومكناس وفاس والصويرة وتافيلالت. والطابية تراب مدكوك مخلوط بالكلس والمصبوبين في قوالب خشبية، وفي هذا المضمار يذكر لنا ابن خلدون الطابية وتقنية البناء بها قائلا: «ومنها البناء بالتراب خاصة، يتخذ لها لوحان من الخشب مقدران طولا وعرضا، فينصبان على أساس وقد بوعد ما بينهما، يوصل بينهما أدرع من الخشب، ثم يوضع فيه التراب مخلطا بالكلس، ويركز بالمراكز المعدة حتى ينعم ركزه وتختلط أجزاؤه. ثم يزاد التراب ثانيا وثالثا، إلى أن يمتلئ ذلك الخلاء بين اللوحتين، ثم يعاد نصب اللوحين، إلى أن ينتظم الحائط كله ملتحما كأنه قطعة واحدة ويسمى الطابية وصانعه الطواب»[٢].

-الآجـــــر:

وهو الطين المشوي، وهو من أقدم المواد التي استعملت في البنايات سواء في فاس أو في باقي المدن المغربية الداخلية. وتتوفر مدينة فاس على أرضية طينية تصلح لإنتاج الآجر، ونظرا لقلة الحجر فيها، فقد وظف الآجر بكثرة في البنايات الدينية. يصنع الآجر من الطين المذاب والموضوع في قوالب، تتراوح قياساتها من ٢٠ سنتمتر إلى ٢٥ سنتمتر طولا، ومن ١٠ سنتمر إلى ١٢ سنتمتر عرضا، بينما يتراوح سمكها من ٣ إلى ٥ سنتمتر، تجفف بالشمس، وتشوى في النار لصنع الآجر[٣]. وظف الآجر في جامع القرويين في السواري والدعامات والقباب والأقواس، وفي بناء بعض الجدران وفرش الأرضيات. وقد استعمل مشويا مشدودا بعضه إلى بعض بملاط الرمل والجير، أو مغطى بالخزف المطلي ليصبح أكثر

[١] ندوة" المعمار المبني بالتراب في حوض البحر الأبيض المتوسط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ١٩٩٩، صص٧١-٩١.

[٢] ابن خلدون، *المقدمة*، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٢، صص٤٠٧-٤٠٨.

[٣] Ricard P, op, cit.p.91.

صلابة ومقاومة. وقد عد ابن أبي زرع عدد الآجر الذي استعمل في فرش الصحن زمن المرابطين والمعروف باسم البجماط، أو كما عرفه نفس المؤرخ بأنه نصف آجرة في الطول. ويقول «وكان جملة ما دخله من الآجر لفرشة أربعة وأربعين ألف آجرة لأن طول الصحن احد عشر قوسا، في القوس الواحد من القِبلة إلى الجوف عشرون صفا في كل صف مئتا آجرة. فيتحمل في كل قوس أربعة ألآلف آجرة ويتحمل في أحد عشر قوسا أربع وأربعون ألف آجرة. وحول طرد دائر فيه ثمانية آلاف آجرة فيجتمع في الجميع كله اثنان وخمسون ألف آجرة دون شك ولا ريب»(١).

-الحجارة:

شكلت الحجارة إحدى العناصر الأساسية في بناء هذه المعلمة، فقد أطلق عليها الجزنائي وابن أبي رزع اسم الكذان calcaire pierre، وهو نوع من الحجارة البيضاء يستعمل في بناء الجدران، وقد استعمل هذا النوع من الحجارة في شمال إفريقيا منذ الفترة الرومانية. وهنا يقول ابن أبي زرع عن استخراجه«وكذلك الكذان الذي بنيت به، إنما قطع منها، لأنه حفر في وسط البلاط الثاني، فظهر كهف بعيد الغور. فكان الفعلة يقطعون الكذان منه ويحفرون التراب ويخرجه الرجال على رؤوسهم للبنائين فيبنون به»(٢).

-الزليــج:

وهو عبارة عن قطع من الخزف تستعمل لتبليط البنايات، وقد تفنن المغاربة في صناعة الزليج وزخرفوه وزينت به الأرض والجدران في المنازل والرياض وغيرها. وشاع استعمال الزليج في بداية القرن الرابع عشر إبان الفترة المرينية، واستعمل لتزيين جدران وأرضية المدارس والصوامع والأعمدة. وكانت أرض الجامع في البداية ملساء مكونة من الرمل والجير، عرفت في العمارة المغربية منذ القرن الثاني عشر، وبعد ظهور الزليج فيما بعد، غطيت به جدران وأرضية الصحن والجناحان وبعض الدعامات، واستعملت فيه الألوان الزرقاء والبيضاء بكثرة، وأدخلت فيه أشكال هندسية كالمربع والمعين والمسدس والمثمن والأشكال المتعددة الزوايا المعقدة(٣).

---

(١) ابن أبي زرع الفاسي علي، مصدر سابق، ص. ٦٣.

(٢) ابن أبي زرع الفاسي علي، مصدر سابق، ص. ٦١.

(٣) Metlassi Mohamed, Fès, la Ville Essentielle, ACR, 2003, p.180.

-الرخــام:

وهو نوع من الحجارة الناعمة يكون أبيض أو ملونا، وقد عرفته العمارة المغربية منذ الفترات الرومانية وهو مادة متينة استعملت للبناء والزخرفة، استعمل الرخام في الجامع بأشكال وأحجام متفاوتة، فنجده في غاية الإتقان في السواري داخل قاعة الصلاة وفي مؤخر القبة الموالية للصومعة والخصة التي بالصحن(١).

-الجبس:

الجبس مادة تصنع من الجير والماء، استعمل المغاربة الجبس لتلبيس الجدران كوسيلة تزينية لتغطية الدعامات والمحاريب. واستعمله المغاربة منذ القرن الثالث عشر. وقد ذكر ابن خلدون في مقدمته طريقة تحضيره سواء للتلبيس أو للتشكيل والنقش بقوله: «يحل الكلس ويخمر أسبوعا أو أسبوعين على قدر ما يعتدل مزاجه عن إفراط النارية المفسدة للإلحام، فإذا تم له ما يرضاه من ذلك علاه من فوق الحائط وذلك إلى أن يلتحم. كما يصنع الأشكال المجسمة من الجبس يخمر بالماء، ثم يرجع جسدا وفيه بقية البلل فيشكل على التناسب تخريما بمثاقب الحديد»(٢).

- القرمـــيد:

وهو نوع من الآجر. وقد استعمل في العمارة المغربية بشكل عام، يغطي سقوف المساجد والأضرحة والقباب. واستعمل كذلك في حلقات الدور التقليدية ذات الصحون المكشوفة، وفي جامع القرويين استعمل لتغطية السقوف المنحدرة وفي القباب. ويكون وضع القرميد في البناء على شكل مقعرات مغطاة بطلاء أخضر اللون لصرف ماء المطر.ويحصي ابن أبي زرع، عدد القرميد المستعمل في الجامع في القرن الرابع عشر بقوله «وعدد القرمود الذي في سقف الجامع المكرم، أربعمائة ألف قرميد وسبعة وستون ألف قرمودة وثلاثمائة قرمودة»(٣).

---

(١) ابن القاضي المكناسي أحمد، ***جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس***، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٣، ص٧٢.

(٢) ابن خلدون، مصدر سابق، ص، ٤٠٨.

(٣) ابن أبي زرع الفاسي علي، مصدر سابق، ص. ٦٦.

صورة رقم ٢٥: القرميد لونه أخضر الموجود بالأعلى والجوانب



- **الخشـــب:**

نظرا لوفرة الأشجار بجبال المغرب وفي ناحية فاس، فقد استعمل خشبه بأنواعه في جامع القرويين. ويعتبر شجر الأرز من أكثر أنواع الخشب تداولا في هذه المعلمة، فنجده في العَنزة وفي النوافذ والأفاريز والسقوف. كما ساهم الحرفيون في جامع القرويين في إنجاز بعض الأعمال الخشبية التي بحق انجازا فنيا وتحفا نادرة، وخاصة المنبر والأبواب والمشربيات.[١].

---

(١) ابن أبي زرع الفاسي علي، مصدر سابق، ص. ٦٠. الجزنائي، مصدر سابق، ص٦٥.

صورة رقم ٢٦: تبين مواد بناء وتزيين القرويين سواء الزليج والسواري المنقوشة والخصة التي تحيط بها الرخام



ج- أنواع الزخرفة:

لقد تعددت أنواع وأشكال وألوان الزخرفة في جامع القرويين، وكلها مستمدة من الموروث الحرفي الذي يتميز به العالم الإسلامي والمغرب خاصة، كالنقش على الجبس والجر والخشب. وطبقت الزخرفة الهندسية والنباتية والخطية على الجدران والأسقف والأقواس. والجدير بالذكر أن بداية هذه الزخرفة تعود إلى العهد المرابطي الذي اتسم بالإبداع في صنع القِباب ووضع الأقواس وكتابة الخطوط. ثم فيما بعد إلى صناع وفناني الدول المتعاقبة، الذين وظفوا أشكال متنوعة في منتهى الروعة وابتكروا أخرى، وخلقوا جوهرة العمارة المغربية جامع القرويين.

-الزخرفة الهندسية:

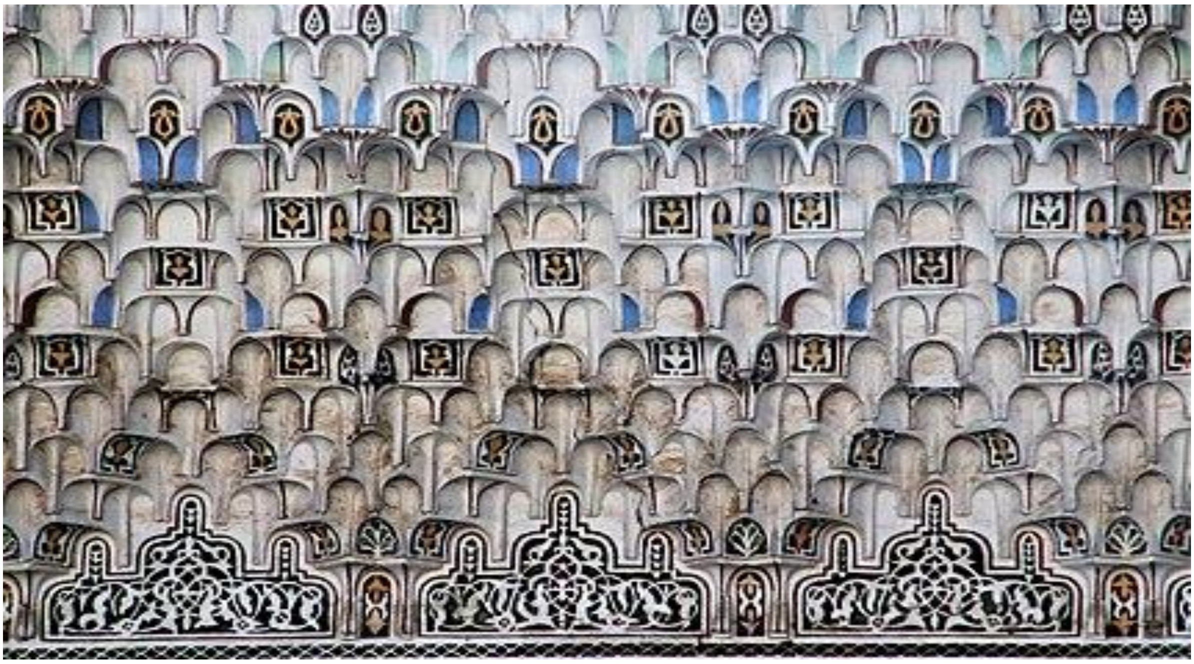
يتكون هذا النوع من الزخرفة من رسوم هندسية منبثقة عن أشكال أساسية متماثلة، لتشكل شبكة من الخطوط والأشرطة والمضلعات والمربعات والمثلثات. ومن أكثر الزخارف الهندسية في جامع القرويين:

- الشكل الرباعي أو المربع البسيط، خاصة في الإطارات ونجده في واجهة المحراب وواجهة العنزة.
- المعين، وقد نفذ في الخزف والجبس ونجده في أرضية الصحن، وأركان واجهة العنزة.

ومن أكثر المضلعات استعمالا في الجامع نجد المستطيل والمثمن والمربع والخماسي الزوايا، وقد أحيطت هذه المضلعات بالقِبَب أو بالواجهات.وهناك عنصرا هندسيا استعمل في أحدى قباب قاعة الصلاة وهو تضليعة تتخذ شكل ضلع زخرفية مقعرة بارزة les godrons في الزخرفة الهندسية[١].

---

[١] Terrasse Henri, La Mosquée Al -Qarawiyin à Fès Archéologie Méditerranéenne, III, Klincksieck, Paris,1968,p.35.



صورة رقم ٢٧: المنحوتات المقرنصات فوق قوس المدخل المركزي لقاعة الصلاة من جهة الصحن والمزين أيضا بنقوش معقدة من الزخرفة العربية [١].

-الزخرفة النباتية:

تتشكل الزخرفة النباتية في المعلمة من عناصر متداخلة مع بعضها، وقد أفرغ فيها العمال المغاربة جهودهم الفني البديع الصنع إذ نجد أنفسنا أمام حقول تتألف من باقات ممتعة ومتنوعة من النباتات والزهور. وهناك أشكال مختلفة من سعف النخل المضلع والبسيط، وهناك كذلك أحجام لجوز الصنوبر الذي تطرز به بعض الفراغات، وبعض أنواع الزهور، وقد زينت به القبة الموالية للمحراب، وبعض القباب الأخرى، وخاصة القبة المستديرة الشكل التي تضم مجموعة متعددة من الزهور، وكأن الصناع التزموا أن يجدوا لكل لوحة تركيبا خاصا قائما بذاته، بل إنك لتجدهم في اللوحة الواحدة حريصين على التنويع والتشكيل وكأنما لكل لوحة شخصيتها، الأمر الذي أعطى لكل هذه الفنون قيمة لا تقدر[٢].

الزخرفة الكتابية:

تنفرد العمارة الإسلامية دون سائر عمارة الحضارات بعنصر زخرفي وهو الخط العربي، الذي يعد عملا إبداعيا ينطوي على مقاييس وقيم جمالية، وقد شكل الخط العربي في جامع القرويين (الكوفي والنسخي)،

---

(١) https://ar.wikipedia.org.

(٢) التازي عبد الهادي، مرجع سابق، م١، ص. ٧١.

عملا فنيا من خلال الخطوط والحروف، فقد استعمل لأغراض وغايات منها:

- تقديم نصوص وآيات قرآنية معبرة عن رموز.
- توثيق وتسجيل تواريخ وأسماء وأقوال.
- تزويد الجامع بإشارات جمالية تزيد من رونقه وتبرز مكانته في مدينة فاس.

وضعت الزخرفة الكتابية في الجامع في أرضية منقوشة بالجبس أو بالخشب أو بالحجر، ويتضح من خلال شكلها أنها خطوط وضعت في فترات مختلفة. ويتجسد الخط العربي في عدة عناصر معمارية بجامع القرويين، فنجده في قاعة الصلاة، و في القباب، وفي المحراب، و في الثريات، وفي المنبر، وفي أفاريز الصحن، وفي العنزة وفي حيطان الأروقة...

د- الخط

نجد بالقرويين نوعين من الخطوط العربية: الخط النسخي والخط الكوفي.

- **الخط النسخي:** وقد اتسم بالبساطة والليونة وجاءت حروفه مدورة، ويعتبر خط الثلث والمجوهر من أشهر أنواع الخطوط المتأصلة في الخط النسخي، وقد وجدت بشكل مكثف بالجامع.

- **الخط الكوفي**: وقد تميز بالثبات في حروفه المستقيمة والمتصلة، وقد تنوع بين الكوفي القائم الزوايا والكوفي المربع والكوفي المورق المزخرف.

وندرج بعض النقائش الخطية الموجودة بالجامع.

نصوص بالخط النسخي:

- بسم الله الرحمن الرحيم.
- صلى الله على محمد وعلى آله.

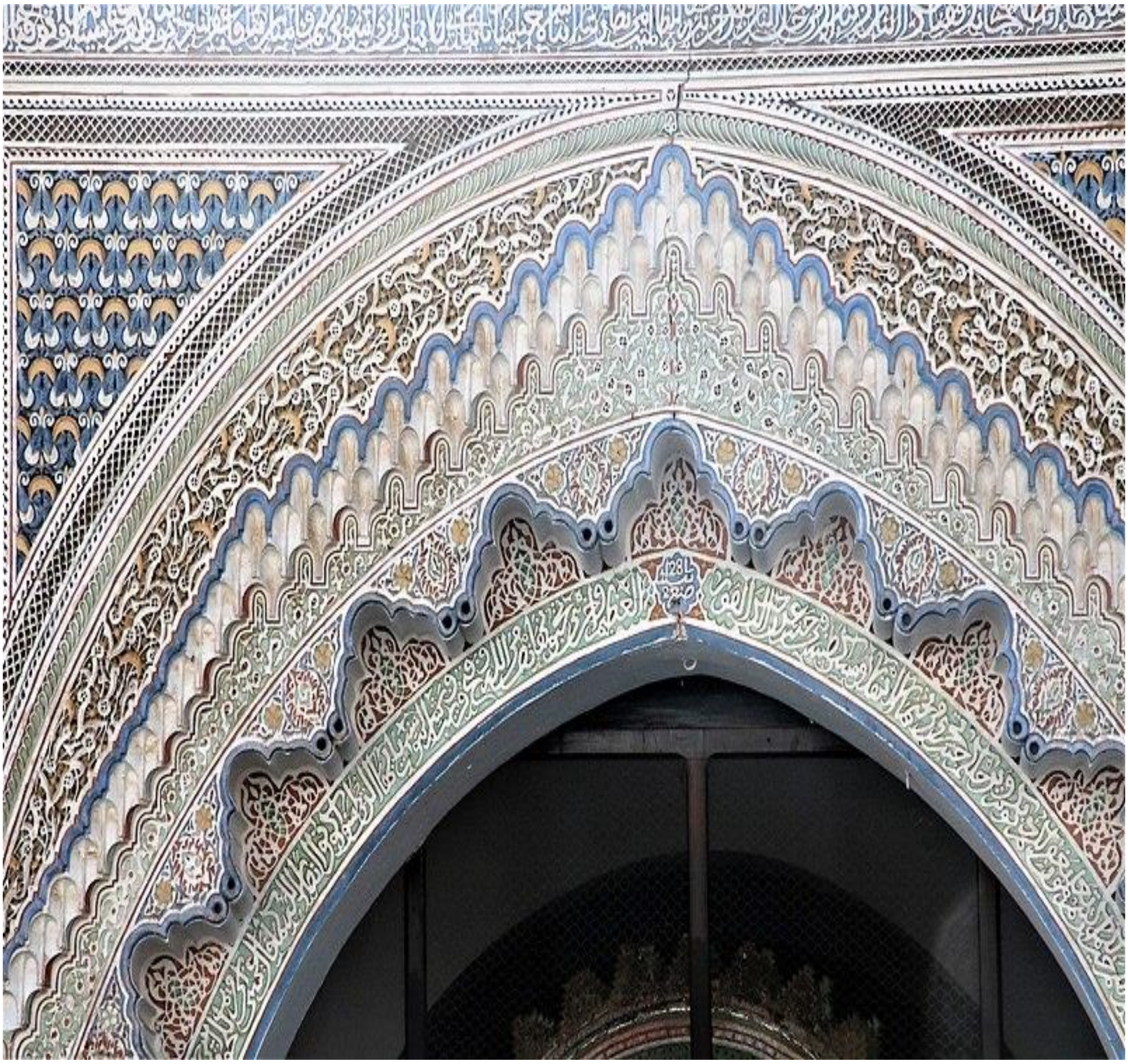
نصوص بالخط الكوفي:

- وقل ربي أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق.
- توكلت على الله. (١)
- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم "حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى"

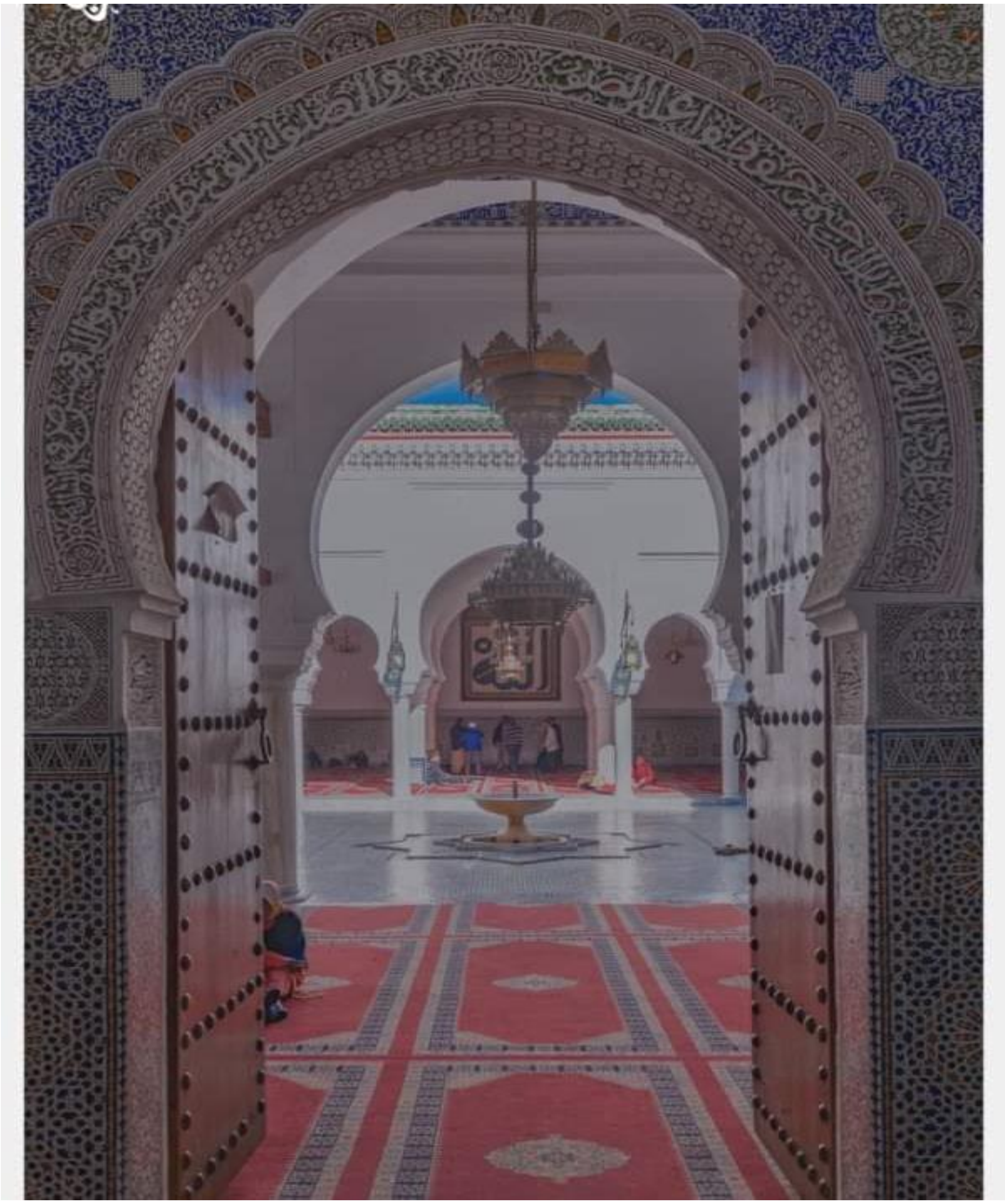
---

(١) التازي عبدالهادي، مرجع سابق، م١، صص. ٧١-٧٣

صورة رقم ٢٤: الزخرفة الكتابية لقوس المدخل المركزي لقاعة الصلاة



صورة رقم ٢٦: الزخرفة الكتابية في قوس مدخل باب الجامع



المطلب الرابع: تحويل جامع القرويين إلى جامعة

أصبح جامع القرويين جامعة علمية يشد الطلبة الرحال إليها من مختلف البلدان طلبا للعلم، [١]ومن بينهم شخصيات مهمة أمثال البابا سلفستر الثاني، الذي نقل منها الأرقام الحسابية إلى أوروبا [٢]. غير أن الباحثين اختلفوا في تحديد الزمن الذي تحول فيه هذا الجامع إلى مركز تعليمي لتدريس مختلف العلوم في مستويات عليا. فمنهم من يرى أن القرويين عرفت تكاثر الوافدين عليها في عهد السلطان المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين.[٣] في حين يقول مؤرخ الدولة الموحدية "عبد الواحد المراكشي" عن فاس في تاريخه: " إنها حاضرة المغرب في وقتنا هذا وموضع العلم فيه، اجتمع فيها علم القيروان وعلم قرطبة. إذ كانت قرطبة حاضرة الأندلس، كما كانت القيروان حاضرة إفريقية. فلما اضطرب أمر القيروان (...)، واضطرب أمر قرطبة (...). رحل من هذه وتلك من كان فيهما من العلماء والفقهاء، من كل طبقة فرارا من الفتنة، فنزل أكثرهم مدينة فاس. فهي اليوم على غاية الحضارة".[٤]

وتشير إحدى الوثائق الفرنسية إلى أن جامعة القرويين، هي أقدم جامعة في العالم، [٥]باعتبار تاريخ تأسيس الجامع في منتصف القرن الثالث الهجري (منتصف القرن التاسع الميلادي). وهناك من اعتبر أن القرويين تحولت إلى مركز علمي في العهد المريني، وامتد إشعاعه إلى خارج المغرب. وتشهد على ذلك " آثارهم الباقية إلى الآن في مدارسهم العلمية وغيرها، فإنهم استكثروا من بنائها وبناء الزوايا، ووقفوا عليها الأوقاف المغلة، وأجروا على الطلبة بها الجرايات الكافية، فأمسكوا بذلك من رمق العلم وأحيوا مراسمه".[٦] ومن أهم هذه المدارس: مدرسة الصفارين وأسسها السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق

---

(١) السائح حسن، *التاريخ العلمي لجامعة القرويين*، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، ١٩٩٧، ص.٢٣٠.

(٢) Archives Diplomatiques de Nantes / 1MA/ 200 / 64 :٤ Etudiant de Karaouiyine voici la voie que tu dois suivre, « ***Vie Karaouiyine de avant et après le Colonialisme, 9 Mai 1951*** ».

(٣) ابن القاضي المكناسي أحمد، *جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس*، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٣، القسم الأول (أ-ص)، ص.٦٨٠.

(٤) المراكشي عبد الواحد، *المعجب في تلخيص أخبار المغرب*، مطبعة المغرب، ١٩٣٨، ص.٢٢١.

(٥) ADN / 1MA/ 200 / 64 :٤ Etudiant de Karaouiyine voici la voie que tu dois suivre, « ***Vie Karaouiyine de avant et après le Colonialisme, 9 Mai 1951*** ».

(٦) الكتاني عبد الحي، *ماضي القرويين ومستقبلها*، تحقيق عبد المجيد بوكاري، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، سنة ٢٠٠٦، ص. ٨٢-٨٣.

سنة (٦٨٤هـ/١٢٨٥م)، ومدرسة العطارين وشيدها السلطان أبو سعيد عثمان المريني سنة (٧٢٣هـ/١٣٢٣م)، ومدرسة المصباحية وبناها السلطان أبو الحسن المريني سنة (٧٤٧هـ/١٣٤٦م)، ومدرسة البوعنانية التي شيدها السلطان أبو عنان المريني سنة (٧٥٦هـ/١٣٥٥م).[١] وكانت هذه المدارس تجمع بين وظيفتي التعليم وإيواء الطلبة، لكن النقص الحاصل في إيرادات الأوقاف الناتج عن سيطرة السلاطين وخراب ممتلكاتها من جراء الحروب، أدى إلى اندثار المهمة التعليمية بها، وفتح المجال أمام انتعاش الزوايا المنتشرة في مختلف أنحاء المغرب، وخاصة خلال العهدين الوطاسي والسعدي.[٢]وقد تحولت بعض الزوايا الكبرى، إلى مراكز علمية[٣] منافسة للقرويين، مثل الزاوية الفاسية والزاوية الدلائية. وبوصول العلويين إلى الحكم، تعززت المدارس المرينية بمدرسة الشراطين، التي بناها السلطان المولى رشيد العلوي سنة (١٠٨١هـ/١٦٧٠م)، [٤] ومدرسة باب عجيسة التي أنشأها السلطان سيدي محمد بن عبد الله.[٥] وخصصت للقرويين موارد الأوقاف لتغطية كل مستلزمات صيانته والقيام بكل الوظائف الدينية.[٦]

---

[1] Péretié A, Les Médersas de Fès, ***Archives Marocains Publication*** de la Mission Scientifique du Maroc, Volume XVIII, Editeur Ernest Leroux, Paris, 1912, pp.261-313.

[٢] عمراني محمد، *جامعة القرويين والحماية ١٩١٢- ١٩٣٤*، منشورات الرباط نت، الرباط، الطبعة الأولى، ٢٠١٦، ص١٧٠ - ١٨.

[٣] وعلق حجي على انتشار الزوايا قائلا: وكانت الزاوية الدلائية من أحسن البقاع التي يلتجئ إليها العلماء، حيث يجدون الطمأنينة وراحة البال (...). وقد أجمع كل من تحدث عن الناحية العلمية للزاوية الدلائية على أنها بلغت شأوا بعيدا وبدت فاسا في تلك الفترة وفاقتها." حجي محمد، *الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي*، المطبعة الوطنية، الرباط، ١٩٦٤، ص٧١٠.

[٤] الكتاني عبد الحي، *ماضي القرويين...*، مصدر سابق، ص. ٨٥.

[5] Péretié A, ***Les Médersas de Fès***, op.cit, p.267.

[٦] الكتاني عبد الحي، *ماضي القرويين...*، مصدر سابق، ص. ٦٤.

المبحث الثالث: جامعة القرويين: العنصر البشري (العلماء والطلبة)، العلوم والفنون والمناهج على مر العصور

المطلب الأول: علماء القرويين: صفاتهم وطرق تعيينهم ومداخلهم المادية ووظائفهم

-أ- العالم صفاته وهيئته

العالم هو العارف بعلوم الشريعة الإسلامية، [1]ويطلق عليه أكثر من وصف:[2] الفقيه، [3] والعلامة، [4] والشيخ[5]. وكان علماء القرويين يتصفون بالتقوى والورع والوقار، ونواياهم في التدريس بجامعة القرويين، تهدف في مجملها إلى إيمانهم بكونهم ورثة الأنبياء، "عليهم أن يبلغوا شريعة الإسلام، وما كان لهم من المعارف التي تعين على تفهمها تأدية لواجب الرسالة الملقاة على عاتقهم، أو التي حملهم إياها رسول رب العالمين".[6]

تقتضي وظيفية العلماء بعدم ظهورهم في الأسواق والمقاهي والحمامات العامة، ولا يتجولون في الشارع ولا يمشون بسرعة، [7] وإنما ينقلون خطواتهم في تؤدة ووقار مطرقين رؤوسهم إما في تفكير علمي، وإما لصون أعينهم من النظر إلى المحارم [8]. وإذا مر بهم صاحب دكان أو تاجر أو موظف، يلزم أن ينحني ويحاول تقبيل اليد، أو على الأقل لمس الكساء.[9] وقد اتخذ علماء القرويين لباسا من قميص فضفاض

---

(1)ADN / 1MA/ 200 / 643: P/5 b. Enseignement Supérieur Musulman Karaouiyine, «***Les Oulémas du Maroc***», p.1.

(٢) رواية شفوية للعالم عبد الحي العمراوي (من علماء جامعة القرويين).

(٣) الفقيه: يطلق هذا الاسم على من له دراية واسعة بالأحكام الشرعية وأصولها. وأصله من الفقه وهو الفهم لغة.

(٤) العلامة: ينطبق هذا الاسم على من شهد له العلماء بغزارة العلم وسلامة الدين، وفصاحة اللسان، والإلمام بأحكام الدين قديما وحديثا.

(٥) الشيخ: تطلق في اللغة على من بلغ الستين أو تجاوزها، وعلى رئيس الزوايا والقبيلة، وتطلق أيضا على كل من اشتغل بطلب العلم الشرعي.

(٦) الورطاسي قدور، ***ذكريات الدراسة في فاس***، دار الطباعة الحديثة، الدار البيضاء، (بدون تاريخ)، ص.٧١.

(٧) لاندو روم، « جامعة القرويين بفاس، تعريب محمد الخطيب»، ***مجلة دعوة الحق***، العدد الأول السنة الثانية ربيع الأول ١٣٧٨ شتنبر ١٩٥٨، ص.٢٧.

(٨) الورطاسي قدور، ***ذكريات...*** مصدر سابق، ص. ٧٣.

(٩) لاندو روم، ***جامعة القرويين بفاس***، مرجع سابق، ص.٢٧.

تعلوه فرَجية، [١] فوقها جلباب وعمامة بيضاء توضع فوق الرأس وتغطى بقب[٢] الجلباب، ويسدل العلماء على كل ذلك برنس (سلهام) أبيض. أما كبار العلماء فيضيفون إلى ذلك كساء يشملون به جسمهم، وخاصة عندما يصعد المنبر يوم الجمعة، وفي عيدي الفطر والأضحى للخطبة والإمامة بالناس.[٣]



صورة رقم ٢٧: للشيخ محمد بن العربي العلوي (من علماء القرويين) وهو يرتدي ملابس العلماء[٤]

---

[١] فرَجية: لباس تقليدي مغربي يرتديه الرجال، وهي من الكتان الرقيق الشفاف تكون مفتوحة الجوانب يرتديها الرجل فوق القميص.

[٢] غطاء الرأس الملتصق بالجلباب.

[٣] بوطالب عبد الهادي، *ذكريات شهادات ووجوه*، الشركة المغربية للطباعة والنشر، الرباط، ١٩٩٢، الجزء الأول، ص٥٤٠٠.

[٤] نور الدين لشهب، هسبريس٢٢ ماي ٢٠١٨.

ب- كيفية تعيين علماء القرويين وترقيتهم ومراتبهم

كان الانخراط في سلك العلماء يتم عن طريق نظام الإجازة، [١] وهي في الأصل اصطلاح حديثي له ارتباط وثيق بالرواية والسماع.[٢] وكان علماء الحديث أول من استعمل لفظ الإجازة للإذن بالرواية عنهم بالسند المتصل لمن سمع عنهم الحديث، لكنها تطورت إلى الشهادة العلمية، التي تتوج دراسات الطلاب، وترقى بهم إلى مصاف العلماء أو الشيوخ.[٣] وتنص الإجازة على المواد التي درسها الطالب وأتقن دراستها، وأصبح في وسعه أن يعلمها.[٤] ولم يكن العالم يجيز طالبه بسهولة إذ لم يكن لطلب العلم حد يقف عنده طالبه. وكان الطلاب يذهبون إلى كبار العلماء المرموقين في مختلف العواصم العلمية لملازمة حلقات دروسهم، رغبة في نيل إجازاتهم التي كانت تعطى من نالوها درجات علمية معترف بها. وكان الأستاذ المجيز يزن تقييمه للمجاز بميزان دقيق، تضبط فيه كلمات الشهادة بما يوضح مستوى الطالب المجاز.[٥] كان لكل طالب حامل للإجازة الحق في أن يدرس بجامعة القرويين دون استلام أي راتب من الأحباس أو المخزن، ويدعى فقيها أو عالما، وبعد أن يكون الطالب قد درس بهذه الكيفية، يمكنه أن يلتمس تعيينه كعالم رسمي بالقرويين، [٦] فيتم إبلاغ السلطان بذلك، وإذا ارتأى هذا الأخير، أن التعيين ملائم يصدر ظهيرا بتعيينه.[٧]

كان يعتمد في الترقي قديما على ما يحصل عليه العلماء من نبوغ وخبرة دون اجتيازهم لمباراة ما. وفي سنة ١٩١٦، جعل السلطان المولى يوسف (١٨٨٢ - ١٩٢٧م)، ترقية العلماء متوقفا على النجاح في الامتحان. وقد شهدت على ذلك، العديد من الوثائق الفرنسية، ومنها: الرسائل الموجهة من وزير العدلية

---

(1) A D N / 1MA/ 200 / 643: P/5 b. Karaouiyine. Historique. Notes sur la Constitution et Fonctionnement de Karaouiyine, «***Notes sur Karaouiyine de Paul Marty, 30 Décembre 1921***»,p.***40***

(٢) حجي محمد، *الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين*، مطبعة فضالة، ١٩٧٧، الجزء ١، ص.١٠٠.

(٣) بوطالب عبد الهادي، ***ذكريات شهادات...***، مصدر سابق، ج١، ص.٥٤٠.

(٤) السائح حسن، «عرض موجز عن القرويين ماضيها وحاضرها» **مجلة كلية الشريعة**، العدد ٣ جمادى الثانية ١٣٩٨هـ، مايو ١٩٧٨، ص.٦٢٠.

(٥) بوطالب عبد الهادي، ***ذكريات شهادات...***، مصدر سابق، ج١، ص. ٥٤٠.

(6) Pérétié A, ***Les Médersas de Fès***, op.cit, p.٣١٩ .

(٧) لوطورنو روجي، *فاس قبل الحماية*، ترجمة محمد حجي، ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ١٩٨٦، ص.٦٦٠.

والمعارف أبي شعيب الدكالي، إلى العلامة أحمد بن الخياط رئيس المجلس العلمي سنة ١٩١٦ و١٩١٧ م، يخبره فيها بترقية بعض العلماء المدرسين في المراتب بعد اجتيازهم للامتحان. ومما جاء في هذه الرسائل ما يلي:" وقد اقتضى نظر سيدنا أيده الله، إدراج الفقهاء الناجحين في الاختبار في الطبقة الرابعة، وترقيتهم(١).

والجدير بالذكر أن علماء جامعة القرويين كانوا ينقسمون إلى أربع مراتب وهم: علماء المرتبة الأولى، وعلماء المرتبة الثانية، وعلماء المرتبة الثالثة، وعلماء المرتبة الرابعة. وكان كل عالم منهم يتوصل بصلات مخزنية سنوية من بيت المال، وبمرتب شهري خاص من الأحباس حسب كل مرتبة، (٢) بالإضافة إلى عقار يجعل رهن إشارتهم، ولهم الحرية في كرائه إذا كانوا يتوفرون على سكن(٣).

ج- وظائف علماء القرويين الدينية والدنيوية

قام علماء القرويين بدور بارز في تاريخ المغرب المعاصر، وأكدوا حضورهم في مختلف القضايا الدينية والدنيوية، واحتلوا مكانة اجتماعية مرموقة، ومارسوا نفوذا واسعا. وكانت تتوقف مكانتهم على النهوض بأدوار مهمة لفائدة المجتمع الذي كان يلجأ إليهم لاستفتائهم في الأمور الدينية في مجال العبادات والمعاملات وحل النزاعات، كما ارتبطت مكانتهم بعلاقتهم بالسلطة السياسية باعتبارهم من أهل الحل والعقد، وطرفا رئيسيا في بيعة السلاطين. وكان الحكام يلجؤون إليهم لاستفتائهم في النوازل والقضايا، التي ترجع إلى العلاقات بين المغرب والدول الأجنبية. وقد كان سلاطين الدولة العلوية يتخذون عالم من كبار العلماء يساهم في تثقيف الأمراء والأميرات، أو على الأقل هو الذي يختار من يباشر تعليمهم تحت إشرافه وملاحظاته. وجرت العادة في المغرب أن تقام مجالس علمية سلطانية بحضور السلطان وكبار علماء المغرب، وعلماء العالم العربي والإسلامي وغيرهم. وكانت تسند مهمة رئاسة مجالس الحديث لكبار علماء جامعة القرويين. ومن بين الوظائف التي أسندت لهم ما يلي:

- وظيفة التدريس

زاول علماء القرويين وظيفة التدريس بجامعة القرويين، وكان لكل عالم كرسي مخصص ليملي درسا على

---

(1) A D N / 1MA/ 300 / 109: T-I-5-2, Enseignement Musulman, Professeur de Karaouiyine et Ouléma de Fès, années 1912-1930, «***La Lettre du Ministre Chérifien de la Justice et du Culte Bouchaib Doukkali , à Sidi Ahmed Bel Khayat Président du Conseil de Perfectionnement de Karaouiyine, 17 Janvier 1916***».

(٢) الحجوي محمد، *تقرير عن المعارف بالمغرب*، مخطوط الخزانة العامة، الرباط، رقم: ح/ ١٢٩، ص. ٩٢.

(٣) بدون مؤلف: *رسالة مرفوعة إلى السلطان المولى يوسف* مخطوط الخزانة الحسنية، الرباط، رقم: ٥- ١٣٧٤٠، ص.١٤٠.

الطلاب، وكان بالقرويين مائة كرسي لتدريس العلوم[1]. وكان لهذه الكراسي أوقاف خاصة صادرة عن السلاطين أو الأفراد، وتوجد في حوالات القرويين عدة لوائح فيها أوقاف كراسي التدريس بجامع القرويين. وكان للكراسي مواضع قارة حسب الأماكن، ومن بين هذه الكراسي، كرسي المحراب، كرسي ظهر الصومعة، كرسي الونشريسي، كرسي البخاري بشرحه فتح الباري، كرسي التفسير، كرسي صحيح مسلم، كرسي الفقه، كرسي الحديث، كرسي ابن غازي[2].



صورة ٢٨: الكراسي العلمية بجامعة القرويين

- وظيفة القضاء

امتهن علماء القرويين وظيفة القضاء زيادة على مهمتهم في التدريس. وكان الأصل في القضاء، الفصل في النوازل والقضايا والمستجدات، التي تطرأ على المجتمع. وكان القضاء في المغرب، يستمد أصوله من الشرع الإسلامي، ومصادره هي القرآن والسنة والإجماع والاجتهاد. وكان السلطان خليفة المسلمين، يتمتع

---

(١) السايح الحسن، عرض موجز عن القرويين ماضيها وحاضرها، ***مجلة كلية الشريعة*** العدد ٣ جمادى الثانية١٣٩٨ مايو ١٩٧٨، ص٥٩.

(٢) السايح الحسن، عرض موجز عن القرويين ماضيها وحاضرها، ***مجلة كلية الشريعة*** العدد ٣ جمادى الثانية١٣٩٨ مايو ١٩٧٨، ص٥٩.

بالسلطة القضائية، بالإضافة إلى باقي السلطات، [١] ولكنه، في الواقع يفوض هذه السلطة إلى قضاة دينيين (قضاة الشرع)، وقضاة عصريين (قضاة المخزن) أي الباشوات والقياد. وكان اختيار القضاة من خريجي القرويين، ويشترط في الترشيح لهذه المهمة، - كما يذكر العالم القرويني الحجوي -كفاءتان: العلم والعمل، ويتولى قاضي قضاة فاس، ترشيح القاضي، ولا يختاره إلا من اشتهر بعلمه وتتلمذ على يده علماء المغرب تدريسا وتأليفا، أو أحدهما، وظهرت نزاهته، وتدرب بالإفتاء والعدالة. ويعتبر ترشيح قضاة فاس للقاضي الذي يريده، بمنزلة إجازة وشهادة بالكفاءة العلمية والعملية معا.[٢]

- وظيفة العدول

زاول علماء القرويين مهمة العدول، وكانت مواثيقهم تلعب دورا هاما في النظام القضائي الشرعي بالمغرب، وقد حدد ظهير ٧ يوليوز سنة ١٩١٤، وضع العدول. ويعين وزير العدل العدول بقرار من اقتراح القاضي، وكان عددهم يتغير حسب حاجات المصلحة، وقسموا إلى صنفين: واحد تمتد صلاحيته على كل العقود، في حين كانت صلاحية أفراد الصنف الثاني محدودة، ويقيمون خارج المحكمة.[٣]ويمثل القاضي بالنسبة للعدول دور المأمور والمسؤول القضائي[٤].

- وظيفة الإفتاء

تقلد علماء القرويين، وظيفة الإفتاء التي كان لها مقر خاص بالقرويين، وكان يسند إلى هذا المفتي جانب مهم من الأوقاف، يصرفه باجتهاده في المشاريع الخيرية التي يقرها من خلال احتكاكه بمشاكل الناس.[٥]والإفتاء - حسب محمد كنون- "هو بيان حكم الله في النازلة المسؤول عنها من غير زيادة فيها ولا نقصان عليها، ولا تدعيمها بشقشقات اللسان، ولا سفسطات بهتان، ولا شعوذة هذيان".[٦]وكانت مهمة

---

[١] البايك محمد، «الإشعاع الفكري والروحي للقرويين على منطقة سوس بالمغرب الأقصى»، ***مجلة القرويين***، العدد الثامن سنة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ص. ١٧٩.

[٢] الحجوي محمد، ***تقرير تاريخي عن حال المغرب بعد الحماية***، مخطوط الخزانة العامة، الرباط، رقم:ح/٢٥٤، ص.٣٠ - ٣١.

[٣] خير فارس محمد، ***تنظيم الحماية الفرنسية في المغرب ١٩١٢ -١٩٣٩***، دمشق، ١٩٧٢، ص.٢٦٢.

[4] Guiraud Amédée, ***La justice chérifienne***, ses origines, son fonctionnement, son organisation future, Recueil Sirey, Paris, 1930, p.84.

[٥] التازي عبد الهادي، «تاريخ جامعة القرويين المعماري والفكري»، ***في أعمال ندوة جامعة القرويين و آفاق إشعاعها الديني والثقافي***، سنة ١٩٩٦، ص. ٧٧.

[٦] كنون محمد، ***نصيحة أهل العلم***، مخطوط الخزانة العامة، الرباط، رقم:ح / ٢١٨، ص. ١٣.

المفتين إعطاء المترافعين فتاوى قضائية بناءا على طلبهم، وكان عليهم أن يبرهنوا فتاواهم، وأن يشيروا إلى الفقهاء المعترف بهم.(١)

- وظيفة الشهادة والإمامة والخطابة والكتابة

كانت وظيفة الشهادة والإمامة والخطابة، مهمة كثير من العلماء، ولا يتولاها إلا العلماء العارفون بعلوم الشريعة الإسلامية، أما وظيفة الكتابة، فكان يتولاها العلماء الماهرون بعلوم اللغة العربية.(٢) وقد أشارت إحدى الوثائق الفرنسية، إلى ظهير شريف خاص بتنفيذ مهمة الخطابة للفقيه محمد بن عبد القادر ابن سودة، بضريح سيدي أحمد الشاوي بفاس سنة ١٩١٦م، ونصه:" يعلم من كتابنا هذا اسماه الله، وأعز أمره، واطلع في سماء المعالي شمسه المنيرة وبدره، أننا بحول الله وقوته وشامل يمنه ومنه نفذنا لماسكه، الفقيه السيد محمد بن عبد القادر ابن سودة، الخطابة بضريح سيدي أحمد الشاوي بفاس، مكان ابن عمه المتوفى، السيد عبد السلام النسب، وأجريناه مجرياه فيما يرجع للخطابة المذكورة بشرط أن يقوم بالوظيف بنفسه. فنأمر الواقف عليه قضاة ونظارا، أن يعلموه ويعملوا بمقتضاه والسلام".(٣) أما بخصوص وظيفة الإمامة، فقد أقر السلطان المولى يوسف سنة ١٩١٦، بتولية محمد بن عبد الرحمن بن جعفر الكتاني الإمامة بمحل والده بمسجد الغرابيلي بفاس.(٤)

- وظيفة الطب

زاوج العلماء بين الوظائف الدينية والعلمية، فقد اهتمام علماء القرويين بعلم الطب وأقبلوا على تدريسه. وللاستدلال على ذلك، وردت شهادة الفقيه علي بن ميمون الحسني (ت٩١٧هـ) في حق مدينة فاس، والعلوم التي كانت تدرس بجامعة القرويين في أواخر القرن التاسع الهجري (١٥م)، ومن ضمنها علم

---

(1) Guiraud Amédée, ***La justice chérifienne***, op.cit, p.٨٣

(٢) الكتاني عبد الكبير، ***زهر الآس في بيوتات أهل فاس، ويليه تحفة الأكياس ومفاكهة الجلاس فيما غفل عنها صاحب زهر الآس في بيوتات أهل فاس***، تحقيق علي بن المنتصر الكتاني، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ٢٠٠٢، ص. ٤٤.

(3) A D N / 1MA/ 300 / 109: T-I-5-2, Enseignement Musulman, Professeur de Karaouiyine et Ouléma de Fès, années 1912-1930, ***« Dahir Chérifien nommant sidi Mohammed Ben Abdelkader Ben Souda Prédicateur de Sidi Ahmed Chaoui, 28 Juillet 1916».***

(4) A D N / 1MA/ 300 / 109: T-I-5-2, Enseignement Musulman, Professeur de Karaouiyine et Ouléma de Fès, années 1912-1930, ***«La Lettre du M. Bel, Délégué à l'Organisation et du Contrôle de l'Enseignement dans les Régions de Fès et de Meknès, 17 Janvier 1916 ».***

الطب، حيث يقول:"ما رأيت مثلها (فاس) ومثل علمائها في حفظ ظاهر الشرع العزيز بالقول والفعل (...)، وحفظ نصوص كل علم مثل الفرائض والحساب وعلم التوقيت والطب".(١)

د -الوظائف السياسية لعلماء القرويين

-العلماء وبيعة السلاطين

يقوم نظام الحكم في المغرب، على مبدأ البيعة المنبثق من الأصول الإسلامية، "بيعة الرضوان " (بيعة النبي عليه السلام)، والقائم على عقدة بين الطرفين السلطان والرعية، أي شكل تقليدي لتنظيم الحقل السياسي في الدولة السلطانية، تنظيما يرتفع عن العرف إلى مستوى التعاقد المكتوب، الذي يجري عليه الإشهاد، ويختم ختما رسميا في طقس المبايعة.(٢) ويعرف العروي، المبايعة بأنها عقد من نوع عادي كسائر العقود، مثل عقد البيع، أو عقد النكاح، ويُفعل وفق المساطر والمقتضيات نفسها. وتتم العملية في حضرة قاض، ويشهد ممثلو الجماعات المبايعة على أنفسهم، ومن ينوبون عنهم بالالتزام بالعقد والوفاء لبنوده، ويوقعون على ذيل الوثيقة بحضور شهود موثوق فيهم يشهدون على صحة التوقيعات من خلال وضع علامات على الوثيقة، ومن نكث العقد بدون سند شرعي صريح موجب للخلع، يعتبر مارقا يستوجب إقامة الحدود.(٣)

ظلت البيعة شأنا خاصا بالنخبة دون الرعية، يعقدها "أهل الحل والعقد" دون سواهم، وكان العلماء جزءا من الخاصة، ويعتبرون من "أهل الحل والعقد"، ويشكلون طرفا رئيسيا في بيعة السلاطين، بالإضافة إلى أنهم كانوا مسؤولين عن سلامة العقيدة الإسلامية، بصفتهم أوصياء على مصالح الأمة، وواجبهم الدفاع عن الإسلام، والسهر على تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية.(٤) وكانت للعلماء مسؤولية تدوين نص بيعة السلطان، وقراءة نصها على منابر المساجد.(٥) وفي هذا الصدد، يؤكد الحبابي، على أن البيعة، كانت

---

(١) الكتاني محمد بن جعفر، ***سلوة الأنفاس ...***، مصدر سابق، ج١، ص٧٦٠.

(٢) بلقزيز عبد الإله، ***الخطاب الإصلاحي في المغرب التكوين والمصادر ١٨٤٤ - ١٩١٨***، دار المنتخب العربي بيروت - لبنان، ١٩٩٧، ص. ١٨٣.

(٣) العروي عبد الله، ***الأصول الاجتماعية والثقافية للوطنية المغربية ١٨٣٠ -١٩١٢***، تعريب محمد حاتمي، محمد جادور، المركز الثقافي العربي، ٢٠١٥، ص٩٨٠.

(4) ADN / 1MA/ 200 / 643: P/5 b. Enseignement Supérieur Musulman Karaouiyine, «***Les Oulémas du Maroc***», op.cit, p.3.

(5) A D N / 1MA/200/645/p/5: E. Sup. Man. Réforme et Réorganisation de Karaouiyine «***Rapport sur Qaraouiyine, 23 Juillet, 1943***», p.1.

تقدم على شكل شبه ديمقراطي، كما كان الحال على عهد الخلفاء الراشدين، رغم أنها لم تكن وسيلة للسيادة الشعبية.[١] وتتسم نصوص البيعات المعقودة بعواصم فاس ومراكش والرباط بطول مضامينها وبصياغتها المضبوطة، أما تلك المنجزة في الحواضر الصغرى، فتتميز بقصرها وبساطتها، ويوقع كل نسخة سكان المدينة، وفرق الجيش المرابطة بها، وأعيان القبائل المجاورة لها. وترتكز كل نصوص البيعات على الصيغة نفسها، وتشدد على فكرتي مطابقة بيعة الرضوان (بيعة النبي عليه السلام)، والتعجيل بالالتفاف حول السلطان الجديد بغية تحقيق الإجماع[٢].

ه- مكانة العلماء في المجتمع المغربي وعند السلاطين المغاربة

كان لعلماء القرويين مكانة متميزة في المجتمع، إذ كان الناس يلجؤون إليهم لاستشارتهم في الأمور الدينية في مجال العبادات والمعاملات، أو لحل نزاعات. ولم تكن وظيفة العلماء التعليمية منحصرة في دائرة الطلبة، بل كانوا يعقدون حلقات مفتوحة لفائدة عامة الناس ليساهموا من خلالها في نشر المعرفة الدينية، وتكوين طلبة وفقهاء من فئة العوام الأميين.[٣]وكانوا يعقدون حلقات للوعظ والإرشاد، ويحثون الناس على التمسك بالدين الإسلامي، ويتولون القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. كان السلاطين، يستشيرون العلماء في مجموعة من المسائل والقضايا الكبرى، التي تستدعي توضيح رأي الشريعة في ذلك[٤].

ولقد كان من التقاليد الموروثة لدى سلاطين الدولة العلوية، أن يتخذوا عالم من كبار العلماء، يساهم في تثقيف الأمراء والأميرات، أو على الأقل هو، الذي يختار من يباشر تعليمهم تحت إشرافه وملاحظاته. وجرت العادة في المغرب، أن تقام مجالس علمية سلطانية، لسرد الأحاديث النبوية في الأشهر الثلاثة رجب، وشعبان، ورمضان، من كل سنة هجرية، بحضور السلطان وكبار علماء المغرب، وعلماء العالم العربي والإسلامي، وغيرهم[٥]. وكانت تسند مهمة رئاسة مجالس الحديث لكبار علماء جامعة القرويين.

---

(1)Lahbabi Mohammed, ***Le Gouvernement Marocain à l'aube du XXè siècle***, Editions Technique Nord- Afriques, Rabat, 1958, pp.40-60.

(٢) العروي عبد الله، ***الأصول الاجتماعية...***، مرجع سابق، ص.١٠١.

(٣) الحجوي محمد، ***فهرسة...***، مصدر سابق، ص. ٤٥. الهامش.

(٤) الناصري أحمد بن خالد، ***الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى***، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٦، الجزء ٩، ص. ١٩٤.

(٥) السراج محمد، ***المركز الاجتماعي لعلماء جامعة القرويين***، الكتاب الذهبي، جامعة القرويين في ذكراها المائة بعد الألف، منشورات وزارة التربية الوطنية، مطبعة فضالة، 1960، ص. ٢٠.

المطلب الثاني: طلبة جامعة القرويين وسكناهم

عرفت جامعة القرويين، توافد العديد من الطلبة الأجانب والمحليين إليها، نظرا لمكانتها وشهرتها العالمية[١]. وكان هؤلاء الطلبة، ينقسمون إلى قسمين:

أ- الطلبة الفاسيون:

كانوا يقطنون مع عائلاتهم بمدينة فاس، وبلغ عددهم سنة ١٩٢٥ إلى حوالي ٣٠٠ طالب، [٢] وارتفع ليصل في أواسط الخمسينات إلى ٦٦٦ طالب.[٣].

ب-الطلبة الأجانب أو الأفاقيون:

يحدرون من مناطق عديدة بالمغرب، ومن دول أخرى كالجزائر، والسنغال. وكانوا يقطنون بالمدارس العتيقة التابعة لجامعة القرويين، بحيث شيدت إلى جانب القرويين طائفة من المدارس الداخلية لاستقبال الطلاب، وكانت هذه المدارس في غاية الروعة والجمال من حيث البناء والشكل والزخرفة مثل: مدرسة الصفارين، والعطارين، والأندلس، والمصباحية، والبوعنانية، والشراطين، وباب الكيسة. وكانت هذه المدارس مخصصة لإيواء الطلبة الأفاقيين، ولم تكن الدروس تلقى بها، بل بجامعة القرويين[٤]. وكان الطلبة يتوزعون في السكن حسب المناطق، فمدرسة الصفارين: كانت تضم طلبة من سوس، وبني زروال، وزرهون، ووزان. أما مدرسة العطارين: فكانت تأوي طلبة منطقة الغرب، وتطوان، والعرائش، والقصر الكبير. بينما تجمع بمدرسة الشراطين طلبة من تافيلالت، والريف، وبني يزناسن، وتازة، ووجدة وشرق الجزائر[٥].

---

(1) Henriette Celarié, ***Un mois au Maroc***, Librairie Hachette, Paris, 1923, p. 193.

(2) ADN / 1MA/ 200 / 643: P/5 b. Karaouiyine. Historique. Notes sur la Constitution et Fonctionnement de Karaouiyine, « ***L'université de Qaraouiyine, 1925*** », *p.5.*

(3) ADN / 1MA/ 200 / 643: Rapport Annuel sur le Fonctionnement du Commissariat du Gouvernement chérifien et du contrôle des Juridiction Chérifiennes et des Habous, pendant l'année 1954, «***L'Université de Karaouiyine, Effectifs des Années Scolaires 1949- 1955, Tableau Général*** », p.8.

(4) Holtz Louis, ***Traité de législation marocaine, droit public et droit privé du protectorat***, Ed. Des Juris-Classeurs, Paris, 1914, p.362.

(5) Péretié A, ***Les Médersas de Fès***, op.cit, pp.٢٦٥- 271.

صورة رقم٢٩: مدرسة الصفارين التابعة للقرويين توجد بقلب المدينة القديمة بفاس بجوار القرويين



صورة رقم٣٠: مدرسة البوعنانية التابعة لجامعة القرويين توجد بالطالعة الكبيرة بالمدينة القديمة لفاس



صورة رقم٣١: مدرسة الشراطين التابعة للقرويين توجد بقلب المدينة القديمة بفاس



صورة رقم٣٢: مدرسة المصباحية التابعة للقرويين توجد بجوار جامعة القرويين



صورة رقم٣٣: مدرسة العطارين توجد بالمدينة القديمة بفاس



المطلب الثالث: نظام الدراسة والتسيير والفنون والعلوم بجامع القرويين عبر العصور

أ- منهجية الدراسة بالقرويين

ارتكزت الدراسة بالقرويين على عنصرين أساسيين مترابطين، هما: الحفظ والاختصار:

الحفظ: فكان أساس الدراسة في الكتاتيب القرآنية (المسايد)، حيث يبدأ المتعلم بحفظ القرآن من أسفل إلى أعلى، ثم حفظ بقية أمهات الكتب والمختصرات في المراحل المتوسطة والعالية من التعليم التي تنشط داخل المساجد، فعملية الحفظ عريقة في أساليب التعليم منذ القدم[١].

أما الاختصار: فكان يشكل ظاهرة فكرية عمت مختلف بلدان العالم الإسلامي منذ القرن الرابع الهجري (١٠م) وخاصة في ميدان الفقه المالكي، حيث انصرف العلماء عن دراسة الأمهات، وشرعوا في اختصار كتب السالفين نظرا لطولها وصعوبة فهمها. ثم ما لبث الاختصار أن انتقل إلى المختصرات نفسها للتقليل من ألفاظها وتيسير حفظها[٢].

ب-طرق التدريس

تشير كتب الفهارس إلى طرق التدريس المعتمدة لدى علماء القرويين، أهمها: الرواية والدراية والجمع بينهما.

الرواية: أكثر انتشارا، واهتم بها العلماء على الخصوص في فهارسهم حيث يذكرون من أخذوا عنهم من الشيوخ، مع ذكر سند هؤلاء في تخصص من التخصصات. ويحرص كل عالم على إثبات السلسلة العلمية التي يتلقاها عن شيوخه في فهرسته. وقد ثبت في فهرسة الشيخ عبد الحي الكتاني أخذه عن قاضي مكناس أحمد بن الطالب بن سودة، بعدما سمع عليه بعض الصحيح بالحرم الإدريسي، ثم تردد عليه بداره بفاس عام (١٣١٨/١٩٠٠م)، وسمع عليه أوائل الصحيحين والشمائل وأجازه عامة مروياته بخطه ولفظه[٣].

الدراية: وكان الشيوخ نادرا ما يستعملونها، ويذكر الحجوي بعضا من هؤلاء في فهرسته، "كالشيخ محمد بن التهامي الوزاني الذي كانت قراءته عليه في علم الحديث دراية أكثر منها رواية"[٤].

---

(١) ابن خلدون عبد الرحمن، *المقدمة*، دار الرائد العربي، بيروت- لبنان، ١٩٨٢، الطبعة الخامسة، ص. ٤٣١.

(٢) عمراني محمد، *جامعة القرويين...*، مرجع سابق، ص.٢٥٠.

(٣) الكتاني عبد الحي، *فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات*، اعتناء إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٢، الطبعة ٢، الجزء١، ص.٩٠.

(٤) الحجوي محمد، *فهرسة محمد بن الحسن الحجوي، المسماة مختصر العروة الوثقى في مشيخة أهل العلم والتقى*، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، ص.٥٤٠.

الجمع بين الرواية والدراية: وهنا يشير الشيخ عبد الحي الكتاني إلى أنه أجاز بعض الشيوخ المتلمذين على يده رواية ودراية، إذ يقول:" فقد أجزت محبي في الله الشيخ حبيب الله الجنكي وأولاده جميع ما تجوز لي روايته، وثبت لي درايته"(١).

والجدير بالذكر أن وضعية التدريس بجامعة القرويين كانت تتم بانتظام الطلبة صفوفا متراصة في شكل حلقة دائرية حول العلماء، ويجلسون فوق أفرشتهم (لبدة) على الحصير. وكان الأستاذ يصعد على الكرسي، ويجلس في أعلى درجاته حتى يتيسر لمن لا يجلسون في الصفوف الأولى من الطلبة أن يستمعوا إلى صوته. وكان لكل عالم كرسيه المخصص له المستقر في جهة معينة من مبنى القرويين، لا يستعمله عالم آخر، ولكن عندما تضيق الكراسي بوفرة العلماء يصبح الواحد مشتركا بين عدد من العلماء يتعاقبون عليه حصة تلو أخرى في تنسيق منضبط. وتتسع جامعة القرويين لأكثر من مائة كرسي تظل تعمل طول النهار من طلوع الفجر إلى صلاة العشاء. وكان العالم يختار أنجب طلبته لتولي مهمة (السارد)، أي قراءة نص الكتاب المقرر، ثم ينطلق بعده العالم شارحا عباراته. ولم يكن العالم مقيدا بزمن محدد أو بمراقبة إدارية، فشخصيته وأسلوبه في الكلام ومقدار حفظه وتمكنه هي التي تحدد طريقة الدراسة. ولم يكن نظام الامتحان معمولا به في التعليم بالقرويين لاختبار مقدرة الطلبة ومعرفة درجاتهم وانتقالهم من مرحلة إلى أخرى، بل كان الطلبة أحرارا في التنقل بين حلقات العلماء حسب ميولهم. ويخضع نظام الدراسة بالقرويين لبعض العطل يوم الخميس والجمعة، وأيام الصيف وخلال شهر رمضان، والأعياد (عيد الفطر وعيد الأضحى وذكرى المولد وعاشوراء)(٢).

وما يجب التأكيد عليه أنه في ثلاثينيات القرن العشرين، استعملت ضوابط جديدة أتت به سلطات الحماية لفرض رقابة على جامعة القرويين، بحيث أصبح العالم مقيد بمنهج وتوقيت معين بعدما كان العالم من قبل غير مقيد بزمن محدد أو مراقبة معينة، وأصبح العالم في التنظيم الجديد مجرد موظف ينتظر راتبه الشهري كغيره من الموظفين الإداريين.(٣) بعدما كان يتمتع باستقلالية مالية توفره له مداخيل الأحباس،

---

(١) الكتاني عبد الحي، *فهرس الفهارس...*، مصدر سابق، ص٥٧٠.

(٢) بوطالب عبد الهادي، *ذكريات شهادات...* مصدر سابق، ج١، صص٣٣٦- ٥٣٧.

(٣) محمد العيادي، « دور جامع القرويين في تكوين الشخصية الثقافية المغربية التقليدية»، محطات في تاريخ المغرب الفكري والديني، في *أعمال مجموعة الأبحاث في التاريخ الديني*، سلسلة ندوات ومناظرات، جامعة الحسن الثاني، عين الشق الدار البيضاء، مطبعة فضالة، المحمدية، ١٩٩٦. ص ٢٣.

وبعد الهدايا والصلات المخزنية، وفي هذا السياق، يشير العالم بن هاشم العلوي قائلا: " لقد كنا أحرار لا نخاف في الصدع بالحق لومة لائم، حتى حلت الحماية وصارت تمنحنا في كل شهر حزمة من الدراهم، فإذا نزلت نازلة استحيينا من هذه الدراهم وخفنا من انفلاتها من

أيدينا ".[١] كما أصبح العالم ملتزما بالوقت المضبوط. ويعلق الورطاسي (أحد طلبة القرويين) على ذلك قائلا: "إن من طبيعة النظام الوقت المحدد بالضبط، وخمس دقائق تحمل المراقب على سؤاله في حزم، وابتسامة مصطنعة عن سبب التأخر؟ ويسأله في جرأة لم يألفها، وإلا سجلت مخالفة في السجلات النظامية الشخصية، ثم في سجل المراقب العام، ثم في سجل المجلس العلمي، ثم يؤدي ثمنها عند الامتحان، بعدما كان العالم من قبل لا يتجرأ أحد على محاسبته. وقد يكون العالم تأخر خمس دقائق لا في المنزل ولكن أثناء طريقه إلى القرويين، إذ أن الناس تعودوا أن يحيوه ويسلموا عليه، ويسألوا عن الأحوال. ولقد بذل كل طاقته ليخفف من تلك التقاليد النبيلة بالرغم عنه لأن ساعة النظام تستحثه"[٢].

ج- الفنون والعلوم المدرسة بالقرويين

كانت العلوم المدرسة تختلف اختلافا ظاهرا من عصر إلى عصر حسب متطلبات الأحوال، وحسب الكتب التي يراد تدريسها، وكانت قديما تعتمد على نوعين من العلوم وهي:

- **العلوم الشرعية**
- **والعلوم العقلية**

وتتكون العلوم الشرعية أو العلوم النقلية من القرآن والفقه والحديث وأصول الفقه، أما العلوم العقلية، فتتكون من الحساب والفلك والهندسة والطب والمنطق، وعلم الفلك وغيرها، وهناك العلوم المساعدة كالنحو والأدب والعروض والشعر ويتم تدريسها لفهم العلوم الأخرى. وهذه المواد كانت على الشكل التالي:

- **العلوم الشرعية وأهم كتبها:**
- **الفقه:** ويتم تدريسه من خلال الكتب التالية:

مختصر الشيخ خليل (٧٧٦ه)، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني (٣٨٦ه) ومختصر ابن الحاجب (٦٤٦)، تحفة ابن عاصم الأندلسي (٨٢٩)، المرشد المعين على الضروري من علوم الدين لابن عاشر

---

(١) العلوي بن هاشم محمد، *شاهد عيان*، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٨٩، ص. ٤٢.

(٢) الورطاسي قدور، *ذكريات الدراسة...*، مصدر سابق، ص.٧٤٠.

(١٠٤٠) [١].

- **أصول الفقه:**

ويعتمد في تدريسه على كتاب " جمع الجوامع"لابن السبكي (٧٦٩هـ) بالإضافة على بعض شروحه، " كشرح المحلي على الجوامع"[٢] .

- **الحديث**

يعرف الحديث أيضا بعلم السنة، استعملت في تدريسه كتب الصحاح (صحيح البخاري وصحيح مسلم) وسنن ابن ماجة [٣].

- **العلوم العقلية وأهم كتبها:**
- **المنطق:**

يعتبر من العلوم العقلية، واعتمد في تدريسه على كتاب "سلم الشيخ عبد الرحمن الأخضري"، وشرح الشيخ بناني، وحاشية سعيد قدورة الجزائري[٤].

- **علم الفلك والتوقيت:**

هو علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة، ويستدل به في معرفة الأوقات والجهات عن طريق تتبع حركات الشمس والقمر[٥].

- **علم الفرائض والحساب**

يهتم بشؤون التركة وأقسامها، ويتطلب معرفة الحساب لإدراك طريقة توزيع التركات، ومن الكتب المعتمدة في الحساب: كتاب" بغية الطلاب لمحمد بن أحمد بن غازي العثماني المكاسي[٦].

---

(١) الكتاني محمد بن جعفر، *سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بمدينة فاس*، تحقيق حمزة بن محمد الطيب الكتاني، ومحمد حمزة بن علي الكتاني، دار الأمان، الرباط، ٢٠٠٤، الجزء١، ص٧٥٠.

(2) Péretié A, ***Les Médersas de Fès***, op.cit, p.336.

(٣) الحجوي محمد، ***فهرسة محمد بن الحسن الحجوي...***، مصدر سابق، ص. ٦١.

(4) Péretié A, ***Les Médersas de Fès***, op.cit, p.338.

(٥) الكتاني محمد بن جعفر، ***سلوة الأنفاس...***، مصدر سابق، ج٣، صص١٢٧-١٢٨.

(٦) نفسه، ج ٢، صص١٠٦-١٠٧.

- **الطب:**

لقد منحت جامعة القرويين أول إجازة في الطب في العالم، وقد منحت لطبيب مغربي مارس الطب والصيدلة والبيطرة بمدينة فاس، وهو عبد الله بن محمد بن صالح الشجار الكامي أستاذ ابن

البيطار، ويعتبر من أطباء القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وكان ذلك على عهد الخليفة الموحدي أبي عبد الله محمد بن يعقوب بن يوسف الملقب بالناصر(١).

صورة رقم٣٤: أقدم إجازة في الطب البشري والبيطري ا الإجازة التي منحت لصالح بن عبد الله الكامي هي في ملكية مديرية التاريخ العسكري



وذكر بنعبد الله عبد العزيز، في مقاله:" **كيف تطور الطب والصيدلة بالمغرب"**، أبرز الكتب التي كانت منطلق التعليم الطبي بالقرويين، مثل: مؤلف "**عمل من طب لمن حب**" لابن الخطيب، حبسه السلطان مولاي عبد الله بن إسماعيل (سنة ١١٥٦هـ/١٧٤٣م)، مكون من جزأين، وكتاب "**شرح أرجوزة ابن سينا**" و"**تذييل أرجوزة ابن سينا**" للطبيب محمد بن زاكور الفاسي (ت ١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م)، وكتاب "**الأدوية المفردة**" لأحمد أبي جعفر الغافقي (ت ٥٦٠هـ/١١٦٥) جزءان، و"**التيسير في المداواة والتدبير**" لابن زهر، و"**الأرجوزة في الطب**" لابن طفيل (ت٥٨١هـ/ ١١٨٦)، و"**مختصر في الطب**" لابن حبيب (ت ٢٣٨هـ/٨٨٦م)، و"**الاستقصا والإبرام في علاج الجراحات والأورام**" لمحمد بن علي الشفرة القربلياني الطبيب الجراح بمراكش (ت ٧٦١هـ/١٣٦٠م)، و"**زبدة الطب**" للجرجاني(٢).

وألف الطبيب عبد السلام العلمي، كتاب "**البواسير**"، و" **ضوء النبراس في حل ألفاظ الأنطاك بلغة فاس**"، وأخذ الطب العلمي بالقرويين، ثم ذهب موفدا من قبل السلطان المولى الحسن إلى القاهرة، حيث تعاطى

---

(١) الحسيني زين العابدين محمد، ***جامعة القرويين تمنح أول إجازة في الطب***، الدار العالمية للكتاب لطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ٢٠١٧.

(٢) بنعبد الله عبد العزيز، «كيف تطور الطب والصيدلة في المغرب»، ***مجلة التاريخ العربي***، العدد ٢٧، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ٢٠٠٣، ص. ٢٩٤-٢٩٥.

الصناعة العلمية بالمستشفى الكبير، ثم رجع إلى فاس.(١) وكانت مهنة الطب تخضع لضوابط الأحكام الشرعية، وكان العلماء يتركون للطالب الحرية في التردد على العشابين ومصاحبة الأطباء(٢).

يستوجب أن تتوفر في الطبيب شروط معينة، منها: معرفة طبائع الأدوية والنبات والحبوب والأشجار والمعادن، ومن جهل طبع الأمراض، والأدوية، فلا يحل له معالجة الناس بقول أو فعل.(٣) وتسلم شهادة ممارسة الطب من مجموعة من الأطباء والحجامين والأشراف والتجار ممن جربوه في معالجة المرضى، وهي إجازة في الطب كتلك التي سلمت للطبيب أحمد الكحاك لممارسة الطب بمدينة فاس، حيث يقول فيها من سلموه إياها في (ربيع الأول سنة ١٢٤٨هـ/ ١٧ غشت ١٨٣٢م بفاس): "تصدر لمداواة الناس ومعالجتهم بالحضرة الادريسية. وكانت فيه أهلية لفهم كلام الناس في دواوينهم الطبية، وطلب من أناس خالطوه وجربوه غير ما مرة، أن يشهدوا له بالإجازة في علم صناعة الطب، على عادة الأطباء الأقدمين في أخذ الإجازة من المعاصرين لهم. واحتاج في ذلك، للإذن لمن له الأحكام الشرعية بحضرة فاس الادريسية، فأذن له في ذلك على لسان عون الشرع عبد الرحمن الحمياني (...)، إذنا تاما بمحضره موافقته".(٤) ويحصل دارس الطب، على شهادة تخول له ممارسته. ففي شوال ١٣١٠هـ/ ١٨٩٦م، اجتمع أربعة من علماء القرويين لامتحان طبيب، حيث شهدوا له بعد استفساره بتضلعه ومعرفته للطب وقوانينه وتطبيقاته، وكذا معرفته بتركيب الأدوية وتقاسيم الشرايين ووظائفها وعددها، وعدد العظام، وتمييزه بين أنواع العصب والعضلات في الجسم، ومعرفة النباتات والأزهار والأعشاب الطبية وخواصها وأسمائها، وطرق إذابتها في الأوقات المناسبة(٥).

وتجدر الإشارة إلى أن تعليم الطب، بدأ يتراجع بسبب تأزم القضية السياسية، وتدخل أوربا في شؤون

---

(١)«جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا»، ***نشرة محاضر*** جلسات مؤتمر طلبة شمال إفريقيا المسلمين، المطبعة الأهلية، تونس، ١٩٣١، ص. ٥٣.

(٢) العلوي عبد الله بنصر، « العلوم التطبيقية في جامعة القرويين»، ***مجلة القرويين***، العدد ١١ السنة ١٩٩٨، ص. ٣٠٥.

(٣) أومليل علي، «إجازة طبيب بفاس سنة ١٨٢٢»، ***مجلة جمعية تاريخ المغرب***، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، العدد ٣، ١٩٧١، ص. ٣٠.

(4) Kahhak Abdelkader, Un diplôme de médecin marocain à Fès en1832, ***In Revue de l'occident musulman et de la méditerranée***, n°7, 1970, p. 198.

(٥) أومليل علي، *إجازة طبيب بفاس سنة ١٨٢٢*، مرجع سابق، ص. ٣٢.

المغرب بعد توقيعها على معاهدات سرية سنة ١٩٠٦م.[١] بل ولم يعد له وجود بحلقات التدريس بجامعة القرويين، وكانت قلة من الطلبة، يتنقلون بين مساجد وزاويا فاس لأخذه[٢].

- **العلوم المساعدة وأهم كتبها:**

- **النحو:**

ويعتمد في تدريسه على كتب الألفية لابن مالك (ت ٦٧٢هـ) (وهي منظومة شعرية لخصت قواعد النحو في ألف بيت)، الأجرومية وشروحها[٣] (هي مقدمة في علم النحو).

- **العروض:**

يعتمد في تدريسه على مقامات الحريري وشروحها[٤].

- **البيان:**

يعتمد في تدريسه على الكتب التالية: تلخيص المفتاح مع شروح مختلفة مثل - شرح السعد - شرح المختصر للتفتزاني [٥].

وما يجب التأكيد عليه، أنه مع مطلع القرن العشرين اعتمد التدريس بجامعة القرويين على مواد أساسية، وهي العلوم الشرعية، الفقه والحديث وأصول الدين وأصول الفقه، ومواد ثانوية مساعدة للأولى، وهي، النحو والبيان والمنطق. واختفت بعض المواد[٦]من البرنامج الرسمي في القرويين، وباتت حكرا على بعض العائلات، التي توارثتها أبا عن جد، مثل علم الفلك والتنجيم[٧].

---

(١) بنعبد الله عبد العزيز، ***كيف تطور الطب والصيدلة في المغرب***، مرجع سابق، ص. ٢٩٦.

(٢) العروي عبد الله، ***الأصول...***، مرجع سابق، ص. ٢٧٠.

(3) ADN / 1MA/ 200 / 645: Mouvement de Protestation Suscité par Réorganisation de Karaouiyine, «***Documents Apportés par Le Général Marquis, Note sur Karaouiyine, 22 Févier 1933***», p.1.

(4) Ibidem, p.338.

(٥) الحجوي محمد، ***فهرسة محمد بن الحسن الحجوي...***، مصدر سابق، ص. ٩٧.

(٦) التاريخ والجغرافية والحساب و الجبر والفلك والهندسة والطب والتنجيم. ويشير العروي إلى أن علم التنجيم والجداول والطب كانت تدرس في الجوامع.

(٧) العروي عبد الله، ***الأصول الاجتماعية والثقافية للوطنية المغربية ١٨٣٠ - ١٩١٢***، تعريب محمد حاتمي ومحمد جادور، المركز الثقافي العربي، ٢٠١٥، ص. ٢٧٠.

المطلب الرابع: تقاليد جامعة القرويين

من تقاليد جامعة القرويين العريقة الحفل السنوي للطلبة بالمغرب أو سلطان الطلبة، وهو احتفال سنوي كان طلبة مدينة فاس يحيونه احتفالا بقدوم فصل الربيع على ضفاف وداي الجواهر بضواحي مدينة فاس، ويستمر على شكل مخيم لمدة أسبوع، وقد ظهر في النصف الثاني من القرن السابع عاشر في عهد السلطان المولى رشيد العلوي (١٦٣١- ١٩٧٢). ولقد جرت العادة أن يجتمع الطلبة والأساتذة لانتخاب طالب يطلق عليه سلطان الطلبة، وتكون مهمة السلطنة خاصة بالطلبة الأفاقيين أي من غير أهل فاس، ويقوم سلطان الطلبة بتأليف حاشية من أعيان زملائه، ويخرج سلطان الطلبة مع رعيته للنزهة الربيعية، وهو ممتطيا جواده وتظلله مظلة تقيه حر الشمس أو وابل المطر. كما كانت تنظم مناظرات علمية وفكرية يتبارون الطلبة أثناءها في إلقاء الخطب والأشعار أمام زملائهم وأساتذتهم، وكانت نخبة من أعيان فاس تشارك الطلبة في احتفالهم هذا وتقوم بإكرام سلطانهم، ويزورهم السلطان ويقدم لسلطان الطلبة الهدايا الملكية التي توزع على الطلبة، كما يأمر بتنفيذ بعض المطالب التي يتقدم بها إليه سلطانهم [١].



صورة رقم٣٥: لنزهة سلطان الطلبة[٢]

(١) التازي عبد الهادي، مرجع سابق، ص م٣، ص. ٧١٨-٧١٩.
(٢) https://ma3lama.com سلكان الطلبة

المبحث الرابع: جامعة القرويين: العطاء والإشعاع

المطلب الأول: الخلفية التاريخية لجامعة القرويين

أ- الخلفية العربية الإسلامية: محافظة القرويين على الثوابت العربية الإسلامية

حافظت جامعة القرويين على الثوابت الثقافية الإسلامية وعلى الهوية العربية، وذلك من خلال ارتباطها الوثيق باللغة العربية وبالإسلام، وبالمعرفة العربية الإسلامية، وخدمة علوم الشريعة الإسلامية. ومن هنا نجد أن جامعة القرويين في رسالتها حملت على عاتقها مقومات الثقافية العربية، ومن أجل ذلك تعتبر مركز التراث الأصيل التي تدور على أساسه الحياة العربية الإسلامية. فإذا ما اضطلعت جامعة القرويين بهده الرسالة على الأقل من الضياع فقد أدت خدمة جليلة للوطن المغربي والعربي، وفي الوقت نفسه أدت خدمة جليلة للتراث الإسلامي والعربي بوجه عام. ولا يعيب على جامعة القرويين بعدئذ أن تكون قد تعثرت في السير، أو قد تكون قد اصطدمت بأزمات وعقبات لا يعيبها ذلك لأنه على أي حال ما أبطأت في سيرها، وما جمدت في حركتها وما انهزمت في مغالبتها، إلا من أجل هذا الوطن العربي، ومن أجل هذا التراث الإسلامي. وكان رجالها وعلمائها قوة الجامعة، وكانوا الحافظين في صدورهم لأصول هذا التراث، وكانوا المدافعين بمنطقهم وتفكيرهم عن قيمها، وكانوا الملقنين بألسنتهم هذا التراث للأجيال الجديدة. وبذلك كانوا هم العمد التي قامت عليها حياة هذا التراث واتصل بوجودهم وجودها وبقاؤها. وبحق فإن علماء القرويين لهم الفخر لأنهم الجنود البواسل الذين حرموا ترف العيش ومتعة الحياة الرخيصة في سبيل عزة الوطن العربي وبقاء الرسالة الإسلامية خالصة خالدة. وما يشد الانتباه هنا هو أن القرويين لم تصن التراث الروحي والعقلي للعرب والمسلمين، ولم تحفظ اللغة العربية من الضياع فحسب، وإنما حفظ الأمة العربية الإسلامية نفسها[1]. ومن هنا يحق لنا أن نقول بأن جامعة القرويين مؤسسة اعتبرت الثقافة الإسلامية متماسكة ومنصهرة مع اللغة العربية. فكان تعليم اللغة العربية بمختلف آلياتها النحوية والبلاغية يوازي تعليم الفقه والأصول. واعتبر علماؤها أنه إذا كانت الثقافة الإسلامية يرجى منها أن توحد المجتمع، فإن الفقه يوحده بضوابط القانون الاجتماعي، واللغة العربية توحده بضوابط اللسان وتشده إلى لغة القرآن، وأن الفصل بين اللغة وبين الدين في مظهره النصي العربي هو إبعاد للدين عن المباشرة الوجدانية وجعله سلطة (كهنوتية) تحتاج لكل مغربي بصفة خاصة وعربي بصفة عامة إلى ترجمان كما وقع لبلاد الأعاجم

---

(١) البهي محمد، إسهام جامعة القرويين في حفظ التراث الإسلامي، *دليل جامعة القرويين*، مطبعة النجاح، ١٩٩٠، صص.٧٢٠-٧٨.

عندما عادوا إلى لغاتهم القومية[1].

ب-الخلفية الوطنية للقرويين: مساهمة القرويين في تكوين النخب والدفاع عن السيادة الوطنية

ظلت القرويين للقرون عديدة المصدر الوحيد الذي يعد المغرب بما كان في حاجة إليه من كُتّاب وعدول ومحتسبين وقضاة وعاملين في السلك المخزني بصفة عامة، والحق أيضا أنها كانت مركزا لتكوين الأطر الإدارية والقانونية للبلاد، كما كانت مصدرا لإمداد البلاد بما تحتاجه الحياة الدينية والروحية من العلماء والمفتين، فضلا عن أنها كانت دائرة علمية مفتوحة في وجه عموم طلاب المعرفة وعشاق الأدب ومحبي الثقافة العربية الإسلامية الرفيعة[2].

وقد مثلت القرويين قلعة للعلم وإنتاج النخب والتأثير في السياسات والأحكام، وساهمت كما عهد فيها منذ التأسيس في رفع التحديات الكبرى الداخلية والخارجية فانتصرت للقضية الرئيسية وهي الحفاظ على مقومات الشخصية المغربية، فكانت بحق وباعتراف جميع الفاعلين عنصرا رئيسيا في معركة الكفاح الأصغر، مما أهلها لتكون فاعلة في معركة الجهاد الأكبر.والجدير بالذكر أن علماء القرويين قاموا بدور بارز في تاريخ المغرب، وأكدوا حضورهم في مختلف القضايا الدينية والدنيوية، وكان لهم تأثير في إذكاء الروح الوطنية، وإعلان الدعوة إلى معارضة السياسة الاستعمارية وإعلان استقلال المغرب من وطأة الاستعمار.فقد خاض علماء القرويين ورجالاتها المعارك الحربية دفاعا عن السيادة الوطنية، فمنهم من عبأ الجيوش إلى الثغور، وشن الغازات على العدو وانتزع منه ما بيده من القلاع والحصون، ومنهم من وقف نفسه على الرباط وحراسة الثغور استعدادا لرد العدوان المتوقع. وقد استعملت في هذا السبيل مجالس التدريس ومجالس الوعظ والتذكير، وخطب الجمعة والقصائد الشعرية والأزجال، والمؤلفات والرسائل والفتاوى والأجوبة. وهنا حري بنا أن نشير إلى أبرز المواقف الوطنية لبعض علماء القرويين ومنها:

- نكست راية الأعداء في أعلى منار القرويين احتفالا بالانتصار في القرن الثالث عشر الميلادي.
- بروز تجمعات واحتجاجات بالقرويين على تصرفات السلطات الأجنبية في القرن السادس عشر الميلادي.

---

(١) الكتاني محمد، جامعة القرويين رسالة حضارية، في أعمال جامعة القرويين وآفاق إشعاعها الديني والثقافي، ندوة تكريمية للأستاذ العميد العلامة عبد الوهاب التازي سعود، أبحاث وأعلام، ١٩٩٦، ص١٣٨.

(٢) العلوي بنسعيد سعيد، جامعة القرويين والمستقبل (نظرات في مستقبل الجامعة الإسلامية في عالم الغد)، ***مجلة جامعة القرويين***، العدد الحادي عشر ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨، صص، ٧٧-٨٤.

- مطالبتهم بتحرير بقية المناطق كسبتة ومليلية بمناسبة تحرير العرائش في القرن السابع عشر الميلادي.
- ودعوتهم لتأييد الجزائر عند الاعتداء الفرنسي عليها في القرن التاسع عشر الميلادي
- ومطالبتهم بتنظيم الجيش المغربي على النظام الحديث بعد هزيمة إيسلي في القرن التاسع عشر الميلادي.
- استنكارهم احتماء المغاربة بالدول الأجنبية في القرن التاسع عشر الميلادي.
- دعواتهم لتحرير مدينة وجدة والدار البيضاء وغيرهما مما احتله الفرنسيون والاسبان في القرن العشرين.
- مقاومتهم للحماية المفروضة على البلاد مقاومة مسلحة أحيانا وسلمية أحيانا أخرى في القرن العشرين.
- خطب علماء وطلبة القرويين لاستنهاض همم المواطنين وتحريضهم على مقاومة الاستعمار وتحديه في القرن العشرين، وخروج الجماهير من القرويين للشوارع مندذة ومحتجة بقوة الاستعمار فمنهم من استشهد برصاصة الاحتلال، ومنهم من سيق إلى مراكز الشرطة والمحاكمة والنفي والسجون.

وقد خلفت وأنجبت جامعة القرويين قادة و رجالات وصل صيتهم إلى بقاع العالم أمثال الشيخ أبي شعيب الدكالي (١٨٧٨-١٩٣٧م)، والشيخ محمد بن العربي العلوي (١٨٨٠- ١٩٦٤م)، والعالم علال الفاسي (١٩١٠-١٩٧٤) واللائحة طويلة[(١)].

وقد كانت القرويين منطلق الكفاح الوطني ضد الاستعمار في الثلاثينيات من القرن العشرين، فمنها انبعثت شرارات النضال، وفي كنفها نمت وانتشرت الحركة الوطنية المغربية لتعم المغرب بأكمله. وكانت القرويين تتخذ من المناسبات والأعياد الدينية والاجتماعية ستارا لبث الوعي الوطني، والدعوة إلى الأفكار الإصلاحية سواء على مستوى العقيدة أو الفكر. كما جعل شباب القرويين من فرص متعددة مناسبة للقيام بتظاهرات ثقافية وظفوها لإثبات الهوية العربية للمغرب، والإفصاح عن الهموم الوطنية، ورسم طريق الحرية والاستقلال. ومن أمثلة هذه التظاهرات الثقافية، الاحتفال بالذكرى الأربعينية لوفاة الشاعر أحمد شوقي، وكانت مناسبة ألقيت فيها الخطب والقصائد التحريضية ضد الاستعمار[(٢)]. ومن القرويين انبعثت

---

(١) الكتاني محمد ابراهيم، حظ القرويين في الدفاع عن السيادة المغربية، ***مجلة دعوة الحق***، العدد الرابع، السنة الرابعة شعبان ١٣٨٠ يناير ١٩٦١، صص. ١٨-٢٠.

(٢) «رسائل علال الفاسي»، ***مجلة دار النيابة***، العدد السابع، السنة الثانية، صيف ١٩٨٥، ص. ٩.

الدعوة السلفية المغربية التي تدعو إلى ضرورة العودة لما كان عليه السلف، وأكدت على التمسك بالدين الحنيف واجتناب البدع معتبرة دعوتها دعوة تنويرية للأمة المغربية، وانطلقت في ذلك من الأفكار النهضوية المشرقية، وخاصة سلفية الأفغاني ومحمد عبدو(١). ومن القرويين انطلقت ميلاد الصحافة الخطية من قبل علماء وشباب القرويين، وهي صحافة سرية، كانت تخط باليد في عدة نسخ، وتوزع على الأشخاص والجماعات السرية، وازدهرت في أوساط طلبة القرويين، أواخر عشرينيات القرن الماضي. ويؤكد المنوني أن معظم مبادرات إصدار الصحف السرية، كانت لطلبة القرويين بفاس، ومن نماذجها:

- **الهدى**: صحيفة دينية أدبية وطنية، أسسها علال الجامعي (أحد طلبة القرويين)، صدر العدد الأول منها في سنة ١٩٢٩، وعددها الخامس عشر في سنة ١٩٣٠، ثم عطلت.
- **السيف القاطع**: أنشئت سنة ١٩٢٧، كانت تصدر مرتين في الشهر، وظهر منها جزءان ثم عطلت.
- **الإسلام**: صدرت في سنة ١٩٢٧، بمبادرة جماعة تلامذة القرويين. فكانت صحيفة دينية أدبية إصلاحية، تصدر يوم الخميس من كل أسبوع في أربع صفحات من الحجم الكبير.
- **الصراط المستقيم**: أنشئت هذه الصحيفة في سنة ١٩٢٩، وكانت تصدر في ثماني صفحات من حجم متوسط(٢).

ومن الطبيعي – مع هذا التاريخ الطويل والعريق المتصل قديمه الحفيل بحديثه المجيد، أن يكون رد الفعل في القرن العشرين، من قبل السلطات الاستعمارية الفرنسية بعدما أدركت أهمية مؤسسة القرويين في الحفاظ على الأمن الروحي للبلاد، بل وفي توجيه الحياة العلمية والاجتماعية والسياسية بالمغرب. وعليه حرصت السلطات الاستعمارية على مواجهة القرويين بالرغم من التزامها في معاهدة الحماية سنة ١٩١٢، باحترام المؤسسات الدينية بالمغرب. لقد وجه الفرنسيون أنظارهم نحو جامعة القرويين لمكانتها في المجتمع المغربي، وفي محاولة منهم لمراقبة الحقل الديني بشكل حصري ومنتظم، وانطلقوا من أجل الوصول إلى هذا الهدف من مدخل إصلاح التعليم بجامعة القرويين كحاجة موضوعية لاستمرار هذه المؤسسة العريقة. ذلك هو الأساس الفكري، الذي اعتمدته سلطات الحماية في صراعها، إن صح القول مع علماء القرويين. وهكذا انتشرت مشاريع الإصلاح لتفرز جدلا من داخل مؤسسة الحماية حول دواعي وغايات هذا الإصلاح.

---

(١) الجابري عابد محمد، *لا تنلجانسيا في المغرب العربي*، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٤، ص. ١٠٥.

(٢) المنوني محمد، *المصادر العربية لتاريخ المغرب، الفترة المعاصرة ١٧٩٠- ١٩٣٠*، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة الدراسات البيليوغرافيا رقم١، سنة ١٩٨٩، الجزء الثاني، ص. ٢٨٣.

ويمكن اختزال هذا الجدل في موقفين متعارضين:

- موقف دافع عن فكرة الإبقاء على وضعية جامعة القرويين كمؤسسة تقليدية، تقاوم التغيير، وبالتالي فهي لا محالة تسير في طريق التلاشي والاندثار. وقد عبر عن هذا الموقف "غلاة المستعمرين المبشرين العلمانيين".(١)

- موقف آخر اعتبر أن من مصلحة فرنسا التدخل من أجل إصلاح وضعية المؤسسة وتحديثها لقطع الطريق أمام أي محاولة، أو رغبة إصلاحية داخلية، لا يكون متحكما فيها وفي مراميها. ويمثل هذا الاتجاه بول مارتي Paul Marty (أحد منظري السياسة الاستعمارية بالمغرب وخاصة في ميدان التعليم)، الذي دعا في تقرير حول القرويين إلى التدخل في هذه المؤسسة لاعتبارات متعددة من أهمها:

- الحفاظ على المؤسسات التقليدية الدينية، التي تحتاج إصلاحا يضمن لها البقاء، لأنها تعتبر مركزا علميا يحتضن العديد من الطلبة، مما يتيح لسلطات الحماية إمكانية المراقبة والرصد والتتبع.

- صرف أنظار الطلبة المغاربة عن الهجرة إلى المشرق لمتابعة دراستهم، وذلك لتفادي أي التقاء مباشر مع رواد الفكر السلفي الجديد، والتأثر بأفكار الجامعة الإسلامية، بل ومنع أي انفتاح على ثقافات أخرى بما يساعد على تكوين جيل جديد من العلماء يحلون مكان العلماء القدماء في مختلف الميادين (٢).

والحال أن اختلاف المواقف الاستعمارية حول القرويين، لا يعني التضارب والتعارض، بقدر ما يعني التكامل في مشروع الإدارة الفرنسية، فكلا الموقفين، يهدفان إلى تحييد قدرة مؤسسة القرويين على الفعل والتأثير كل بطريقته وأسلوبه. وما بين الأسلوبين، رجحت كفة أسلوب الإصلاح كوسيلة أسرع وأكثر فاعلية في الضبط والتحكم والهيمنة. لقد بدأت مبادرة مشروع إصلاح الجامعة سنة ١٩١٢، وكان السلطان المولى يوسف (١٨٨١- ١٩٢٧) سباقا إلى إصلاح القرويين، بتنسيق مع العلماء في بداية عهده، لكن الإقامة العامة الفرنسية تدخلت لعرقلة إخراج المشروع المخزني إلى حيز التنفيذ بحجة عجز الميزانية. وقد كان هدفها من هذه العرقلة، هو تبنيها مشروع إصلاح القرويين والتحكم في مساره للحيلولة دون أن يصدر

---

(١) الوزاني محمد حسن، *مذكرات حياة وجهاد التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحريرية المغربية*، طور المخاض والنشوء، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٢، الجزء الأول، ص٢٥٨.

(2) Archives Diplomatiques de Nantes / 1MA/ 200 / 643: Discipline de l'Université de Karaouiyine, «***Note Sur l'Université Musulman de Karaouiyine Présenté par Paul Marty, Rabat, 19 Mars 1922*** », pp.2-3.

إصلاح من داخل القرويين ينتج عنه تغيير جوهري، فضلا عن أنها كانت ترغب في أن تظل الجامعة تحت مراقبتها وسيطرتها. والمؤكد أن جامعة القرويين عرفت إصلاح سنة ١٩٣٣، بحيث عمل السلطان سيدي محمد بن يوسف (١٩٠٩- ١٩٦١)، على توسيع إصلاح جامعة القرويين، بعد طول مدة الإهمال والنسيان دامت ست عشرة سنة (من سنة ١٩١٤ إلى ١٩٣٠). وقد شكلت فترة الثلاثينات، منطلق دخول نظام التعليم الجديد بالقرويين حيز التنفيذ، بموجب إصدار مجموعة من الظهائر والقرارات، [١] وقد أدخلت على الجامعة التغييرات الجذرية. ومنها:

- تقسيم الدراسة، إلى ثلاث أسلاك ابتدائي وثانوي ونهائي، وتحديد مدة الدراسة، في ثلاثة عشر سنة.
- ضبط أوقات الدراسة والعطل، والتزام العالم بمواد دراسية محددة. فقبل التنظيم والإصلاح، لم يكن العالم مقيدا بزمن محدد أو بمراقبة إدارية، فشخصيته وأسلوبه في الكلام ومقدار حفظه وتمكنه هي التي كانت تحدد طريقة الدراسة.
- حلول شهادة العالمية، التي تمنح للطالب بعد نجاحه في امتحانات آخر السنة الثالثة من التعليم النهائي، عوض الإجازة.
- قسم العلماء إلى نظاميين ومتطوعين. فالنظاميون أصبحوا موظفين يعملون مقابل رواتب ثابتة.
- أصبح الالتحاق بهيئة التدريس، يتم عن طريق المباراة وتعطى فيها الأولوية للمتطوعين.

لقد أرادت سلطات الحماية، أن تجعل جامعة القرويين مؤسسة تزاوج بين تطبيق الظوابط التنظيمية العصرية على مستوى التنظيم الاداري، والتدبير الدارسي والزمني، وأن تحتفظ بواقع الجمود والركود من حيث محتويات مناهج وبرامج التعليم، وطرق التدريس.

لقد كانت سلطات الحماية الفرنسية تخوف من القرويين ومن أفكار العلماء المعادية لها. وهذا ما عبر عنه المقيم العام الجنرال ليوطي (Lyautey) قائلا:" لا أخاف على وضعيتنا إلا من أصحاب الجلابيب والبرانص، الذين يترددون على القرويين ليتحلق حولهم الطلبة، فيبثوا فيهم من روحهم الإسلامية المتعصبة، قبل أن يلقنوهم دروسا في الشريعة الإسلامية".[٢] لقد.اعتبر الفرنسيون القرويين مركزا للمقاومة

---

[1]ADN / 1MA/ 200 / 644: Karaouiyine, Article de Presse, «***La Sollicitude de Sa Majesté le Sultan envers l'Université de Qaraouiyine, Editorial paru du Maghrib, 9 Mai 1940***».

[٢] الورطاسي قدور، **ذكريات الدراسة...**، مصدر سابق، ص٥٠٠.

الاستعمارية، واعتقدوا أن ظلامها يحجب عن المغاربة أهدافهم الاستعمارية، ولهذا أنشأوا مدارس للتعليم العصري، واتسم العمل في ميدان التعليم بالمغرب على واجهتين: واجهة خلق تعليم عصري عمومي يناسب ظروف المغرب، ويخدم أغراض السياسة الاستعمارية. وواجهة مراقبة التعليم التقليدي المتمثل في القرويين، والوجهتان معا، تهدف إلى التحكم في المجتمع المغربي عن طريق المعرفة لا القوة.(١) كما قال جورج هارديGeorge Hardy (٢)في خطابه أمام جماعة من المراقبين المدنيين بمكناس سنة ١٩٢٠، إن انتصار السلاح لا يعني الفوز النهائي، إن القوة تؤسس الإمبراطوريات، ولكنها ليست هي التي تضمن لها الاستمرار والدوام، يجب السيطرة على النفوس بعد أن تم إخضاع الأجساد.(٣)وعلى هذا الأساس، أوجدت الحماية الفرنسية، ثلاثة أنواع من التعليم:

١- التعليم الأوربي، خاص بأبناء الفرنسيين والأوروبيين عموما، والبرامج المطبقة فيه هي برامج فرنسية.

٢- تعليم فرنسي إسرائيلي في مدارس الرابطة الإسرائيلية الدولية، ومن جملة هذه المدارس، مدرسة العرائش أسست سنة ١٨٧٨، وأخرى بفاس سنة ١٨٨٢، وبالصويرة سنة ١٨٨٨، وبالرباط ١٩٠٣، وبأسفي سنة ١٩٠١، وبطنجة سنة ١٨٦٢. وتلقن فيها تعليما عصريا باللغة الفرنسية، واللغة العبرية.(٤) وقد انصب اهتمام سلطات الحماية، على هذين النوعين من التعليم.

٣- أما المغاربة المسلمون، فأنشئ لهم نظام تعليمي ينبني على نظرية التطور البطيء، أي لا ينبغي تعميم التعليم وفرضه بسخاء على كل الأهالي، بل يتعين توفيره ووضعه رهن إشارة المسلمين كجرعات صغيرة.(٥)والأكيد أن سلطات الحماية، وجدت في هذا النظام، نوعين من التعليم، تعليم النخبة، وتعليم العامة.

فبالنسبة لتعليم النخبة: كان يتم في مدارس أبناء الأعيان، ويقول الجنرال ليوطي في هذا الصدد: "بواسطة مدارس أبناء الأعيان، يمكننا تشكيل نخبة قادرة على مشاركتنا وإعداد موظفي

---

(١) العلمي الحمار: الخطاب حول التعليم واستراتيجيات السلطة، استراتيجيات ورهانات تعليم الفتاة، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، ٢٠٠٤، ص١٧٦-٨٠.

(٢) جورج هاردي George Hardy: المدير العام للعلوم والمعارف.

(3)Hardy George, ***Le problème scolaire au Maroc***, conférence faite au cours de perfectionnement de Meknès, Casablanca, 1920, p.5.

(٤) الجابري عابد محمد، ***أضواء على مشكل التعليم بالمغرب***، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٧٣، ص. ١٥.

(٥) الفاسي علال، ***الحركات الإستقلالية...***، مصدر سابق، ص.٢٧٧.

الحماية" [١]. ومن جانبه نبه أحد العارفين بالشأن العلمي من داخل إدارة الحماية: "إننا بحاجة إلى إداريين ذوي عقلية متفتحة على الحضارة الحديثة" [٢]. لقد كانت هذه المدارس تمنح تعليما أوليا فقط [٣]، ولمتابعة الدراسة عملت سلطات الحماية على إنشاء تعليم ثانوي إسلامي لصرف نظر النخبة عن إرسال أبنائها إلى المشرق العربي [٤].

أما بالنسبة لتعلم العامة: فقد أنشأت للطبقات الشعبية في المدن مدارس حضرية، تعمل على إعداد أولي للمهن اليدوية. وكونت لأبناء الفلاحين والصيادين، مدارس ذات الاتجاه المهني والفلاحي والرعوي والملاحي، حسب المناطق [٥].وأسست في المناطق الأمازيغية، مدارس فرنسية بربرية، بهدف إنشاء جيل مقطوع الصلة بالتراث العربي الإسلامي من جهة، ومتشبع بالتراث الفرنسي، والقيم الحضارية الغربية المسيحية من جهة أخرى [٦].

وبالرغم من محاولة سلطات الحماية، التحكم في التعليم في المغرب، وفي شؤون جامعة القرويين، والتضييق على علمائها ومحاصرتهم. فقد برزت فئة من العلماء خاضت معركة التغيير والتجديد، وساهمت في نشر الوعي، والنهضة العلمية عن طريق تأسيسها لحركة المدارس الحرة، فقد حملت هذه المدارس في البداية، اسم " المدارس القرآنية الحديثة"[٧]. ولما تضاعف عددها، " لم تلبث أن أصبحت تسمى بالمدارس الحرة"[٨]. وجاءت تسميتها بالحرة تمييزا لها عن المدرسة الرسمية للحماية[٩]. وتعتبر ظاهرة التعليم الحر في

---

(1) Rivet Daniel, ***Lyautey et l'institution du protectorat française au Maroc 1912 – 1925***, l'Harmattan, Paris, 1988, T.1.2.. p. 245.

(2) Roger Gaudefroy Demombynés, ***L'œuvre français en matière d'enseignement au Maroc***, Librairie Orientaliste, 1928, p.43.

(٣) الجابري عابد محمد، *أضواء على مشكل التعليم...*، مرجع سابق، ص.٢٠.

(4) Marty Paul, ***Le Maroc de demain***, Comité de l'Afrique Francaise, 1925, pp.١٢ -١٣.

(5) Hardy George, ***Le problème scolaire...***, op.cit, p.16.

(٦) الجابري عابد محمد، *أضواء على مشكل التعليم...*، مرجع سابق، ص. ٢٩.

(7) ADN / 1MA/ 200 / 643: L'enseignement Privé Indigène, ***« Les Ecoles Coraniques rénovées Présenté par Paul Marty, 13 Janvier 1923»***.

(٨) الوزاني محمد، **مذكرات...**، مصدر سابق، ج١، ص.٣٧٤.

(٩) الشرايبي عبد الهادي، **ثمن الحرية**، دار المغرب للترجمة والنشر، الدار البيضاء، ١٩٧٨، ص.١٤٠.

عمقها، رد فعل أساسي على سياسة الحماية في مجال التعليم، للمحافظة على الثقافة العربية الإسلامية، وضمان استمرارها أمام وجود التعليم الرسمي التي جعلت من أهدافها الرئيسية، الحفاظ على التقاليد الثقافية العربية الإسلامية، والدفاع عن الهوية المغربية، وترسيخ مضامينها في الأجيال الصاعدة، ورد الاعتبار للغة العربية والدين الإسلامي المهشمين في برامج التعليم التابع للحماية(١).وبذلك وقفت جامعة القرويين في وجه التحدي الاستعماري، وحافظت طول هذه المدة على ما عني طوال تاريخها من دعاية التراث الإسلامي والعربي. فهي في واقع الأمر تعتبر مصدرا صان عوامل البعث العربي الإسلامي.

ج - الخلفية المغربية الإسلامية المشتركة: دفاع علماء وطلبة القرويين عن القضية المغربية والعربية في الخارج

ساهم حضور القرويين بشكل واضح في مواجهة السياسة الاستعمارية، من خلال مساهمتهم في مختلف المؤتمرات العربية والدولية، واتصلوا بمختلف الأحزاب والهيئات والشخصيات والجمعيات العربية والدولية لكسب التأييد العربي والدولي لصالح قضية الحرية، والاعتراف بسيادة المغرب واستقلاله واستقلال الدول العربية. لقد بدأ الطلبة المغاربة يهاجرون إلى الخارج لإتمام دراستهم، فكان ذلك مناسبة لاتصالهم بالأحزاب والهيئات والشخصيات والجمعيات العربية والدولية لكسب التأييد العربي والدولي لصالح قضية الحرية والاعتراف بسيادة المغرب واستقلاله. فقد شهدت مصر خلال سنوات ١٩٣٠ و١٩٣٧، هجرة بعض طلبة القرويين أمثال: الحسن بوعياد وعبد الخالق الطريس ومحمد المكي الناصري(٢)وعبد الكريم بن ثابت وعبد المجيد ابن جلون وأحمد بن المليح وعبد الكريم غلاب والعربي بناني(٣). وقد ساهم هؤلاء الطلبة في تنظيم محاضرات وندوات تشجع الحركة الوطنية وتعرف بالقضية المغربية، وخير مثال على ذلك الندوة التي نظمتها "جمعية الدفاع عن القضية المغربية" بالقاهرة سنة ١٩٣١، حول جامعة القرويين. وكان من بين العروض المقدمة، عرض عبد الخالق الطريس بعنوان" ترقية القرويين وكيف يجب أن تكون". وقد تطرق فيه الطريس للحديث عن بعض المقترحات الإصلاحية التي يجب اتخاذها للنهوض بكلية

---

(1) ADN / 1MA/ 200 / 643: L'Enseignement Privé Indigène, « ***Les Ecoles Coraniques rénovées Présenté par Paul Marty, 13 Janvier 1923***», p.2.

(٢) عبد الكريم غلاب، *تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب من نهاية حرب الريف إلى بناء الجدار السادس في الصحراء*، الجزء الأول، مطبعة الرسالة، الرباط، ١٩٨٧، ص. ٣٧٦.

(٣) علال الفاسي، *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي*، مؤسسة عبد السلام جسوس، ١٩٤٨، ص. ٢٣٢.

القرويين، ومن أهمها:

- إدراج مواد سهلة لا تتوقف على شرح أو حاشية وتكون مختصرة.
- تربية الأجيال الصاعدة على حب الحرية والنشاط وروح الاستقلال.
- مراجعة نظامي الأزهر والزيتونة وإتباع نظامهما بما يتفق مع الوسط المغربي(١).

وقد كون الطلبة المغاربة رابطة الدفاع عن المغرب في القاهرة سنة ١٩٤٣، وكان طلبة القرويين من بين المشاركين فيها، أمثال: عبد المجيد بن جلون وعبد الكريم غلاب. وبدأت هذه الرابطة عملها كهيئة نضالية تقدم المذكرات، وتنشر النشرات الإخبارية عن جوانب من القضية المغربية. كما أعدت الرابطة مذكرة تطالب فيها باستقلال المغرب، وقدمت المذكرة إلى ممثلي الحلفاء في القاهرة والحكومة المصرية. وترددت أصداء مطالبة الرابطة باستقلال المغرب في الصحف المصرية والسورية والعراقية على الأخص. فبدأت الدول العربية تفكر في إنشاء جامعة الدول العربية. وكانت الرابطة من بين الهيئات التي تقدمت لرؤساء الحكومات بالقاهرة والإسكندرية بمذكرة تطلب من واضعي ميثاق الجامعة، أن يعتبروا المغرب عضوا فيها لأنه لم يفقد سيادته الممثلة في السلطان رغم الاحتلال الأجنبي(٢). لكن تكوين الجامعة العربية كان يشترط أن تكون للدول المشاركة فيها كيان دولي مستقل، وهذا الشرط لا يتوفر بالنسبة لأقطار المغرب العربي. ولذلك تكونت الجامعة من الدول العربية المستقلة، مع ضم فلسطين إليها نظرا لوضعها الخاص وللخطر الذي يهددها ويهدد البلاد العربية معها. وفيما يخص الأقطار العربية الأخرى غير المستقلة ومنها بلاد المغرب العربي، فقد قرر ميثاق الجامعة إشراكها في لجان الجامعة وأوصى المجلس بأن يتعاون معها. وبهذا احتضنت الجامعة قضايا المغرب العربي، وأصبح من أهدافها الرئيسية التعاون مع أقطاره والدفاع عن حريتها واستقلالها. واستمرت رابطة الدفاع عن المغرب تطالب الجامعة العربية بمخاطبة فرنسا في الإفراج عن المعتقلين(٣).

وفي سنة ١٩٥٠، تمكنا العالمان عبد الواحد العراقي وشقيقه حماد العراقي، من التعريف بالقضية

---

(١) محمد حكيم ابن عزوز، *أب الحركة الوطنية المغربية، الحاج عبد السلام بنونة حياته ونضاله*، الجزء الثاني، الهلال العربي للطباعة والنشر، الرباط، ١٩٨٧، صص. ٣٩٣- ٣٩٤.

(٢) عبد الكريم غلاب، *قراءة جديدة في تاريخ المغرب، عصر الإمبراطورية، العهد التركي في تونس والجزائر*، الجزء الثالث، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٥، ص. ٣٧٠.

(٣) مكتب المغرب العربي، *مؤتمر المغرب العربي المنعقد بالقاهرة من ١٥ إلى ٢٢ فبراير ١٩٤٧*، مطبعة المكتب الثقافي الدولي الجيزة، ص. ٣٨.

المغربية في فرنسا، حيث قاما بزيارة لأحد الجرائد الفرنسية وهي جريدة (Franc-Tireur)، وعملا على لفت انتباه الرأي العام الفرنسي لأوضاع المغرب المزرية وأعربا عن رغبتهما في استقلال المغرب(١).

- مساندة طلبة القرويين للطلبة الزيتونيين بتونس

بعث طلبة جامعة الزيتونة بتونس برقية إلى طلبة جامعة القرويين يدعونهم فيها إلى التضامن معهم، والوقوف بجانبهم في الإضراب الذي أقروه سنة ١٩٥٠، بهدف احتجاجهم على التأخير في إصلاح التعليم الزيتوني بتونس(٢). وفي هذا الصدد، يشير الزيدي في كتابه" تأريخ النظام التربوي للشعبة العصرية الزيتونية ١٩٥١- ١٩٦٥" إلى وعي طلبة جامعة الزيتونة بالوضع السيء الذي كان يعاني منه تعليمهم في فترة الخمسينات، وقد تجلى هذا الوعي في سلسلة من النضالات التي اتخذت أشكال مختلفة قام بها هؤلاء الطلبة. ويؤكد الزيدي أن توتر العلاقة بين الطلبة الزيتونيين وحكومة الكعاك التونسية كانت سنة ١٩٥٠، خاصة عندما قدم الطلبة مطالبهم الستة عشر بمناسبة تشكيل هيئة الإصلاح الزيتوني، لكن هذه المطالب سرعان ما وجدت الإعراض وعدم الاهتمام بالإجابة من طرف السلطة التونسية. مما دفع "بلجنة الدفاع عن مصالح الشباب الزيتوني" إلى عقد اجتماع طلابي إعلامي، تقرر على إثره الإضراب الانذاري الذي استمر نصف يوم الخميس ٨ مارس ١٩٥٠ بمدرسة جامع الجديد، غير أن السلطة التونسية عملت على عرقلته ومنعه. ولما قررت هذه اللجنة مقابلة الباي يوم ٨ مارس ١٩٥٠، وصلها أن السلطة ترفض ذلك فقررت تنظيم مظاهرة سلمية في نفس اليوم، ورفع الطلبة في مظاهراتهم أمام الوزارة التونسية الكبرى شعارات تطالب بإصلاح التعليم الزيتوني، وبعدها تتالت المظاهرات دون جدوى. وفي ظل هذه الظروف المتوترة نشأت" لجنة صوت الطالب الزيتوني"، التي أجرت اتصالات عديدة مع وزارة الكعاك بتونس وحاولت إقناعها بمشروعية المطالب الإصلاحية، لكنها لم تسمع إلا الوعود، فمل الطلبة من الانتظار دون جدوى وأعلنوا يومي ١٣ و ١٤ أبريل ١٩٥٠ الإضراب اللانهائي عن الدروس بجامع الزيتونة وفروعه(٣).

---

(1) Archives Diplomatiques de Nantes / 1MA/ 200 / 643: Activité Politique des Professeurs de Karaouiyine, ***«Cabinet Civil, Service Général de l'information télégramme de presse a l'Arrivée, 28 Juillet 1950 »***.

(٢) Archives Diplomatiques de Nantes / 1MA/ 200 / 64٤: Des Etudiants de Jamaa Zitouna, ***«La Lettre des étudiants de l'université tunisienne de Zitouna, à l'étudiant Karaouiyine ,2 Mai 1950 »***.

(٣) علي الزيدي، *تأريخ النظام التربوي للشعبة العصرية الزيتونية ١٩٥١- ١٩٦٥*، منشورات مركز البحوث في علوم المكتبات والمعلومات، العدد، ١٦، تونس، ١٩٨٦، صص.١٠٧- ١٠٨.

وقد أشارت إحدى التقارير الفرنسية إلى تضامن طلبة جامعة القرويين بفاس وجامعة بن يوسف بمراكش مع الطلبة الزيتونيين المضربين، بحيث بعث طلبة القرويين سنة ١٩٥٠ برقية احتجاج وتضامن إلى المقيم العام بالرباط(١). وبعث طلبة جامعة بن يوسف بمراكش برقيات إلى عدد من الشخصيات التونسية والفرنسية لإعلان تضامنهم مع الطلبة المضربين بتونس(٢). كما نالت هذه الحركة الزيتونية تأييد جميع الاتجاهات والأحزاب الوطنية بتونس التي كانت لها مساهمة فعالة في دفع الحركة الطلابية إلى تصعيد نضالها، والتصادم مع حكومة الكعاك التونسية. ويوكد الزيدي أن هذا التضامن والتأييد كان له أثر بالغ فعلا، فكان من جملة أسباب سقوط حكومة الكعاك بتونس هو عجزها عن حل مشكل طلبة جامع الزيتونة. وقد ظل الإضراب عن الدراسة ممتد رغم تشكيل وزارة تفاوضية تونسية جديدة برئاسة محمد شنيف، وأخذ الحزب الدستوري التونسي الجديد يضغط لحمل المضربين على حل إضرابهم. لكن الطلبة صمدوا على موقفهم، فاضطرت الحكومة التونسية إلى إصدار بلاغ من ستة عشر نقطة كحل للقضية الزيتونية، وأردفت بلاغها الأول ببلاغ ثان أعلنت فيه افتتاح السنة الدراسية الزيتونية وتعيين مواعيد امتحانات دورة أكتوبر بهذه المؤسسة(٣). إلا أن رد الطلبة على ذلك كان قويا، فقرروا تنظيم مظاهرة ضخمة أمام قصر الحكومة صبيحة يوم ١٠ أكتوبر، فاضطر الوزير التونسي لقبول أعضاء "لجنة صوت الطالب الزيتوني" ووعدهم بالعمل خلال أسبوع لإيجاد الأماكن الضرورية لنقل التعليم الزيتوني(٤). لكنه

---

(1) Archives Diplomatiques de Nantes / 1MA/ 200 / 64 :٤Des Etudiants de Jamaa Zitouna, ***«La Lettre des étudiants de l'université tunisienne de Zitouna, à l'étudiant Karaouiyine ,2 Mai 1950 »***.

(2) Archives Diplomatiques de Nantes / 1MA/ 200 / 64: 4 Grève des Etudiants de Jamaa Zitouna, ***«Le Général d'haute ville Chef de la Région de Marrakech, à Monsieur le Directeur de l'Intérieur (Section Politique), à Rabat, Marrakech, 17 Mai 1950 »***.

(٣) علي الزيدي، *تأريخ النظام التربوي...*، مرجع سابق، صص. ١٠٩ -١١٤.

(٤) يذكر الزيدي أن الإقامة العامة كانت قد سمحت لمصطفى الكعاك الوزير التونسي السابق بأن يعرض على الطلبة الزيتونيين دار الأمومة لينتقل إليها التعليم الزيتوني في انتظار بناء الكليات. لكن مدير التعليم العمومي الفرنسي، أعلم محمد شنيق (الوزير التونسي الجديد) فور تشكيل وزرائه بأن هذه الدار لا يمكن أن تسلم للزيتونة. وأكد الزيدي على أن غاية الإقامة العامة من وراء ذلك هو إثارة الطلبة ضد الحكومة الجديدة، وتعميق الهوة التي كانت بين الحزب الدستوري الجديد المشارك في هذه الحكومة، وبقية الاتجاهات التي تؤلف الحركة الوطنية الزيتونية. علي الزيدي، *تأريخ النظام التربوي...*، مرجع سابق، ص. ١٢٢.

في يوم ١٧ أكتوبر، طلب منهم الوزير مهلة أخرى للوصول إلى حل رسمي وإيجابي، فرأى الطلبة في ذلك محاولة لكسب الوقت، وقرروا إضراب الجوع اللانهائي. وبعد ساعة من بدايته أرسلت الحكومة التونسية للطلبة الزيتونيين المضربين مساعد رئيس القسم الأول بالوزارة التونسية الكبرى، الشيخ "عبد العزيز بن شعبان" الذي عرض عليهم عدة مشاريع حلول لم يحض أي منها بقبولهم. وفي الغد عرضت ودادية الأطباء التونسيين وقف الإضراب مدة ثمانية وأربعين ساعة تستعملها الحكومة لإيجاد حل مرضي. كما عرضت لجنة الأساتذة المدرسين التونسيين وساطتها. وإزاء هذه المبادرات قبل الطلبة وأنهوا إضراب الجوع، وأصدرت جريدة الطالب بعنوان كبير "الطالب الزيتوني يوقف إضراب الجوع الدائم إجابة لرغبة ودادية الأطباء وهئية المدرسين على وعد الإجابة على المطالب بعد ٤٨ ساعة أو العودة إلى كفاح أعظم وأشد". وإثر ذلك عمدت الحكومة التونسية لتقديم عروض حظيت بقبول الزيتونيين(١).

- **القرويين في المؤتمرات الدولية**

شاركت القرويين في مؤتمرات "جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين" التي تكونت بباريس سنة ١٩٢٧، وضمت طلبة تونسيين وجزائريين ومغاربة وخاصة طلبة القرويين(٢). وكانت هذه الجمعية تعقد مؤتمرات سنوية خاصة بها في كل من المغرب والجزائر وتونس وفرنسا. وتكمن الغاية من وراء إنشائها في التشهير بالسياسة الفرنسية في الأقطار الثلاثة وتسهيل التعارف بين هؤلاء الأقطار، وتمتين روابط الود والأخوة والقيام بالمباحثات بين كافة شبيبة الشمال الإفريقي، واتحاد الثقافات واتفاق الآراء. وركزت هذه المؤتمرات في نقاشاتها على مسألة التعليم والاهتمام بالطلبة والدراسة(٣). وقد كان تمثيل جامعة القرويين بارزا في هذه المؤتمرات. فكيف كان ذلك.؟

- **المؤتمر الأول بتونس ١٩٣١:**

انعقد المؤتمر الأول بتونس في ٢٠ غشت ١٩٣١ وأشرفت على تنظيمه"الجمعية الخلدونية"(٤)، وقد مثّل جامعة القرويين الطالب محمد بن عبد الله. ومثل الجزائر وفد مركب من سبع طلبة يرأسه فرحات

---

(١) نفسه، ص. ١١٥.

(٢) «جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا»، ***النشرة السنوية***، ١٩٢٨- ١٩٢٩، المطبعة التونسية، سنة ١٩٢٩، ص٣٠.

(٣) «جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا»، ***نشرة الجمعية***، عدد ١١٦، السنة ١٩٣١- ١٩٣٢، مطبعة الاتحاد، تونس، صص. ٦-١٠.

(٤) علي الزيدي، ***الزيتونيون، دورهم في الحركة الوطنية التونسية من ١٩٠٤ إلى ١٩٤٥***، مكتبة علاء الدين، صفاقس، ٢٠٠٧، ص. ١٤٦.

عباس. واشتغل المؤتمر على أربعة مواضيع مهمة هي: - حالة التعليم العربي بشمال إفريقيا - التعليم العالي - التعليم الصناعي - تعليم المرأة. وكانت مدة المؤتمر ثلاثة أيام قدمت خلالها اقتراحات في كل مسألة. ونشرت مجلة "الإصلاح" التي كانت تصدر بتونس خطاب رئيس المؤتمر عبد الرحمن الكعاك مع صورة المؤتمرين(١). وكان عرض محمد بن عبد الله بعنوان " تقرير عن القرويين والمعاهد الدينية بالمغرب الأقصى". وقد أشار في هذا العرض- الذي تولى صياغته علال الفاسي- إلى تاريخ القرويين وما عرفته من شهرة عبر مختلف أطوارها التي مرت بها، منذ نشأتها إلى أن حازت شهرتها الذائعة في مختلف أقطار العالم. وقدم صورة مجملة عن الحياة الثقافية بجامعة القرويين، وأعطى نماذج لكبار العلماء الذين كان لهم فضل في ترسيخ المبادئ العلمية في مختلف العلوم بهذه الجامعة. وتحدث عن منهجية الدراسة والكتب والمواد التي كانت تدرس بها. وفي الأخير قدم مجموعة من الاقتراحات التي تخص العالم العربي ومنها: - العمل على تحسين أسلوب الدراسة وتنقية الكتب- إصلاح المدارس - جلب الأساتذة من الخارج وإرسال البعثات العلمية- توحيد برامج المعاهد الدينية للعالم العربي (المغرب تونس مصر) حتى يسهل توحيد الجهود والعمل على إزالة الفوارق العارضة، التي يجب أن لا تؤثر في العلاقات العلمية- تحويل الكتاتيب القرآنية إلى مدارس ابتدائية ذات شهادة مقبولة بالقرويين والمدارس الثانوية(٢).

- **المؤتمر الثاني بالجزائر ١٩٣٢:**

قام بتحضير هذا المؤتمر مجلس "جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين" بالجزائر، ومجلس جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا يوم ٢٥ غشت ١٩٣٢. وقد تمت الدعاية لهذا المؤتمر في الجرائد والمجلات بشمال إفريقيا. وتكلف محمد الفاسي (رئيس جمعية فرنسا) بالدعاية في المغرب، وبتونس تكلف الحبيب تامر (الكاتب العام لهذه الجمعية)، أما بالجزائر فقد نظمت لجنة تحضيرية من بين أعضاء مجلس "جمعية الجزائر". وتكون المؤتمر من طلبة جامعة القرويين (عبد الهادي الشرايبي ومحمد الكتاني وعبد الخالق الطريس) وطلبة جامعة الزيتونة، وطلبة المدارس العليا الجزائرية(٣). وكان من بين المسائل التي طرحها الوفد المغربي في المؤتمر، عرض عبد الخالق الطريس بعنوان "دراسة اللغة العربية في المنطقة الريفية"، تطرق فيه إلى أهمية

---

(١)«جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا»، *نشرة الجمعية*، ١٩٣١- ١٩٣٢، مصدر سابق، صص. ٤٢-٤٣.

(٢) «جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا»، *نشرة محاضر جلسات مؤتمر طلبة شمال إفريقيا المسلمين*، المطبعة الأهلية، تونس، ١٩٣١، صص.٤٨ -٧٦.

(٣) « جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا»، *نشرة أعمال المؤتمر الثاني*، عدد ١١٦، السنة ١٩٣٢، مطبعة الاتحاد، تونس، صص. ٥-٦.

اللغة العربية التي بدأت تتعرض للتهميش في المدارس التي أنشأتها الحماية الاسبانية بالريف.(1)وعرض عبد الهادي الشرايبي حول "التعليم في المغرب"، وأشار فيه بتفصيل إلى أنواع التعليم الموجود بالمغرب، ومن نماذجه: التعليم الأوروبي والتعليم الإسرائيلي والتعليم الإسلامي والتعليم البربري والتعليم الحر(2). وعرض لمحمد بنونة بعنوان "دراسة التاريخ في المغرب"(3). وقد طرحت في جلسات هذا المؤتمر المواضيع الآتية:- تعليم اللغة العربية بشمال إفريقيا- تعليم التاريخ- الأبواب المفتوحة في وجه طلبة الشمال الإفريقي عند إتمام دراستهم- التعليم والتربية بالمدارس الابتدائية.

- **المؤتمر الثالث بباريس ١٩٣٣:**

تقرر أن ينعقد هذا المؤتمر بفاس من يوم ١٩ إلى يوم ٢٣ شتنبر ١٩٣٣، وتكونت اللجنة التحضيرية من شباب علماء القرويين ونذكر منهم: علال الفاسي رئيس اللجنة وكاتبها الهاشمي الفلالي وعبد الهادي الشرايبي ومحمد بن عبد الله وإبراهيم الكتاني وعبد العزيز بن إدريس والحسن بوعياد ومحمد الزغاري، بالإضافة إلى طلبة الثانويات والمعاهد العليا بالمغرب مثل، عمر بن عبد الجليل ومحمد بن الحسن الوزاني ومحمد اليزيدي وعبد القادر بن جلون ومحمد الفاسي ومحمد قاسم الدكالي وعبد القادر التازي والمهدي المنيعي وعبد القادر برادة، الحسن بن جلون وأحمد مكوار(4).

قامت اللجنة التحضيرية بالدعاية للمؤتمر ووزعت مناشير طبع عليها برنامج المؤتمر، وأعدت مكانا لاستقبال الوفود وسكناهم وقاعات الجلسات وقاعة الاحتفالات، وطبعت بطاقات العضوية، وبينما كان أهل فاس على استعداد لاستقبال الوفود ولحضور الجلسات صدر قرار بمنع انعقاد المؤتمر. واستلمت اللجنة التحضيرية رسالة من رئيس البلدية الباشا ابن البغدادي في ١٨ شتنبر، يشير فيها إلى عدم السماح لهم بقيام هذا المؤتمر، فثارت ثائرة الطلبة بسائر مدن الشمال الإفريقي وتهافتت برقياتهم واحتجاجاتهم على الإقامة العامة ووزارة الخارجية الفرنسية مظهرين استياءهم من ذلك. فتقرر عقده بباريس وترأس علال الفاسي أشغال مؤتمر باريس(5). وقامت الدعاية لهذا المؤتمر في صحف الشمال الإفريقي العربية والفرنسية،

---

(1) نفسه، صص.٣٣٠- ٤١.

(2) نفسه، صص.١١١- ١٢٢.

(3) نفسه، صص. ٨٦-٩١.

(4) « جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا»، ***نشرة أعمال المؤتمر الثالث***، عدد ١١٦، السنة ١٩٣٣، مطبعة الاتحاد، تونس، صص. ٨-٩.

(5) نفسه، صص. ١٠-١١.

وطبعت مناشير بالفرنسية وضعت عليها برنامج المؤتمر ووزعتها على سائر الصحف وفي سائر الأوساط الفرنسية. وتكونت لجان برامج المواضيع. وقد مثّل القرويين علال الفاسي الذي قدم تقريرا في الجلسة الرابعة بعنوان" النظام الجديد لجامع القرويين" تناول فيه الحديث عن التنظيم الجديد المحدث بالقرويين وما يعتريه من مشاكل في التنفيذ والتطبيق. وذكر العديد من الاقتراحات التي ينبغي الاهتمام بها لتنظيم التعليم بجامعة القرويين، ومنها: تغيير إدارة القرويين، وإبدال بعض الأساتذة الذين لا يستطيعون القيام بواجبهم بأشخاص آخرين تتوفر فيهم القدرة والخبرة الكافية، حذف الرقابة السياسية على الدروس(١). كما عرض تقريرا آخر في الجلسة السادسة بعنوان" التعليم الابتدائي بالمغرب" خصصه للحديث عن الكتاتيب القرآنية، وطالب بعنايتها وتجهيزها. وانتقل بعد ذلك للحديث عن المدارس الابتدائية بالمغرب، ودعا إلى توحيد برامجها وإزالة الطبقية التراتبية في التعليم وجعله موحدا لأبناء الفقراء وأبناء الأعيان(٢).

- **المؤتمر الرابع بتونس ١٩٣٤:**

أقيم مؤتمر" جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين" الرابع بتونس من ٢ إلى ٥ أكتوبر ١٩٣٤، حضره بعض الشخصيات الجزائرية والتونسية. ولم يحضره من المغرب أي ممثل، بل أرسل الوفد برقية يعلم فيها أنه منع من الحضور. وحدد جدول أعمال المؤتمر في النقط التالية: - التعليم الإسلامي الحر- تحسين الحالة المادية لطلبة التعليم الإسلامي- التعليم الثانوي الحديث. وبعد مناقشة التقارير جاءت اقتراحات اللجنة على النحو التالي:- تكوين لجنة من ذوي الكفاءات لإصلاح تعليم الكتاتيب وجمع تلاميذها في مدارس منظمة- جلب معلمين من المشرق العربي- تشجيع منح وإعانات من الشعب والحكومة والأوقاف للقيام بشؤون الكتاتيب(٣).

- **المؤتمر الخامس بتلمسان ١٩٣٥:**

انعقد المؤتمر الخامس بمدينة تلمسان يوم ٦ شتنبر ١٩٣٥، وتولى رئاسته الحبيب تامر، وقد مثّل القرويين في هذا المؤتمر الطالب إبراهيم الكتاني، الذي ترأس الجلسة الرابعة الخاصة بموضوع" مقاومة الأمية بشمال إفريقيا" قدم فيه بعض الاقتراحات التي يجب اتخاذها للتخفيف من ظاهرة الأمية ومنها: - أن تؤسس المدارس الكافية في جميع المدن والقرى لتعليم الأبناء- أن تجعل التعليم الابتدائي للبنين إجباريا- أن

---

(١) نفسه، صص. ١٢٤-١٣٠.

(٢) نفسه، صص.١٣٦-١٤٩.

(٣) « جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا»، *نشرة أعمال المؤتمر الرابع*، عدد ١١٦، السنة ١٩٣٤، مطبعة الاتحاد، تونس، صص. ٢-١٣.

تؤسس المدارس الكافية للبنات وأن يكون قوام التعليم بها اللغة العربية والدين الإسلامي[1]. وقد وقع الخلاف في هذا المؤتمر بين الهيئة المنظمة له وشيخ مدينة تلمسان، الذي كان يسعى إلى خدمة مصالحه الشخصية لتقوية نفوذه وشهرته بين سكان تلمسان لأغراض انتخابية، فطلب من اللجنة التحضيرية أن يترأس المؤتمر وألح على ترجمة الخطب بالفرنسية. لكن اللجنة التحضيرية رفضت رئاسته، فعمد إلى تهديد هيئة المؤتمر وأقفل القاعات التي أعدت لأعماله، كما قامت الصحف الاستعمارية بحملات تحريضية لمنع المؤتمر. ورغم هذه العراقيل، فقد أقيمت جلسات هذا المؤتمر في قاعة الأفراح لبلدية تلمسان، وأقبل الناس على هذا الاجتماع، وألقى رئيس المؤتمر الحبيب تامر خطابا أشار فيه إلى الأهداف والغايات التي دفعت طلبة الشمال الإفريقي إلى إنشاء هذه المؤتمرات. وكان جدول أعماله كالآتي: - تعليم اللغة العربية بالجزائر- التعليم الموحد وتطبيقه بالجزائر -توحيد التربية بشمال إفريقيا - مقاومة الأمية بشمال إفريقيا – ومسائل خاصة بالطلبة -وتنقيح القانون الأساسي. وفي ختام هذا المؤتمر تقرر الاتفاق على عقد المؤتمر السادس بمدينة فاس[2].

- المؤتمر السادس ١٩٣٦ والسابع ١٩٣٧ والثامن ١٩٣٩

تقرر عقد المؤتمر السادس بفاس بناءا على توصيات المؤتمر الخامس، وقد تألف لهذا الغرض لجنة ترأسها محمد بن عبد الله من جامعة القرويين[3]، وبدأ تحضيره منذ شهر أبريل ١٩٣٦، وفي شهر ماي أبلغت الجمعية بموافقة السلطات الحماية على عقد المؤتمر بالرباط ابتداء من ٧ شتنبر، واشترطت أن يحضره ممثل عن سلطة الحماية. لذا سافر المنجي سليم رئيس الجمعية إلى المغرب لمتابعة التحضيرات ليفاجئه المقيم العام الجديد (بيروتون Peyrouton مارس ١٩٣٦- شتنبر ١٩٣٦) خلال استقباله بنيته حضور جلسة الافتتاح وإلقائه خطبة يعرض فيها برنامج عمله في مجال التعليم. إلا أن اللجنة ومعها رئيس الجمعية رفضت حضور المقيم العام (بيروتون) حفلة الافتتاح على اعتبار أنه شخصية سياسية، والجمعية مؤسسة علمية لا تريد التدخل بالسياسة، كما رفضت حفلة الشاي التي يريد أن يقيمها. لقد رأى علال الفاسي أن هذا الرفض يندرج في إطار عمل تنسيقي مسبق بين "جمعية شمال إفريقيا" و"كتلة العمل الوطني "لمعاكسة المقيم العام

(١) « جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا»، *نشرة أعمال المؤتمر الخامس*، عدد ٥٧، السنة ١٩٣٥، المطبعة التونسية، ص١٦٠.

(٢) نفسه، صص. ١-١٠.

(٣) محمد بن عبد الله، « جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا المؤتمر السادس بفاس»، ***جريدة البصائرالجزائرية***، ٢٨ غشت ١٩٣٦.

(بيروتون) والعمل على إسقاطه بسبب أعماله عندما كان مقيما عاما بتونس وما قام به في المغرب[١]. وقد أدى ذلك إلى احتجاجات الطلبة والأحزاب السياسية ضد المقيم العام، ووصل هذا إلى حد التصادم ووقوع جرحى[٢]. وبسبب هذا التوتر قررت الحكومة الفرنسية إعفاء المقيم العام (بيروتونPeyrouton) من منصبه، وتعيين الجنرال نوكيس (Noguès شتنبر ١٩٣٦- يونيو ١٩٤٣) خلفا له. وأمام منع عقد المؤتمر في المنطقة الفرنسية، تدخل عبد الخالق الطريس واتصل بالسلطات الاسبانية للسماح بعقده في تطوان بالمغرب، فرحبت بالفكرة وقام الطريس بتشكيل لجنة تحضيرية قامت بحملة دعائية واسعة لهذا المؤتمر. وتم عقده يوم ٢١ أكتوبر ١٩٣٦ حضره ممثلي السلطات الاسبانية وجمعية الطالب المغربية[٣]. إلا أن "جمعية طلبة شمال إفريقيا" لم تحضره واقتصر المؤتمر على طلبة الجزء الاسباني[٤]. وقد وعد المقيم العام الجديد الجمعية بعقد المؤتمر السابع في المغرب خلال شهر فبراير ١٩٣٧. إلا أنه تراجع عن ذلك متعللا بأحداث نونبر ١٩٣٦ بالمغرب والتي أدت إلى حل "كتلة العمل الوطني"، وحاولت الجمعية عقد مؤتمر آخر ثامن في شتنبر ١٩٣٩، غير أنه لم ينعقد بسبب اندلاع الحرب العالمية الثانية[٥].

- المؤتمر التاسع ١٩٤٦:

قررت الجمعية، عقد مؤتمرها التاسع بفاس خلال شهر شتنبر ١٩٤٦، وتكونت لجنة تحضيرية قامت بحملة دعائية واسعة، غير أن سلطات الحماية منعت عقد هذا المؤتمر[٦].

- المؤتمر العاشر بباريس ١٩٤٧:

قررت الجمعية عقد مؤتمرها العاشر بباريس خلال شهر مارس وأبريل ١٩٤٧، وقامت بحملة واسعة

---

(١) علال الفاسي، *الحركات الاستقلالية...،* مصدر سابق، ص.١٧٧.

(2)Roger Le Tourneau, ***Evolution politique de l'Afrique du Nord Musulmane 1920 - 1961***, Armande Colin, Paris, 196t, p. 200.

(٣) محمد حكيم ابن عزوز، *وثائق الحركة الوطنية في شمال المغرب*، الجزء الأول، مؤسسة عبد الخالق الطريس للثقافة والفكر، تطوان، ١٩٨١، صص.٤٠-٤١.

(4) Roger Le Tourneau, ***Evolution politique...***, op.cit, p.198.

(٥) لخضر عواريب، **جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية ١٩٢٧- ١٩٥٥**، بحث لنيل شهادة الماجستر في التاريخ الحديث والمعاصر سنة ٢٠٠٦- ٢٠٠٧، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر.ص.١٢٠.

الموقع الالكتروني:.**193.194.83.98/Jspui/Bitstream/1635/9264/1/AOUARIB LKHDAR. PDF**

(٦) نفسه، ص.١٢٠.

للتحضير الجيد. افتتحت الأشغال يوم ٣١ مارس بحضور طلبة شمال إفريقيا الدارسين بباريس، كما شارك ممثلون عن القرويين والزيتونة، وقد هدف هذا المؤتمر إلى إعادة بعث نشاط طلبة شمال إفريقيا، وتمتين روابط الأخوة التي توحد المغرب العربي والمبنية على وحدة اللغة والتاريخ والدين(١).

- المؤتمر الحادي عشر تونس ١٩٥٠:

انعقد هذا المؤتمر بتونس سنة ١٩٥٠، شارك فيه ممثلون عن طلبة القرويين (الهادي الزنطاري وبيطار والطاهر الزنبير) وممثلون عن الجزائر وتونس. امتدت أشغال المؤتمر ما بين ١٥ إلى ٢٢ شتنبر من نفس السنة. وقد تعرض هذا المؤتمر في نقاشاته إلى قضايا الوحدة والاستقلال، وأكد على أهمية الجوانب الاقتصادية والاجتماعية في مسعى التحرر ومنها: حق العمل النقابي، وإقامة مشاريع كبرى للقضاء على البطالة، وتحسين مستوى المعيشة، والرفع من الأجور، وتأميم الموارد والثروات الوطنية، وإصلاح القطاع الزراعي وإنشاء تعاونيات للزراعة الحديثة، ومنح القروض وحماية الثروة الحيوانية(٢).

- القرويين في مؤتمر المغرب العربي

عقد مؤتمر المغرب العربي بالقاهرة سنة ١٩٤٧ وشارك فيه عدد من القادة المغاربيين، ومنهم: الوفد المغربي المكون من علماء وطلبة القرويين أمثال: علال الفاسي (عالم بجامعة القرويين) وعبد الخالق الطريس، (أحد طلبة القرويين) وعبد المجيد بن جلون (أحد طلبة القرويين) وعبد الكريم غلاب (أحد طلبة القرويين)، ثم وفد الحزب الدستوري التونسي، ووفد من حزب الشعب الجزائري. وفي هذا التجمع بعثت فكرة المغرب العربي، ورأى المجتمعون المغاربيون ضرورة بلورة كفاحهم في عمل مشترك ومكتب موحد. فكان أن عقدوا "مؤتمر المغرب العربي" الذي قرر النضال من أجل استقلال المغرب والجزائر وتونس وعدم الاعتراف بالاحتلال في هذه الأقطار، وانتهى المؤتمر بتكوين مكتب موحد هو" مكتب المغرب العربي"(٣). واستمر المؤتمر في أعماله من ١٥ إلى ٢٢ فبراير ١٩٤٧، وكان أهم موضوع ناقشه المؤتمر هو:" الاستعمار الفرنسي والاسباني في بلاد المغرب العربي"، واتخذت فيه القرارات التالية:- بطلان معاهدتي الحماية المفروضتين على تونس والمغرب، وعدم الاعتراف بأي حق لفرنسا في الجزائر - مطالبة

---

(١) نفسه، ص.١٢١.

(٢) لخضر عواريب، « جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا وعلاقتها بالتيار الاستقلالي في الجزائر ١٩٢٧- ١٩٥٥»، *مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية*، الجزائر، العدد ٢٤، يونيو ٢٠١٦، صص. ٢٣٧-٢٣٨. الموقع الالكتروني:https: Revues.univ.ouargla.dz/index.php.

(٣) علال الفاسي، *الحركات الاستقلالية...*، مصدر سابق، ص. ٣٢١.

الحكومات المغربية والهيئات الوطنية بإعلان استقلال البلاد – المطالبة بجلاء القوات الأجنبية عن بلاد المغرب كلها – رفض الاندماج والانضمام إلى الاتحاد الفرنسي في أي شكل من أشكاله- اعتبار أيام احتلال الجزائر (٥ يوليو١٨٣٠) وفرض الحماية على تونس (١٢ ماي ١٨٨١) وفرض الحماية على المغرب (٣٠ مارس ١٩١٢) أيام حداد في جميع أقطار المغرب العربي- تعزيز الكفاح في الداخل والخارج لتحقيق الإستقلال[١].

---

(١) مكتب المغرب العربي، *مؤتمر المغرب العربي...*، مصدر سابق، ص٢٢٠.

المطلب الثاني: الأثر الحضاري لجامعة القرويين

أ- نوادر المخطوطات بخزانة القرويين

ومن الأثر الحضاري لمعلمة جامعة القرويين خزانتها العلمية التي تعتبر من المكتبات المغربية العتيقة، ومن أهم الخزانات العالمية. وقد كانت في البداية خزانة عادية أنشئت إلى جانب جامع القرويين لمساندة مهمته في التدريس، إلى أن اعتني بها رسميا السلطان المريني أبو عنان عام ١٣٤٩/٥٧٥٠م، ووضع لها قانونا للقراءة والمطالعة والنسخ وزودها بكتب نفيسة في مختلف العلوم والفنون، وتوالى الاهتمام بها من قبل سلاطين المغرب. فتأسست رسميا على يد الملك الراحل محمد الخامس طيب الله ثراه، وذلك سنة ١٩٤٠، بهدف إعطائها صفة مؤسساتية تسمح لها بالانفتاح على الباحثين من مختلف المشارب الدينية والثقافية[١]. الشيء الذي مكن الباحثين من الاطلاع على ما تحتوي عليه من الكتب والوثائق، فسجلوها في كشوف عامة وعرفوا بها جهد المستطاع، وفتحوا آفاق المعرفة أمام المهتمين بالتراث الإسلامي. واتجهت عناية المنظمات الثقافية إلى استنساخ صور من هاته المخطوطات، سواء على الصعيد العربي أو الصعيد العالمي، فكان ذلك من أسباب الازدهار الفكري في العالم أجمع، وصارت خزانة القرويين تشع من جديد على الثقافة بما يفيد. وتكونت علاقة متينة بينها وبين مختلف الجامعات فصارت كتبها موضوعا للباحثين لأنها لم تكن كتبا محلية أو إقليمية وإنما كانت كتبا تمثل الثقافة الإسلامية بكل شموليتها حيث نجد فيها كتبا دينية محضة وكتبا أدبية ولغوية وكتبا ذات اتصال بالعلوم التجريبية والطب والهندسة والفلك. وتحتفظ الخزانة أيضا بكتب ذات فن أصيل في الخط والتزويق تمثل مختلف الخطوط العربية وتوضح جانب الإبداع في الفن التشكيلي، كما توضح خشوع الإنسان العربي حينما يتعلق الأمر بكتابة المصاحف القرآنية فيوجه عنايته إليها بكل دقة ورعاية، ومن أهمها المصحف الكوفي المسجل تحت رقم ٨٧٦، ويرجع تاريخه إلى أواخر القرن الثاني الهجري، والجزء السابع عشر من المصحف المسجل تحت رقم ١٩٦٦، المكتوب بخط مغربي مبسوط ملون بالذهب، وفيه زخارف تثير الإعجاب، بحيث يعتبر آية في الإبداع[٢].

وتتوفر خزانة القرويين على رصيد وثائقي هام يتوزع على الشكل التالي:

---

(١) العروسني لطيفة، " خزانة القرويين في فاس المغربية تصمد في وجه التاريخ.. وعمليات السرقة"، *جريدة الشرق الأوسط*، ٣ نوفمبر، ٢٠٠٤، العدد ٩٤٧٢.

(٢) الدباغ محمد عبد العزيز، خزانة القرويين وأثرها في حفظ التراث الإسلامي، في أعمال جامعة القرويين وآفاق إشعاعها الديني والثقافي، ندوة *تكريمية للأستاذ العميد العلامة عبد الوهاب التازي سعود*، أبحاث وأعلام، ١٩٩٦، صص١٠٧-١٠٨.

٣٨٢٣مخطوط (حسب الرقم الموثق بقاعدة المعطيات الببيلوغرافية الالكترونية للخزانة)، ٧٦٨ نسخة من الميكروفيلم الخاص بالمخطوطات، و٤٢١ نسخة من المطبوعات الحجرية، و٢١٢٥٠ كتاب من الدوريات.

ويعود أصل مخطوطات خزانة القرويين إلى مصدرين، ماهو موقوف على الخزانة، وما تم نقله إليها من خزائن أخرى في عصر من العصور. فالموقوف عليها يبتدئ بما حبسه السلطان أبو عنان المريني ومن تلاه من سلاطين الدولة المرينية، وخاصة أبو العباس أحمد بن سالم وذلك حتى سنة ٨٠٥ه، ويليهم الوطاسيون والسعديون وعلى رأسهم أبو العباس أحمد المنصور، الذي أوقف الشيء الكثير على خزانة القرويين، كما ظهر بنفس المظهر ابنه زيدان الذي حبس عدد من كتبه على القرويين. وقام سلاطين الدولة العلوية بتحبيس مخطوطات أخرى على القرويين. النوع الثاني من كتب خزانة القرويين ورد إليها من خزائن متعددة، ومن ذلك نجد كتبا من خزائن المرينيين بمختلف مدارسهم. وكذا أمر السلطان سيدي محمد بن عبد الله في عهد الدولة العلوية بتوزيع الخزانة الاسماعيلية بمدينة مكناس على مساجد المغرب بما في ذلك جامعة القرويين، كما أمر الملك الراحل محمد الخامس بنقل خزانة السلطان المولى رشيد العلوي بفاس الجديد إلى خزانة القرويين. وإذا نظرنا إلى أصل مخطوطات خزانة القرويين من الوجهة الجغرافية، نجد فيها ماهو مشرقي وماهو أندلسي، وما هو شمال إفريقي مغربي[١].

ومن بين الذخائر النادرة من المخطوطات التي توجد في رفوف خزانة القرويين يمكن أن نذكر:

- مصحف كريم نادر يعود إلى نهاية القرن الثاني الهجري وبداية القرن الثالث مكتوب بماء الذهب على رق الغزال بخط كوفي قديم.
- نسخة فريدة من كتاب " العبر" لابن خلدون الذي حبسها شخصيا على خزانة القرويين، وقد تم مؤخرا اختيار هذا المخطوط من طرف منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة ضمن التراث العالمي الإنساني من خلال برنامج " ذاكرة العالم".
- "مختصر أبي مصعب الزهري" كتب على ورق عتيق بقرطبة في الأندلس سنة ٣٥٩ للهجرة.
- "سيرة ابن إسحاق" وهو مخطوط يعتبر أقدم ما يوجد بخزانة القرويين.
- " البيان والتحصيل" لابن رشد، مكتوب على الرق بخط دقيق جميل جدا، وهو مجلد أصيل وضخم تتخلله مجموعة من الزخاريف الفنية.

---

(١) الفاسي محمد العابد، فهرس مخطوطات خزانة القرويين، دار الكتب، الدار البيضاء، ١٩٧٩، الجزء الأول، صص٢٧-٣٠.

- قطعة من الإنجيل باللغة العربية كتب على الرق بخط أندلسي عتيق.
- الأرجوزة الطبية لابن طفيل المتوفى سنة ٥٨١ هجرية، وهي نسخة عتيقة[١].

ب-مخطوطات بعض علماء القرويين

ومن الأثر الحضاري الموروث كذلك مخطوطات علماء القرويين، فعلم المخطوطات هو بمثابة حصيلة معرفية دينية ولغوية وعلمية، وهذا راجع لكون مجال الكتابة أو الخط لا يختص به جنس أو أمة بعينها، بل اختص به الإنسان بمختلف جنسياته. وتعني كلمة مخطوط اصطلاحا، المكتوب بالخط لا بالمطبعة، وجمعه مخطوطات، والمخطوطة هي النسخة المكتوبة باليد. وعرفها صاحب " قاموس المحيط" بقوله "إن المخطوط لغة مأخوذ من خط بالقلم"[٢].

وتعد المخطوطات الموروث الحضاري الذي يكتنز جزءا مهما من فكر وإبداع الشعوب والأمم، وأحد أهم الروافد للدارسين للاطلاع على حركة التأليف في مختلف الأقطار، وبابا يلج منه الباحثون للتعرف على الآثار الفكرية ودراستها، والسبيل إلى سبر أغوار تلك الكتب بتحقيق نصوصها ونشرها. ويعد المغرب من أضخم بلدان الغرب الإسلامي ثروة من ناحية المخطوطات، وتتوزع بين عدد كبير من مراكز حفظ المخطوطات والوثائق التاريخية، وعلى رأس هذه المكتبات الخزانة الحسنية بالرباط، وخزانة القرويين بفاس، والمكتبة الوطنية بالرباط، وخزانة ابن يوسف بمراكش، والخزانة العامة بتطوان، وخزانة الجامع الكبير بمكناس.

وتحتوي المكتبة الوطنية للمملكة المغربية على اثنتي عشر ألف مخطوط أي حوالي ٣٤٠٠٠ مخطوط، وقد تم فهرستها وعددها اليوم تسعة. وفي الفهرس الثامن تم كشف النقاب عن خزانة عالم من علماء القرويين محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، الذي كان ضليعا في علوم الشريعة والأدب والتعليم والسياسة، بل كان مطلعا أيضا على الثقافة الغربية وخاصة على الفلسفة اليونانية، ويتضمن هذا الفهرس على ما مجموعه ٥٤٥ عنوان، اعتمد في فهرستها على المنهج الوصفي الذي يرتكز على تقديم كل المعلومات والبيانات الممكنة من حيث الرقم الترتيبي، ورقم المخطوط وعنوان المخطوط، واسم المؤلف. والملاحظ أن جل مؤلفات العالم القرويني الحجوي عبارة عن مسودات وتقاييد وفتاوى فقهية ومحاضرات وأسئلة وأجوبة، فهي عبارة عن وثائق بعضها يؤرخ للدولة العلوية- فترة المولى عبد الحفيظ والمولى عبد العزيز- لذلك اكتسبت القيمة العلمية والتاريخية، ولعلها فاقت مؤلفات معاصريه لأنها اعتمدت الأسلوب المنهجي القائم على الحجج والدلائل،

---

(١) كرواطي إدريس، مخطوطات خزانة القرويين بفاس، الحالة المادية وعوامل التلف وطرق الصيانة.

(٢) البستاني بطرس، *محيط المحيط*، قاموس اللغة العربية، بيروت- لبنان، ج١، صص.١٨٧٠-٥٦٣.

ومن تم حظيت مؤلفاته بالعناية والاهتمام من طرف الباحثين في المغرب وخارجه، وطبعت معظم كتبه في تونس والجزائر وأوروبا وما زال الباحثون يتطلعون إلى تحقيق كتبه، كما أنجزت حول شخصيته دراسات متعددة. وتميزت ثقافة الحجوي بالتنوع والغنى استجابة للواقع الفكري ولأنماطه، وكانت الرحالات مجالا لتنمية مداركه، وهذا جرد لمؤلفاته الثمينة التي تم فهرستها وهي كالتالي:

الفن	عدد المخطوطات
المصاحف	١
القراءات	٧
التفسير	١٦
التجويد	٣
الحديث	١٨
مصطلح الحديث	١
السيرة النبوية	٣٢
الفقه وملحقاته	١١
أصول الفقه	٤
الردود والمناظرات	١٧
التوحيد	١٢
علوم الدين	٠٥
التصوف	٠٩
علم الكلام	٠٧
الوعظ والإرشاد	١٨
النحو	١٩
التصريف	٢
اللغة	٧
البلاغة	٦
الآداب	٢٤
التاريخ	٣٦

الفن	عدد المخطوطات
التراجم والمناقب	٢٦
الإجازات والفهارس	٩
الرحلات	١٣
التربية والتعليم	١٨
الطب	٣
الحساب	٩
الفلك	١٦
الهيئة	٣
الفلسفة	١
المنطق	٦
الأوراد والأذكار	١١
النظم الإدارية	٣
الموسيقى	١
تعبير الرؤيا	٢
فنون مختلفة	٥٨

كما كشف لنا الفهرس التاسع الموجود بالمكتبة الوطنية عن مخطوطات ثمينة لعالم من علماء القرويين محمد بن جعفر الكتاني، وعددها ٤٧٧ عنوانا فضلا عن الفهارس (قيد الطبع). وقد انصب اهتمامه على الانفتاح على الثقافة الغربية، والاهتداء إلى آراء الفلاسفة اليونانيين أمثال أرسطو وأفلاطون وسقراط، وذلك من أجل تدعيم حججه وتطوير منهجيته المعتمدة على العلم والعقل، لذلك أصبح يذم التقليد ويطالب بالتجديد[(١)].

فضلا عن ذلك تشمل خزانة مؤسسة علال الفاسي الذي كان من علماء القرويين المشهورين على خزانة خاصة به، وتضم مؤلفاته الشخصية وبحوثه ورسائله ومقالاته وإنتاجه الذي طبع جزء كبير منه في كتب،

(١) تاوشيخت لحسن، فهارس مخطوط المكتبة الوطنية للمملكة المغربية، فهرس محمد بن الحسن الحجوي نموذجا، *مجلة المناهل*، العدد٩٣/٩٤، ٢٠١٢، صص، ٢٣٩-٢٤٠

وما يزال بعضها مخطوطا في دفاتره وكناشاته وأوراقه الخاصة، والبعض الآخر موجود في ثنايا الصحف والمجلات المغربية وغيرها. وتشمل خزانة العالم والزعيم الاستقلالي علال الفاسي على كم هائل من الوثائق المتعلقة بتاريخ الحركة الوطنية المغربية والمغاربية بما فيها الرسائل المتبادلة بين صاحب الخزانة وعدد من الشخصيات المغربية والعربية والإسلامية والأجنبية(١).

وقد اهتم جلالة المغفور له الملك الحسن الثاني بالمخطوطات وكانت أحسن هدية يتلقاها تلكم التي تكون عبارة عن مخطوطة، وقد عبر عن إعجابه وابتهاجه لما توصل "بخزانة الشيخ عبد الحي الكتاني من أحد علماء القرويين الخاصة، والغنية بالمخطوطات، فأمر رحمه الله بأن تلحق بالقصر الملكي بمراكش. وأولى جلالة الملك سيدي محمد السادس نصره الله عناية كبيرة بالاتجاه العلمي، ومن مكرماته المحمدية أنه وافق نصره الله على اقتناء خزانة اكبر عالم مغربي بالمخطوطات المرحوم العلامة محمد المنوني لتضمها خزانته الحسنية (٢).

ج- الإشعاع العلمي لجامعة القرويين

لم يعرف التاريخ الإنساني مؤسسة استقطبت اهتمام المفكرين مثل" جامعة القرويين، ويؤكد هذا الطرح مفكرو القديم والحديث، ولعل مصدر هذا الاهتمام هو أن القرويين، جامعا وجامعة، نهضت منذ أن انتشر الإسلام، ولغته العربية في المغرب والأندلس والقيروان، فتسنى "للقرويين""بفاس" أن ترث ما كانت تزخر به هذه البلاد، التي ينتظمها في حكم سياسي واحد، وهذا أمر طبيعي، لأنه إذا "جامع القرويين" قد قام بوظيفته الدينية عبر العصور، فإن مساجد "الأندلس" و"تونس" وغيرهما في الغرب الإسلامي، قد نهضت بالمهمة ذاتها، المتمثلة في الإشعاع العلمي والفكري، إذ اتخذها العلماء والفقهاء واللغويون مراكز للبحث والتدريس، فتطورت رسالة المسجد والجامع لتصبح، علاوة على مهمتها الأساس، أماكن للدراسة والتعليم، يلتقي فيها المسلمون على اختلاف مواطنهم ولغاتهم، قصد العبادة وتلقي المعرفة.

على هذا الأساس ظهر "جامع القرويين" في عهد "الأدارسة"، ليصبح مكانا للعبادة، ومركزا للإشعاع العلمي والثقافي والحضاري، وأتيح له أن يتفرد بنتائج هذا الإشعاع، وذلك بفضل الهجرة التي قام بها علماء كبار، جاءوا إليه من حواضر المعرفة والثقافة، إذ قدم إليه علماء إحدى عواصم العلم آنذاك "قرطبة" حين ضاق بهم المقام، نتيجة سياسة الأمويين هناك، فأصبحوا أساتذة بالقرويين، وساهموا في هذا الإشعاع، وقدموا لطلبة العلم عطاءهم الغزير، ثم انضاف إليهم نظراؤهم القادمون من "تونس" إثر الأزمة التي حلت "بالأغالبة" حكام المغرب الأوسط، فوجدوا كذلك ما يدعو في "القرويين" إلى المساهمة في هذا الإشعاع

---

(١) خزانة مؤسسة الزعيم علال الفاسي.

(٢) شوقي بنبين أحمد، *فهرس مخطوطات التصوف*، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ٢٠١٠، ص١٠٥٣٠.

العلمي، باعتبار أن مدينة فاس بيئة منفتحة قابلة لكل عطاء فكري، وباعتبارها بؤرة تنصهر فيها الثقافات والمعارف، ثم يتولى جامع القرويين هضمه وتصديره إلى العالم، حتى "أوروبا" و"إفريقيا"، الأمر الذي أهل الجامع ليصبح "جامع إسلامية عالمية"، فلا غرو إذن أن ينهل من معينها أمثال الأسقف "جيربير

"GERBERT الذي اعتلى مركز البابوية أواخر القرن العاشر الميلادي / القرن الرابع الهجري، فتوج باسم سلفستر الثاني. وقد درس في القرويين أيام كانت أوروبا تعيش عصورها المظلمة، وأخذ عنها الأرقام العربية وأدخلها أوروبا فاستبدلها الأوروبيون بالأرقام الرومانية. ومما يذكر هنا أن "جامع القرويين" عرف النور، قبل "جامع الأزهر" في مصر بحوالي قرن؛ فقد تأسس أواسط القرن الهجري الثالث، لكن نشاطه الجامعي لم يعرف النور إلا في القرن الخامس الهجري، ومن ثم ساد عند المؤرخين المسلمين والأجانب، أن جامعة القرويين أقدم مؤسسة عليا في التاريخ الإنساني، وأن العلوم والفنون والآداب جميعها كانت تدرس بها. وقد واكب هذا الإشعاع العلمي ازدهار تدريس "الطب في العهد العباسي"، وظهرت الحاجة إلى دراسته في القرويين، وذلك بتخصيص حصة ضمن المناهج الدراسية، وبرز بهذا الاهتمام بتعليم الطب كذلك في "جامع الزيتونة" ب: "تونس" و "جامع الأزهر" في "مصر"[١].

ويشير روم لاندو إلى أن جامعة القرويين في القرن الثاني والثالث والرابع و الخامس عشر أيام دولتي الموحدين والمرينيين، اللتين كانت أيامهما عصر علم، وعهد تشييد مدن تحتوي على مآثر تاريخية مغربية جميلة، كانت القرويين مقصدا للطلاب من إفريقيا والعالم الإسلامي وأوروبا. ويذكر روم لاندو بعض أساتذة القرويين ومنهم: ابن خلدون وابن الخطيب، وابن حرازم وابن باجة. كما يظن أن ابن ميمون والمؤرخ الإفريقي حسن الوزان المعروف بليون الإفريقي كانا من تلامذة القرويين[٢]. وقد أكدت لنا الوثائق الفرنسية أن جامعة القرويين ظلت تستقطب الطلبة من خارج المغرب حتى سنة ١٩٥٥، بحيث كشفت لنا هذه الوثائق عن وجود طلبة جزائريين[٣] وطلبة سنغاليين بالقرويين [٤].

---

(١) محيي الدين عبد الحميد، « الإشعاع العلمي في القرويين جامعا وجامعة»، ***مجلة دعوة الحق***، العدد ٣٦٤، السنة الثالثة والأربعون، ذي الحجة ١٤٢٢، فبراير ٢٠٠٢، ص١٦٠.

(٢) لاندو روم: «جامعة القرويين بفاس، تعريب محمد الخطيب»، ***مجلة دعوة الحق***، العدد الأول، السنة الثانية، ربيع الأول ١٣٧٨ شتنبر ١٩٥٨، ص٢٧٠.

(3) ADN / 1MA/ 200 / 643: Etudiants Algériens à Qaraouiyine, «***Le Général Laparra Chef de la Région de Fès, à Monsieur le Chef du Secrétariat Politique à Rabat, Fès 14 Mai 1947***.

(4) ADN / 1MA/ 200 / 643: Etudiants Sénégalais à Karaouiyine, ***«Le Contrôleur Civil, Délégué aux Affaires Urbaines de Fès, à Monsieur le Général, Chef de la Région de Fès, 1 Mars***

=

المبحث الخامس: جامعة القرويين الرسالة الممتدة

المطلب الأول: وظائف جامعة القرويين في المغرب الراهن

كان من اللازم إعادة النظر في الدراسة بجامعة القرويين ووضع نظام جديد لها حتى تساير هذا العصر وتطوره. فقد أصبحت جامعة القرويين ابتداءا من سنة ١٩٧٥، تخضع في تسييرها التربوي والإداري للظهير الشريف رقم ١,٧٥,١٠٢ بتاريخ ١٣ صفر ١٣٩٥ه (٢٥ فبراير ١٩٧٥م) المتعلق بتنظيم الجامعات المغربية. وقد تمت كذلك إعادة تنظيمها بموجب الظهير الشريف ١,١٥,٧١ بتاريخ ٠٧ رمضان ١٤٣٦ه (٢٤ يونيو ٢٠١٥م) الذي حدد مهامها والمعاهد التابعة لها.

وتشمل جامعة القرويين حاليا على أربع كليات هي:

- كلية الشريعة بفاس
- كلية اللغة العربية بمراكش
- كلية أصول الدين بتطوان
- كلية الشريعة بأكادير

إن المواد التي تدرس بمختلف فروع جامعة القرويين جد متنوعة، فهناك علوم القرآن والحديث والتفسير والفقه وأصوله والسيرة النبوية والعقيدة والتشريع والقانون بمختلف فروعه، والاقتصاد السياسي والفلسفة الإسلامية والفرق والمذاهب الكلامية والفكر الإسلامي المعاصر واللغة العربية وعلومها، والنقد الأدبي واللسانيات ومنهجية البحث واللغات الأجنبية (الفرنسية و الانجليزية والاسبانية). ويكون الهدف من تدريس هذه المواد والعلوم هو تكوين الطلبة تكوينا إسلاميا أصيلا متينا مسايرا لتطور العصر، فهي تتسم بالأصالة والمعاصرة في نفس الوقت.

والنظام المتبع في جامعة القرويين هو نفس النظام الذي تخضع له باقي الجامعات والمعاهد المغربية، سواء فيما يخص نظام الدراسة أو الامتحانات أو الشهادات و الإجازات.

والواقع أن جميع الطلبة الذين يتابعون دراستهم بمختلف كليات جامعة القرويين يقصدونها من جميع جهات المملكة المغربية، فضلا عن الطلبة الذين ينتمون إلى موريتانيا، والسنغال، والسودان، والمالي، والكامرون، وطايلاندا، وماليزيا، والأردن، وجزر القمر...إلخ.

وفي إطار إبراز دور الجامعة الثقافي والعلمي والمعرفي انصرفت العناية إلى أمرين هامين هما:

=

1952 ».

- تنظيم عدة لقاءات علمية، حيث تقوم المؤسسات التابعة للجامعة بتنظيم ندوات وأيام دراسية وملتقيات علمية وطنية ودولية. كما أن أساتذتها يشاركون في العديد من المؤتمرات واللقاءات العلمية الوطنية والدولية.
- إنشاء مجمع للبحوث الإسلامية تابع لعمادة الجامعة، الغرض منه تشجيع البحث العلمي، ودفع الباحثين إلى القيام بمجهودات هامة في ميادين اختصاصاتهم إسهاما من جامعة القرويين العتيدة في المجهود الثقافي العام.

وفي مجال النشر، تصدر جامعة القرويين مجلة سنوية بعنوان القرويين، بالإضافة إلى النشرة الجامعية التي تقدم صورة شاملة عن منجزاتها ومجهوداتها في التكوين والتدريس والبحث والتعاون. كما أن كل مؤسسة من المؤسسات التابعة لها تقوم بإصدار عدة منشورات علمية في العلوم الإسلامية واللغوية والفلسفة الإسلامية. وفي إطار التعاون الثقافي، عملت جامعة القرويين على توقيع عدة اتفاقيات ثقافية مع جامعات عربية وعدة مراكز للبحث العلمي ونذكر منها:

- اتفاقية تعاون مع المركز العربي للبحوث القانونية والقضائية بمدينة الرباط المغربية.
- اتفاقية تعاون علمي وثقافي مع جامعة الأزهر بجمهورية مصر العربية.
- اتفاقية تعاون علمي وثقافي مع جامعة الزيتونة بجمهورية تونس.

وهناك مشاريع اتفاقيات جديدة مع عدد من جامعات عربية إسلامية وغربية(١).

المطلب الثاني: الرهانات المنوطة بالقرويين لأجيال المستقبل

تشكل جامعة القرويين منارة أكاديمية تفوح بعبق الذاكرة والتاريخ ومؤسسة علمية فاعلة في نشر علوم الدين، خدمة لإشعاع الحضارة الإسلامية. وتساهم هذه المؤسسة العلمية تحت القيادة الرشيدة لصاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله في:

- تكوين علماء وباحثين متخصصين في الدراسات القرآنية والعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية المعمقة.
- تكوين الأئمة والمرشدين والمرشدات.
- إعداد برامج خاصة للتكوين والتأهيل والتكوين المستمر في مجال التأطير الديني والسهر على تنفيذها.
- تنمية البحث العلمي في مجال الدراسات القرآنية والحديثية والعقدية والفقهية وقضايا الفكر الإسلامي المعاصر.

---

(١) جامعة القرويين ملحق، في أعمال جامعة القرويين وآفاق إشعاعها الديني والثقافي، *ندوة تكريمية للأستاذ العميد العلامة عبد الوهاب التازي سعود*، أبحاث وأعلام، ١٩٩٦، صص.٢٣٨-٢٣٩.

- الإسهام في التعريف بالعلوم الإسلامية وتاريخها والعمل على نشر الدراسات والأبحاث والمصادر المتعلقة بها.
- الإسهام في التعريف بتاريخ المغرب وتوثيقه وانجاز الدراسات والأبحاث المتعلقة به.
- الإسهام في التعريف بالتراث الفقهي الإسلامي.

وتضم جامعة القرويين المعاهد والمؤسسات التالية:

- مؤسسة الحديث دار الحديث الحسنية.
- معهد محمد السادس للقراءات والدراسات القرآنية.
- معهد محمد السادس لتكوين الأئمة والمرشدين والمرشدات.
- المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب.
- معهد الفكر والحضارة الإسلامية بالدار البيضاء.
- معهد تاريخ العلوم الإسلامية.
- مدرسة العلوم الإسلامية.

ومن بين الخطط المستقبلية التي تسعى الجامعة إلى نهجها وتطبيقها ما يلي:

- **التمسك بالثوابت: الثقافة الإسلامية، واللغة العربية**

إن الدور الأساسي الذي أنشئت من أجله الجامعة هو الدور الإسلامي، الذي يقوم على خدمة علوم الشريعة الإسلامية، والحفاظ على التراث الثقافي الإسلامي وتطويره. وحتى نحافظ على هذا الدور لابد من تأسيس ثقافة إسلامية مواجهة لتحديات خطيرة ومتشابكة:

- **عقدية**: نواجه بها أنواع الخرافة ومظاهر التطرف والدعوة إلى تيارات هدّامة تفرق بين أبناء الأمة الواحدة، وتزرع بينهم بذور الحقد والعنف. وليس من سبيل إلى ذلك إلا بتقديم صورة للإسلام الصحيح، ودراسة الفكر الإسلامي المعتدل القائم على التفتح والتسامح، والوقوف عند أعلامه وأفكارهم ومؤلفاتهم.
- **فكرية**: وذلك بالرجوع إلى الثقافة الإسلامية لما لها من مواجهة كافة أنواع المتغيرات الفكرية، وملء ما قد يشعر به الناس من حيرة ناتجة عن فراغ فكري مهول.
- **اجتماعية**: وذلك بالدعوة إلى الاعتدال والتوازن بين حاجات الجسد والروح وهي السبيل الناجح لتحقيق الحياة الإنسانية الكريمة، وتوفير الاستقرار النفسي اللازم ليحي الإنسان حياة سعيدة في الدنيا

والآخرة[1].

- **تربوية:** أصلها ما تعرفه مناهجنا الدراسية في مختلف مراحلها من تعزيز الثقافة العربية المرموقة ونشرها والتعريف بها في العالم باعتبارها أداة لنقل الخطاب الإسلامي وفهم مقاصده وغاياته.

- **التفتح على الثقافات:** بحيث ينبغي أن يكون طالب القرويين متفتحا على الثقافات واللغات الأجنبية، إذ لا يجب أن ننسى أن هذه الثقافة هي في الأصل رافدا من روافد ثقافتنا، فلا أحد ينكر من -الأجانب أنفسهم- دور ابن سينا وابن رشد والخوارزمي وغيرهم في تطور أوروبا، ودخولها في عصر النهضة الحديثة. لذلك فلا مانع من أخذ الجوانب الايجابية في الثقافة الأجنبية التي لا تتعارض مع ديننا وثقافتنا، وأن ننظر إليها بعيون الأصالة دون الانصياع في القوالب الثقافية والحضارية الأجنبية. إن العصر عصر تفاهم وحوار هادئ بين الحضارات والثقافات والأديان ذات القيم الخالدة، والتحول من علاقة التصادم والصراع إلى علاقة الحوار السلمي. وإن من شأن ذلك أن يربي الأجيال الصاعدة على الانفتاح والتسامح، ويدفع الغرب إلى تصحيح نظرته عن الإسلام والمسلمين. وقد بدأت جامعة القرويين في تحقيق هذا المطلب في مشروع الإصلاح الجامعي الأخير باقتراح مسالك اللغات العربية واللغات الأجنبية الحية، والدراسات الإسلامية.

- **التفتح على المحيط الاجتماعي:** لا تخفى أهمية مراعاة المحيط الاجتماعي في وضع البرامج الجامعية إذ أن نجاح هذه البرامج يتناسب ومدى خدمة هذا المحيط ومواكبة حاجاته، وبالتالي خدمته لأهداف التنمية. ومن الممكن أن تسهم الجامعة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لمحيطها عن طريق البحث عن حاجات المجتمع المتنوعة ومراعاتها عند وضع البرامج والمقررات، ولعل أبرزها وأهمها هي: تقديم الحلول المرضية لما يستجد من مشاكل المجتمع ومعضلاته عن طريق الفتوى الصحيحة. والاهتمام بالجانب الروحي في المجتمع، وإثارة القضايا الشائكة فيه عن طريق الندوات والأبحاث والوعظ، مع مراعاة الفهم الدقيق والسليم للإسلام، والفهم الصحيح لمتطلبات العصر الراهن وللمتغيرات الاجتماعية والحضارية[2]. وهي الرسالة التي نهضت بها الجامعة منذ القديم عندما كان علماؤها مندمجين اندماجا كليا في مجتمعاتهم، وهي التي ستمكننا الآن من المساهمة في التطور الاجتماعي والحضاري للبلاد.

- **التكوين والتأطير:** يبقى من أهم رسائل الجامعات مهما كانت الظروف والمتغيرات وقد قامت

---

(١) جلاب حسن، جامعة القرويين وأفاق المستقبل، مجلة جامعة القرويين، العدد الحادي عشر، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص٢١٠.

(٢) نفسه، صص٢١٠-٢١١.

جامعة القرويين بهذا الدور أحسن قيام، سواء في تاريخها القديم الساطع إذ كان المغرب رائدا في مجال العلم والحضارة والثقافة، وكانت تدرس بجامعة القرويين علوم الطب والفلك، فضلا عن العلوم الشرعية واللغوية والأدبية، وكان طلبة الأندلس وأوربا يسعون إلى التكوين في جامعة القرويين. أو عندما تم تحديث القرويين تكفلت القرويين كغيرها من الجامعات العصرية بتكوين الأطر المغربية في الميادين الشرعية واللغوية والأدبية والإنسانية مع مراعاة أسس التكوين الراهن. ومازالت القرويين مطالبة بمتابعة هذا الدور مع مراعاة التغيرات التي عرفتها البلاد، ومتطلبات المرحلة الراهنة. فالمطلوب الآن تكوين طلبة قادرين على الفهم السليم والاستنباط الصحيح والبناء الدقيق حتى يصلوا إلى مستوى الإبداع اعتمادا على أنفسهم. ولن يتأتى ذلك إلا إذا اعتبرنا الدراسة منهجا للبحث وطريقة للتفكير قبل أن تكون برنامجا للتدريس يرجى من ورائه تلقين المعلومات والمعارف.

ولابد لكي نصل إلى نتائج طيبة:

- من الاعتماد على أساتذة مؤهلين باحثين متميزين لهم شغف كبير بالبحث والتنقيب والإبداع.
- أن نعيد إلى القرويين بعض خصوصياتها التي كانت منذ القديم.
- أن يكون التعليم فيها ذا مستوى ثقافي جيد يكون الهدف منه العلم والمعرفة أساسا لا الحصول على الشهادة.
- يجب مراعاة ظروف الطلبة وتوفير لهم الإقامة للدراسة بجامعة القرويين، وخاصة الأجانب الذين يجدون صعوبة في المجيء إلى الجامعة نظرا لإقامتهم في البلدان البعيدة عنها. كل هذا من شأنه أن يساعد على إشعاعها العلمي والفكري المتواصل عبر الزمان والمكان [١].

---

(١) نفسه، صص.٢١٢-٢١٣.

خاتمة

وصفوة القول، ظلت جامعة القرويين من أعظم الجامعات التي قدمت خدمات جليلة للعروبة والإسلام، فهي التي حفظت الثقافة العربية الإسلامية، ومدت جسور التواصل الفكري بين مختلف الأقطار، وبذلك بقيت منارا للعلم والمعرفة، ورمزا شامخا من رموز العلم والحضارة. وهذا ما يؤكد أن القرويين لم تكن مؤسسة محلية أو جهوية أو إقليمية وإنما كانت على الدوام جامعة عامة للكل الأقطار، وقد أسهم الفكر المغربي بكل مكوناته وقدراته المختلفة في بناء صرحها العلمي الذي امتد إشعاعه إلى ما وراء المغرب ليشمل العالم بأكمله. ومدينة فاس نفسها كانت حاضرة العلم والعرفان لأن جوامعها ومدارسها كانت خلايا للعلم ومنابر للمعرفة، التقى في أحضانها كل المغاربة، ونزح إليها عشاق العلم ورواد المعرفة من كل البلدان، مما جعلها بحق جديرة بأن تسمى أم المدائن وحاضرة الحواضر. وما كان لفاس أن تكون لها هذه المزية لولا استضافتها لجامعة القرويين، وإنزالها منزلة القلب من الجسد. وما أحسب أن فاسا زوحمت على هذا الشرف أو نافسها فيه منافس فبدلها، فحتى في الوقت الذي كانت السياسة تختار غيرها من العواصم المغربية، فإن المرجعية العلمية ظلت دائما بالقرويين، وظل الناس لا يطمئنون إلى علم عالم أو فقه فقيه أو فتوى مفت إلا إذا كان ممن قرأ في القرويين وجلس بين يدي أعلامها وأجازوه وباركوا علمه.

إن جامعة القرويين وهي تسهر على الحفاظ على التراث والعناية بما أنتجه علماؤنا ومفكرونا خلال العصور الطويلة، لتتحفز اليوم للاندماج في قضايا العالم الإسلامي المعاصر وعلى رأسها قضية الثقافة وتطورها. فهي تعد برامج ومقررات متنوعة تشمل إلى جانب تدريس العلوم الإسلامية الاعتناء بالعلوم الحديثة واللغات الأجنبية المختلفة، ليكون طلبتها وعلماؤها في المستوى المطلوب في عالمنا الراهن. وليشاركوا المشاركة الفعالة في مسيرة المغرب الراهن نحو غد أفضل ومستقبل أحسن بقوة الله. وبذلك ستستمر في رسالتها العلمية وتحقق تطلعاتها نحو المستقبل العلمي الذي سيتم فيه بحول الله، إنتاج معرف جديدة بمنهجية دينامية وعلوم متطورة، سيستفيد منها العالم الإسلامي في نهضته الفكرية والتي ستفتح أمام المسلمين من جديد مجالات العلم والمعرفة والثقافة الشاسعة الأرجاء، ليقفوا في نفس الصف مع غيرهم من الشعوب والأمم، يتحاورون معها بهدوء وسلم ويشاركون مشاركة فعالة في بناء صرح الحضارة الحديثة.

المختصرات

A D N: Archives Diplomatiques de Nantes

الميلادية: م

الهجرية: ه

مجلد: م

الجزء: ج

قائمة المصادر والمراجع

١- المخطوطات

*- الحجوي محمد: ***تقرير عن المعارف***، مخطوط الخزانة العامة، الرباط، رقم: ح/ ١٢٩.

*- "''''''''''''''''': ***تقرير تاريخي عن حال المغرب بعد الحماية***، مخطوط الخزانة العامة، الرباط، رقم: ح/٢٥٤.

*- كنون محمد: ***نصيحة أهل العلم***، مخطوط خزانة العامة، الرباط رقم: ح / ٢١٨

*- ***رسالة مرفوعة إلى السلطان المولى يوسف***، مخطوط الخزانة الحسنية، الرباط، رقم:٥- ١٣٧٤٠.

٢- المنشورات

*- إسماعيل عثمان عثمان، ***تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى***، الحلال العربية للطباعة والنشر، الرباط، ١٩٩٣، الجزء الثاني.

*- الافراني محمد الصغير، ***نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي***، تحقيق هوادس، ١٨٨٨.

*- ابن أبي زرع الفاسي علي: ***الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس***، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢.

*- ابن خلدون عبد الرحمن: ***المقدمة***، دار الرائد العربي، بيروت- لبنان، ١٩٨٢، الطبعة الخامسة.

*- ابن عزوز محمد: ***أب الحركة الوطنية المغربية، الحاج عبد السلام بنونة حياته ونضاله***، الهلال العربي للطباعة والنشر، الرباط، ١٩٨٧، الجزء الثاني.

*- ابن عزوز محمد: ***وثائق الحركة الوطنية في شمال المغرب***، مؤسسة عبد الخالق الطريس للثقافة والفكر، تطوان، ١٩٨١، الجزء الأول.

*- ابن القاضي المكناسي أحمد: ***جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس***، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٣، القسم الأول (أ- ص).

*- البستاني بطرس، ***محيط المحيط***، قاموس اللغة العربية، بيروت- لبنان، ج١، صص١٨٧٠-٥٦٣.

*- بلقزيز عبد الإله: ***الخطاب الإصلاحي في المغرب التكوين والمصادر ١٨٤٤ - ١٩١٨***، دار المنتخب العربي

*- بوطالب عبد الهادي: ***ذكريات شهادات ووجوه***، الشركة المغربية للطباعة والنشر، الرباط، ١٩٩٢، الجزء الأول.

*- التازي عبد الهادي: ***جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس موسوعة لتاريخها المعماري والفكري***، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٢، المجلد الثالث.

*- """""""""": ***التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، الدولة الإدريسية***، مطابع فضالة، المحمدية، ١٩٨٦، المجلد الرابع.

*- الجابري عابد محمد: ***أضواء على مشكل التعليم بالمغرب***، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٧٣.

*- """""""""""": *الانتلجانسيا في المغرب العربي*، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٤.

*- الجزنائي علي: ***جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس***، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، ١٩٩١.

*- الحجوي محمد: ***فهرسة محمد بن الحسن الحجوي، المسماة مختصر العروة الوثقى في مشيخة أهل العلم والتقى***،

*- حجي محمد: ***الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين***، مطبعة فضالة، ١٩٧٧، الجزء الأول.

*- الحسيني زين العابدين محمد، ***جامعة القرويين تمنح أول إجازة في الطب***، الدار العالمية للكتاب لطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ٢٠١٧.

*- خير فارس محمد: ***تنظيم الحماية الفرنسية في المغرب، ١٩١٢- ١٩٣٩***، دمشق، ١٩٧٢.

*- الزيدي علي: ***تأريخ النظام التربوي للشعبة العصرية الزيتونية ١٩٥١- ١٩٦٥***، منشورات مركز البحوث في علوم المكتبات والمعلومات، العدد، ١٦، تونس، ١٩٨٦.

*- السائح حسن: ***التاريخ العلمي لجامعة القرويين***، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، ١٩٩٧.

*- السراج محمد: ***المركز الاجتماعي لعلماء جامعة القرويين***، ضمن الكتاب الذهبي لجامعة القرويين، مطبعة فضالة.

*- السنوسي علي، ***الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية***، مطبعة الشباب بمصر، ١٣٤٩ه.

*- الشرايبي عبد الهادي: ***ثمن الحرية***، دار المغرب للترجمة والنشر، الدار البيضاء، ١٩٧٨.

شوقي بنين أحمد، *فهرس مخطوطات التصوف*، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ٢٠١٠.

*- العروي عبد الله: *الأصول الاجتماعية والثقافية للوطنية المغربية ١٨٣٠ - ١٩١٢*، تعريب محمد حاتمي، محمد جادور، المركز الثقافي العربي، ٢٠١٥، الطبعة الأولى.

*- العلمي الحمار: *الخطاب حول التعليم واستراتيجيات السلطة، استراتيجيات ورهانات تعليم الفتاة*، منشورات اتحاد ٨٠- كتاب المغرب، الرباط، ٢٠٠٤.

*-العلوي بن هاشم محمد، شاهد عيان، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٨٩.

*- عمراني محمد: *جامعة القرويين والحماية ١٩١٢- ١٩٣٤*، منشورات الرباط نت، الرباط، ٢٠١٦، الطبعة الأولى.

*- غلاب عبد الكريم: *تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب من نهاية حرب الريف إلى بناء الجدار السادس في الصحراء*، مطبعة الرسالة، الرباط، ١٩٨٧، الأجزاء١ و ٢.

*- """""""""": *قراءة جديدة في تاريخ المغرب، عصر الإمبراطورية العهد التركي في تونس والجزائر*، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٥، الجزء الثالث.

*- الفاسي علال: *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي*، مؤسسة عبد السلام جسوس، سنة ١٩٤٨.

*- """""""""": *النقد الذاتي*، لجنة نشر تراث زعيم التحرير علال الفاسي، الرباط، (بدون تاريخ).

*- الفاسي محمد العابد، *فهرس مخطوطات خزانة القروييـ*ن، دار الكتب، الدار البيضاء، ١٩٧٩.

*- الكتاني عبد الحي: *فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات*، اعتناء إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٢، الطبعة الثانية، الجزء الأول.

*- """"""": *ماضي القرويين ومستقبلها*، تحقيق عبد المجيد بوكاري، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، سنة ٢٠٠٦.

*- الكتاني عبد الكبير: زهر *الآس في بيوتات أهل فاس، ويليه تحفة الأكياس ومفاكهة الجلاس فيما غفل عنها صاحب زهر الآس في بيوتات أهل فاس*، تحقيق علي بن المنتصر الكتاني، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ٢٠٠٢.

* - الكتاني محمد بن جعفر: *سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بمدينة فاس*، تحقيق حمزة بن محمد الطيب الكتاني، ومحمد حمزة بن علي الكتاني، دار الأمان، الرباط، ٢٠٠٤، الجزءالأول.

* - كرواطي إدريس، *مخطوطات خزانة القرويين بفاس*، الحالة المادية وعوامل التلف وطرق الصيانة.

*- لوطورنو روجي: *فاس قبل الحماية*، ترجمة محمد حجي، ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ١٩٨٦.

*- المراكشي عبد الواحد: *المعجب في تلخيص أخبار المغرب*، مطبعة المغرب، ١٩٣٨.

*- مكتب المغرب العربي: ***مؤتمر المغرب العربي المنعقد بالقاهرة من ١٥ إلى ٢٢ فبراير ١٩٤٧***، مطبعة المكتب - الثقافي الدولي، الجيزة.

المنوني محمد، ***المصادر العربية لتاريخ المغرب، الفترة المعاصرة ١٧٩٠- ١٩٣٠***، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة الدراسات البيليوغرافيا رقم١، سنة ١٩٨٩، الجزء الثاني.

*- الناصري أحمد بن خالد: *الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٦، الجزء التاسع.

١٩٨٢.

*- الورطاسي قدور: *ذكريات الدراسة في فاس*، دار الطباعة الحديثة، الدار البيضاء، (بدون تاريخ).

*- الوزاني محمد حسن: *مذكرات حياة وجهاد التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحريرية المغربية*، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٢، الأجزاء ١ و ٣ و ٦.

٣- النشرات والمجلات والندوات والجرائد

١- النشرات

*- « جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا»، *النشرة السنوية*، ١٩٢٨- ١٩٢٩، المطبعة التونسية، سنة ١٩٢٩.

*- « جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا»، *نشرة محاضر* جلسات مؤتمر طلبة شمال إفريقيا المسلمين، المطبعة الأهلية، تونس، ١٩٣١.

*- « جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا»، *نشرة الجمعية*، ١٩٣١- ١٩٣٢، مطبعة الاتحاد، تونس، عدد ١١٦، السنة ١٩٣١- ١٩٣٢.

*- « جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا»، *نشرة أعمال المؤتمر الثاني*، ١٩٣٢، مطبعة الاتحاد، تونس، عدد ١١٦، السنة ١٩٣٢.

*- « جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا»، *نشرة أعمال المؤتمر الثالث*، ١٩٣٣، مطبعة الاتحاد، تونس، عدد ١١٦، السنة ١٩٣٣.

*- « جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا»، *نشرة أعمال المؤتمر الرابع*، ١٩٣٤، مطبعة الاتحاد، تونس، عدد ١١٦، السنة ١٩٣٤.

*- « جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا»، *نشرة أعمال المؤتمر الخامس*، ١٩٣٥، المطبعة التونسية، عدد ٥٧، السنة ١٩٣٥.

٢ - المجلات

*- إدموند بروك: « العلماء المغاربة في ١٨٦٠ - ١٩١٢ »، تعريب امحمد بن عبود وعبد العزيز السعود، *مجلة البحث العلمي* السنة السادسة عشرة، ذو الحجة ١٤٠٠هـ أكتوبر.

*- أومليل علي: «إجازة طبيب بفاس سنة ١٨٢٢ »، *مجلة جمعية تاريخ المغرب*، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، العدد ٣، سنة ١٩٧١.

*- بنسعيد العلوي سعيد: « جامعة القرويين والمستقبل (نظرات في مستقبل الجامعة الإسلامية في عالم الغد)»، *مجلة جامعة القرويين*، العدد الحادي عشر، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨.

*- بنعبد الله عبد العزيز: « كيف تطور الطب والصيدلة في المغرب»، *مجلة التاريخ العربي*، العدد ٢٧، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ٢٠٠٣.

*-البهي محمد، إسهام جامعة القرويين في حفظ التراث الإسلامي، *دليل جامعة القرويين*، مطبعة النجاح، ١٩٩٠،

*- البايك محمد:« الإشعاع الفكري والروحي للقرويين على منطقة سوس بالمغرب الأقصى»، *مجلة القرويين*، العدد الثامن، سنة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

*-تاوشيخت لحسن، « فهارس مخطوط المكتبة الوطنية للمملكة المغربية، فهرس محمد بن الحسن الحجوي نموذجا»، *مجلة المناهل*، العدد٩٣/٩٤، ٢٠١٢.

*- جلاب حسن، «جامعة القرويين وأفاق المستقبل»، *مجلة جامعة القرويين*، العدد الحادي عشر، ١٤١٩ه/١٩٩٨م.

*- السائح حسن: «عرض موجز عن القرويين ماضيها و حاضرها »، *مجلة كلية الشريعة*، العدد ٣ جمادى الثانية ١٣٩٨هـ، مايو ١٩٧٨.

*- العلوي بنصر عبد الله:« العلوم التطبيقية في جامعة القرويين»، *مجلة القرويين*، العدد ١١، السنة ١٩٩٨.

*- لاندو روم: «جامعة القرويين بفاس، تعريب محمد الخطيب»، *مجلة دعوة الحق*، العدد الأول، السنة الثانية، ربيع الأول ١٣٧٨ شتنبر ١٩٥٨.

*- محيي الدين عبد الحميد، « الإشعاع العلمي في القرويين جامعا وجامعة»، *مجلة دعوة الحق*، العدد

٣٦٤، السنة الثالثة والأربعون، ذي الحجة ١٤٢٢، فبراير ٢٠٠٢.

*- «رسائل علال الفاسي»، ***مجلة دار النيابة***، العدد السابع، السنة الثانية، صيف 1985

٣- الندوات

*- التازي عبد الهادي، « تاريخ جامعة القرويين المعماري والفكري»، ***في أعمال ندوة*** **جامعة القرويين وآفاق إشعاعها الديني والثقافي**، سنة ١٩٩٦.

*-الدباغ محمد عبد العزيز، خزانة القرويين وأثرها في حفظ التراث الإسلامي، في أعمال جامعة القرويين وآفاق إشعاعها الديني والثقافي، **ندوة *تكريمية للأستاذ العميد العلامة عبد الوهاب التازي سعود***، أبحاث وأعلام، ١٩٩٦.

*- العيادي محمد، « دور جامع القرويين في تكوين الشخصية الثقافية المغربية التقليدية»، **محطات** في تاريخ المغرب الفكري والديني، في أعمال مجموعة الأبحاث في التاريخ الديني، سلسلة ندوات ومناظرات، جامعة الحسن الثاني، عين الشق الدار البيضاء، مطبعة فضالة، المحمدية، ١٩٩٦.

*- جامعة القرويين ملحق، في أعمال جامعة القرويين وآفاق إشعاعها الديني والثقافي، ***في أعمال ندوة تكريمية للأستاذ العميد العلامة عبد الوهاب التازي سعود***، أبحاث وأعلام، ١٩٩٦.

*- المعمار المبني بالتراب في حوض البحر الأبيض المتوسط، ***في أعمال ندوة***، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ١٩٩٩.

٤- الجرائد

*-محمد بن عبد الله، « جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا المؤتمر السادس بفاس»، ***جريدة البصائر الجزائرية***، ٢٨ غشت ١٩٣٦.

*-العروسني لطيفة، «خزانة القرويين في فاس المغربية تصمد في وجه التاريخ.. وعمليات السرقة»، ***جريدة الشرق الأوسط***، ٣ نوفمبر، ٢٠٠٤، العدد ٩٤٧٢.

1- Archives Diplomatiques de Nantes

*- Archives Diplomatiques de Nantes / 1MA/ 200 / 64٤: Etudiant de Karaouiyine voici la voie que tu dois suivre, « ***Vie Karaouiyine de avant et après le Colonialisme, 9 Mai 1951*** ».

*-ADN / 1MA/ 200 / 64٤: Etudiant de Karaouiyine voici la voie que tu dois suivre, « ***Vie Karaouiyine de avant et après le Colonialisme, 9 Mai 1951*** ».

*-A D N / 1MA/ 200 / 643: P/5 b. Karaouiyine. Historique. Notes sur la Constitution et Fonctionnement de Karaouiyine, «***Notes sur Karaouiyine de Paul Marty, 30 Décembre 1921***».

*-A D N / 1MA/ 300 / 109: T-I-5-2, Enseignement Musulman, Professeur de Karaouiyine et Ouléma de Fès, années 1912-1930, «***La Lettre du Ministre Chérifien de la Justice et du Culte Bouchaib Doukkali , à Sidi Ahmed Bel Khayat Président du Conseil de Perfectionnement de Karaouiyine, 17 Janvier 1916***».

*-A D N / 1MA/ 300 / 109: T-I-5-2, Enseignement Musulman, Professeur de Karaouiyine et Ouléma de Fès, années 1912-1930, « ***Dahir Chérifien nommant sidi Mohammed Ben Abdelkader Ben Souda Prédicateur de Sidi Ahmed Chaoui, 28 Juillet 1916***».

*- A D N / 1MA/ 300 / 109: T-I-5-2, Enseignement Musulman, Professeur de Karaouiyine et Ouléma de Fès, années 1912-1930, «***La Lettre du M. Bel, Délégué à l'Organisation et du Contrôle de l'Enseignement dans les Régions de Fès et de Meknès, 17 Janvier 1916*** ».

*-ADN / 1MA/ 200 / 643: P/5 b. Enseignement Supérieur Musulman Karaouiyine, «***Les Oulémas du Maroc***».

*-A D N / 1MA/ ٢٠٠ / ٦٤٥/p/5: E. Sup. Man. Réforme et Réorganisation de Karaouiyine «***Rapport sur Qaraouiyine, 23 Juillet, 1943***»

*-ADN / 1MA/ 200 / 643: P/5 b. Karaouiyine. Historique. Notes sur la Constitution et Fonctionnement de Karaouiyine, « ***L'université de Qaraouiyine, 1925*** ».

*-ADN / 1MA/ 200 / 643: Rapport Annuel sur le Fonctionnement du Commissariat du Gouvernement chérifien et du contrôle des Juridiction Chérifiennes et des Habous, pendant l'année 1954, «***L'Université de Karaouiyine, Effectifs des Années Scolaires 1949- 1955, Tableau Général*** »,

*-ADN / 1MA/ 200 / 643: Discipline de l'Université de Karaouiyine, «***Note Sur l'Université Musulman de Karaouiyine Présenté par Paul Marty, Rabat, 19 Mars 1922 »***.

*-ADN / 1MA/ 200 / 644: Karaouiyine, Article de Presse, «***La Sollicitude de Sa Majesté le Sultan envers l'Université de Qaraouiyine, Editorial paru du Maghrib, 9 Mai 1940».***

*-ADN / 1MA/ 200 / 643: L'enseignement Privé Indigène, ***« Les Ecoles Coraniques rénovées Présenté par Paul Marty, 13 Janvier 1923».***

*-ADN / 1MA/ 200 / 643: L'Enseignement Privé Indigène, ***« Les Ecoles Coraniques rénovées Présenté par Paul Marty, 13 Janvier 1923***».

*-ADN / 1MA/ 200 / 643: Activité Politique des Professeurs de Karaouiyine, ***«Cabinet Civil, Service Général de l'information télégramme de presse a l'Arrivée, 28 Juillet 1950 »***.

*-ADN / 1MA/ 200 / 64 :٤Des Etudiants de Jamaa Zitouna, ***«La Lettre des étudiants de l'université tunisienne de Zitouna, à l'étudiant Karaouiyine ,2 Mai 1950 »***.

*-ADN / 1MA/ 200 / 64٤: Grève des Etudiants de Jamaa Zitouna, ***«Le Général d'haute ville Chef de la Région de Marrakech, à Monsieur le Directeur de l'Intérieur (Section Politique), à Rabat, Marrakech, 17 Mai 1950 »***.

*-ADN / 1MA/ 200 / 643: Etudiants Algériens à Qaraouiyine, «***Le Général Laparra Chef de la Région de Fès, à Monsieur le Chef du Secrétariat Politique à Rabat, Fès 14 Mai 1947*** »***.***

*-ADN / 1MA/ 200 / 643: Etudiants Sénégalais à Karaouiyine, ***«Le Contrôleur Civil, Délégué aux Affaires Urbaines de Fès, à Monsieur le Général, Chef de la Région de Fès, 1 Mars 1952 »***.

2- Ouvrages

*- Guiraud Amédée: ***La justice chérifienne***, ses origines, son fonctionnement, son organisation future, Recueil Sirey, Paris, 1930.

*- Hardy George: ***Le problème scolaire au Maroc***, conférence faite au cours de perfectionnement de Meknès, Casablanca, 1920.

*- Henriette Celarié: ***Un mois au Maroc***, Librairie Hachette, Paris, 1923.

*- Hoag D. John, Architecture Islamique. Paris, 1982.

*- Holtz Louis: ***Traité de législation marocaine, droit public et droit privé du protectorat***, Ed. Des Juris-Classeurs, Paris, 1914.

*- Lahbabi Mohammed: ***Le Gouvernement Marocain à l'aube du XXè siècle***, Edition Technique Nord-Afriques, Rabat, 1958.

*- Marty Paul: ***Le Maroc de demain***, Comité de l'Afrique Français, 1925.

*-Maslow Boris , Les mosquées de Fès et du Nord du Maroc , de l' Institut des Hautes Etudes Marocaines TXX, Paris, 1937.

*- Metlassi Mohamed, Fès, la Ville Essentielle, ACR, 2003.

*- Le Tourneau Roger: ***Evolution politique de l'Afrique du Nord Musulmane 1920 - 1961***, Armande Colin, Paris, 1961.

*- Péretié A: ***Les Médersas de Fès***, Archives Marocains Publication de la Mission Scientifique du Maroc, Volume XVIII, Editeur Ernest Leroux, Paris, 1912.

* Ricard P, Pour comprendre l'art musulman dans l'Afrique du Nord et en Espagne, Librairie Hachette, Paris, 1924,

*- Rivet Daniel: ***Lyautey et l'institution du protectorat française au Maroc 1912 – 1925***, l'Harmattan, Paris, 1988, T.1.2.

*-Roger Gaudefroy, Demombynés: ***L'œuvre français en matière d'enseignement au Maroc***, Librairie. Orientaliste, 1928.

*-Terrasse Henri, La Mosquée Al -Qarawiyin à Fès Archéologie Méditerranéenne, III, Klincksieck, Paris,1968.

3- Articles

*- Kahhak Abdelkader: « Un diplôme de médecin marocain à Fès en 1832», ***Revue de l'occident musulman et de la méditerranée***, n°7, 1970.

*- المواقع الالكترونية

- لخضر عواريب: **جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية ١٩٢٧-١٩٥٥**، بحث لنيل شهادة الماجستر في التاريخ الحديث والمعاصر سنة ٢٠٠٦-٢٠٠٧، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر.ص.١٢٠. الموقع الالكتروني:

193.194.83.98/Jspui/Bitstream/1635/9264/1/AOUARIB LKHDAR. PDF.

- لخضر عواريب: جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا وعلاقتها بالتيار الاستقلالي في الجزائر ١٩٢٧-١٩٥٥، ***مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية***، الجزائر، العدد ٢٤ يونيو ٢٠١٦، صص. ٢٣٧-٢٣٨.

https://ar.wikipedia.org.

التصوّف والمتصوّفة في مكّة خلال الفترة الإسلاميّة الوسيطة

Sufism and Sufis in Mecca during the medieval Islamic period

د. جمال عبدولي
المعهد التّحضيري للدّراسات الأدبيّة والعلوم الإنسانيّة
بتونس- جامعة تونس

ملخّص

عرفت مكّة كغيرها من حواضر العالم الإسلامي الوسيط ظهورعقيدة التصوّف، التي ما لبثت أن شهدت انتشارا كبيرا وإقبالا واسعا، مستفيدة في ذلك من ظاهرة المجاورة، التي شكّلت الإطار الملائم لانتعاش تيّار التصوّف بهذه المدينة وهو ما مكّن بدوره هذه الظّاهرة الدّينيّة والثّقافيّة اللافتة من أن تتبوّأ آفاقا أرحب داخل المشهد الاجتماعي المكّي خلال هذه المرحلة من تاريخه. كما كان ظهور الرّباطات والزّوايا الواسع بالبلد الحرام طوال المرحلة التّاريخيّة المشار إليها قد أسهم بشكل كبير في أن تكون هذه المدينة المقدّسة ورمز الإسلام الرّسمي أحد مراكز التصوّف النّشيطة في العالم الإسلامي الوسيط، لأنّ هذه المؤسّسات والهياكل مكّنت من استقطاب الشّيوخ والمريدين من مختلف أنحاء البلاد الإسلاميّة بحثا عن التّعبئة الرّوحيّة والمعرفيّة. وكنتيجة لكلّ ذلك، كان لا بدّ لهذا التيّار الثّقافي الدّيني أن يعرف كثيرا من التطوّر والنّضج وذلك حين استطاع أن يحتلّ له مكانة متميّزة ضمن المنظومة المعرفيّة الرّائجة بمكّة خلال هذه المرحلة من تاريخها وينجح كثير من المتصوّفة تبعا لذلك في تكريس خطابهم داخل المشهد الاجتماعي المكّي والظّفر بقدر ذي بال من المصداقيّة والنّفوذ للتدخّل في شؤون المجتمع الحسّاسة وإن ظلّت فئة من أتباع هذا المذهب منبوذة ومرفوضة من المجتمع المكّي، بعد أن حادت عن نهج أهل الطّريق وتأكّد انخراطها في منطق الغلوّ والشّعوذة وسلوك مسلك البدع والتّغرير بالنّاس.

الكلمات المفاتيح: تصوّف، مكّة، تاريخ، رباطات، زوايا.

Abstract

Mecca, like other cities of the medieval Islamic world, witnessed the rise of Sufism doctrine which rapidly spread and was widely adopted. It benefited from the phenomenon of neighborhood (Al-Mujawara) which was the suitable frame for the revival of Sufism trend in this city, and which itself helped this noticeable religious and cultural phenomenon to enjoy larger horizons in the social scene in the forbidden land during this period of its history. In addition, the vast appearance of Ribats and Zawiyas in Mecca during the aforementioned period largely contributed to the fact that this holy city and the official symbol of Islam be one of the active centers of Sufism in the medieval Islamic world because these institutions managed to attract Sheiks and disciples from different Islamic world in search for spiritual and cognitive filling up. As a result for all that, this cultural and religious trend had to enjoy much evolution and maturity as it could have an outstanding status within the cognitive system spread in Mecca in this period of its history. Hence, many Sufis succeeded in carving their speech in Mecca social scene and gaining high credibility and authority to intervene in social critical affairs of people in Mecca despite the fact that some of the followers of such a doctrine remained outcast as they strayed from the path and engaged in extremism and witchcraft.

Keywords Sufism, Sufis, Mecca, Ribats, Zawiyas.

توطئة :

لقد كانت للمكانة الرّوحيّة العالية والمتميّزة، التي حظيت بها مكّة منذ ظهور الإسلام أهمّيّة خاصّة في نفوس المسلمين، فهي محجّهم وقبلتهم، لذلك اتّجهوا إليها بأفئدتهم على اختلاف مللهم ونحلهم. وقد تجلّت تلك الأهمّيّة بالخصوص في استقطاب هذه المدينة ذات الشّخصيّة الدّينيّة الهائلة لجمهور غير قليل من النّسّاك المتعبّدين والزهّاد، الذين تواردوا إليها من مختلف أرجاء العالم الإسلامي طلبا للسّكينة والصّفاء الرّوحي، مؤثرين الانقطاع للعبادة والتبتّل بجوار البيت الحرام، بعيدا عن ضجيج الحياة وصخبها. وفي هذا المناخ الرّوحي الباعث على الإغراق في التنسّك والعزلة وترك الخلطة، نشأت بمكّة ما عرف في التّاريخ الإسلامي بظاهرة التصوّف، التي ما لبثت أن شهدت انتشارا كبيرا وإقبالا واسعا، مشكّلة على امتداد حيّز كبير من الفترة الإسلاميّة الوسيطة رافدا من الرّوافد الثّقافيّة البارزة، التي أسهمت بفاعليّة في إثراء المسيرة الحضاريّة لهذا البلد. فكيف نشأت الظّاهرة الصّوفيّة وانتشرت بمكّة؟ وما هي أبرز مظاهرها وتجلّياتها؟ ثمّ ما هو موقع المتصوّفة من المجتمع المكّي طوال هذه المرحلة من تاريخه وما هي آثارهم فيه؟

I- ظاهرة المجاورة وأثرها في نشأة تيّار التصوّف وانتشاره بمكّة :

يرجع أصل المجاورة (١) بمكّة إلى ما جاء في الأثر من فضل هذه المدينة المقدّسة والإقامة بها(٢)، فقد روي عن النّبي محمّد(ص) وهو يخطب بمكّة قوله فيها:"والله إنّك لخير أرض الله، وأحبّ أرض الله إلى الله، ولو لا أنّي أخرجت منك ما خرجت". أو قوله أيضا : "ما أطيبك من بلد وأحبّك إليّ، ولولا قومي ما أخرجوني منك ما سكنت غيرك "(٣). وقد روي عن عائشة

---

(١) المجاورة: أصلها في اللّغة جاوره مجاورة وجوار، أيّ ساكنه ولاصقه في المسكن، وجاور بالمسجد أيّ اعتكف به، ويقال جاور بمكّة أو بالمدينة أيّ أقام بهما. ابن منظور (أبو الفضل جمال الدّين)، **لسان العرب المحيط**، دار صادر للطّباعة والنّشر، بيروت ٢٠٠٠م. ج٣ ص ٢٣٨. الزّيلعي (أحمد عمر)، **مكّة وعلاقاتها الخارجيّة**، جامعة الملك سعود، الرّياض، ١٤٠١هـ/١٩٨١م. ص١٣٧. العبيكان (طرفة عبد العزيز)، **الحياة العلميّة والاجتماعيّة في مكّة في القرنين السّابع والثّامن للهجرة**، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنيّة، الرّياض ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م. ص ١٤٣.

(٢) الأزرقي (أبو الوليد محمّد)، أخبار مكّة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي الصّالح ملحسن، الطّبعة الثّانية، مطابع دار الثّقافة، مكّة المكرّمة، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.ج ٢ ص١٥٥. الزّيلعي، المرجع نفسه، ص١٣٧. العبيكان، المرجع نفسه، صص ١٤٣-١٤٤

(٣) التّرمذي (محمّد بن عيسى)، **الجامع الصّحيح المعروف بسنن التّرمذي** (باب فضل مكّة)، تحقيق إبراهيم عطوة، مطبعة =

قولها: "لولا الهجرة لسكنت مكّة، إنّي لم أر السّماء بمكان قطّ أقرب إلى الأرض منها بمكّة ولم يطمئنّ قلبي قطّ ما اطمأنّ بمكّة، ولم أر القمر بمكان أحسن منه بمكّة"(١). كما كان بلال بن رباح من شدّة شوقه إلى البلد الحرام يرفع عقيرته بالصيّاح ويقول: "اللّهم العن شيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، وأميّة بن خلف، كما أخرجونا من مكّة"(٢). كما ينسب إلى بلال شعر نظمه شوقا إلى مكّة جاء فيـه:

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلة بفـخّ وحولي أذخر وجليل

وهل أردنّ يوما مياه مجنّة وهل تبدونّ لي شامة وطفيـل ؟(٣)

وبعد وفاة النّبي (ص) جاور بمكّة عدد كبير من صحابته كان على رأسهم عبد الله بن عمر بن الخطّاب وجابر بن عبد الله(٤). كما جاور بها عبد الله بن عبّاس فترة ولم يتركها إلاّ بعد أن ضيّق عليه عبد الله بن الزّبير(٥)، وقد أثر عن ابن عبّاس قوله: "أقم بمكّة وإن أكلت بها العظاة يعني السّمر"(٦). وقد استحبّ المجاورة بمكّة كثير من العلماء منهم الشّافعي وأبو يوسف ومحمّد بن الحسن صاحبا أبي حنيفة، وعبد الرّحمان بن القاسم العتقي المصري، صاحب مالك(٧)، والمنسوب إليه قوله :"جوار مكّة ممّا يتقرّب به إلى الله، كالرّباط والصّلاة"(٨). وإذا كان أبو حنيفة قد كره المجاورة بمكّة خوفا من "الملل، وقلّة الاحترام،

=

الحلبي، القاهرة ١٣٨٠هـ/١٩٦٥م. ج ٥ ص ٧٢٢ العبيكان، **المرجع نفسه**، ص ١٤٤.

(١) الأزرقي، **المصدر نفسه**، ج ٢ ص ١٥٣.

(٢) **المصدر نفسه**، ج ٢ ص ١٥٤.

(٣) الفاسي (تقيّ الدّين)، **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**، تحقيق عبد الحميد العدوي وهشام عبد العزيز عطا تحت إشراف سعيد بعد الفتّاح عاشور، مكّة المكرّمة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م. ج١ ص ١٧٦.

(٤) **المصدر نفسه**، ج ١ ص ١٧٦.

(٥) **المصدر نفسه**، ج ١ ص ١٧٥.

(٦) الفاسي، **المصدر نفسه**، ج ١ ص ١٧٥ . الزّيلعي، **المرجع السّابق**، ص ١٣٨.

(٧) ابن قتيبة (أبو محمّد عبد الله)، **عيون الأخبار**، القاهرة (د. ت). ج١ صص ٢١٩، ٣٥٦. الفاسي، **المصدر نفسه**، ج١ ص ١٧٥. الزّيلعي، **المرجع السّابق**، ص ١٣٨. العبيكان، **المرجع نفسه**، ص ١٤٤.

Massignon (L), *Essai sur les origines du lexique technique de la mystique musulmane*, Librairie Philosophique, Paris 1954. pp 164 –165, 171.

(٨) الفاسي، **المصدر نفسه**، ج ١ ص ١٧٥.

لمداومة الأنس بالمكان، وخوف ارتكاب ذنب هنالك وتهييج الشّوق بسبب الفراق"(١) ، فإنّ أحمد بن حنبل قد استحبّها، كما يفهم ذلك من قوله: "ليت أنّي الآن مجاور بمكّة"(٢). وذكر النّووي أنّ المختار استحباب المجاورة بمكّة، معلّقا على ذلك بقوله:" وأمّا من استحبّها فلما فيها من تضاعف الحسنات والطّاعات بمكّة، وقد جاور بها ممّن يقتدى به من سلف الأمّة وخلفها خلائق لا يحصون..." (٣).

والمتأمّل في الأصول الجغرافيّة للمجاورين بمكّة يلاحظ أنّهم لم يكونوا من البلاد القريبة والمجاورة فحسب، بل كانوا أيضا من أقاصي أقطار العالم الإسلامي مثل بلاد المغرب والأندلس ومصر والشّام والعراق(٤)، غير أنّه قلّما جاور اليمنيّون بمكّة على الرّغم من التردّد المستمرّ لمتصوّفة اليمن على البلد الحرام(٥). وكان أغلب هؤلاء المجاورين من الزهّاد والمنقطعين(٦)، أمّا مدّة المجاورة فلم تكن محدّدة فقد تطول أو تقصر تبعا لراحة المجاور والظّروف المحيطة بإقامته، فإذا كان بعضهم لم تزد مدّة مجاورته على أربع سنوات(٧)، فإنّ البعض الآخر منهم قد امتدّت بهم الإقامة إلى خمسين سنة(٨)، بل إنّ معظم

---

(١) **المكان نفسه.**

(٢) **المكان نفسه.**

(٣) **المكان نفسه.**

(٤) الفاسي (تقيّ الدين)، **العقد الثّمين في تاريخ البلد الأمين**، تحقيق فؤاد سيّد، القاهرة (د.ت). ج ٤ ص ٤٨٠. العبيكان، **المرجع نفسه**، ص ١٤٤.

(٥) الفاسي، **المصدر نفسه**، ج ٤ ص٤٨٠. الزّيلعي، **المرجع السّابق**، ص ١٣٨. أبو جبلة (عامر جاد الله)، "الصّلات =

= العلميّة بين الحجاز واليمن (٤٠٠-٧٠٠هـ/ ١٠٠٩-١٣٠٠م)"، **دراسات تاريخ الجزيرة العربيّة من القرن الخامس حتّى نهاية القرن السّابع الهجري**، الكتّاب السّادس، صص ٢٦٣- ٢٨٨. السّنيدي (عبد العزيز بن راشد)،"المجاورون في مكّة المكرّمة وأثرهم في الحياة العلميّة خلال الفترة من ٥٧٠-٦٦٠هـ/١١٧٤- ١٢٦١م"، بحث مقدّم إلى **ندوة مكّة المكرّمة عاصمة ثقافيّة** ١٤٢٦هـ. ص٢٧.

(٦) الزّيلعي، **المرجع نفسه**، ص ١٣٨. العبيكان، **المرجع السّابق**، ص ١٤٤.

(٧) الفاسي، **العقد الثّمين**، ج ٥ ص ٥٠٧ . ابن خلكّان (شمس الدّين أحمد)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان**، تحقيق د. إحسان عبّاس، دار الثّقافة، بيروت ١٩٦٨-١٩٧٢م. ج ٣ ص ١٦٩. العبيكان، **المرجع نفسه**، ص ١٤٤.

(٨) الفاسي، **المصدر نفسه**، ج٦ ص ١٤.

المجاورين قد فضّلوا البقاء بمكّة حتّى أدركهم بها الموت(١).

ولمّا كانت الغاية القصوى من المجاورة بمكّة هي الانقطاع للعبادة والتنسّك بجوار البيت الحرام، فقد كان أغلب المجاورين من النسّاك والعبّاد، الذين انتهجوا في عباداتهم مناهج صوفيّة تميّزهم عن بقيّة الحجيج والتزموا طرقا معيّنة تقوم على قهر النّفس وإجهادها في ذات الله(٢). وكان أغلب هؤلاء النسّاك والعبّاد المجاورين بمكّة على حدّ قول صاحب "الرّسالة القشيريّة" "من خواصّ أهل السنّة المراعون أنفسهم مع الله تعالى، الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة" (٣).

وقد لعبت مناسبة حضور مناسك الحجّ دورا بليغا في إثراء التّجربة الصّوفيّة بمكّة وترسيخ الوجهة الصّوفيّة لدى العديد من النسّاك والمتصوّفة الوافدين إليها من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، فإضافة إلى إتمام الشّعائر والطّقوس المتّصلة بفريضة الحجّ والتمتّع بالجوّ الرّوحاني السّائد بالبلد الحرام، كان اللّقاء هناك فرصة ثمينة لتلاقح الأفكار والتّجارب وتبادل الآراء بين مختلف الحجيج(٤). ويبقى حضور المتصوّفة الأكثر أهمّية طوال هذه المناسبة، فقد كانوا يهبّون على اختلاف مشاربهم وأذواقهم إلى مهبط الوحي يستقرئون معالم الرّسالة ويستنطقون آثار السّيرة النّبويّة، كما أنّ كثيرا منهم قد آثر أن

(١) الفاسي، **المصدر نفسه**، ج١ ص ٤٥٦. الخطيب البغدادي (أبو بكر بن علي)، **تاريخ بغداد**، دار الكتّاب العربي، بيروت (د.ت).ج ٣ ص ٧٤.

(٢) الزّيلعي، **المرجع السّابق**، ص ١٣٩.

Bel (A), *L'Islam mystique,* Librairie d'Amérique et d'Orient, Paris 1988.34-36. Nicholson (R.A), *The Mystics of Islam,* Schocken Books, New York 1975. p58.

Massignon (L), art "Tasawwuf", *EI₂*, vol. X, pp 337 -338.

(٣) القشيري (أبو القاسم عبد الكريم)، **الرّسالة القشيريّة في علم التصوّف**، القاهرة ١٩٧٢م. ص ٨.

(٤) غرميني (عبد السّلام)، **المدارس الصّوفيّة المغربيّة والأندلسيّة في القرن السّادس الهجري**، الطّبعة الأولى، دار الرّشاد الحديثة، الدّار البيضاء ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.ص.٤٥. عيسى (لطفي)، **مغرب المتصوّفة** (الانعكاسات السّياسيّة والحراك الاجتماعي من القرن ١٠م إلى ١٧م)، مركز النّشر الجامعي وكلّيّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة بتونس، تونس ٢٠٠٥م. صص١٠٩-١١٢. السّنيدي، "المجاورون في مكّة المكرّمة وأثرهم في الحياة العلميّة..."، **مقال سابق**، صص ٤٣-٤٤. محّد خلف(محمود)،""الزهّاد والمتصوّفة في بيت الله الحرام خلال القرون الأربعة الأولى للهجرة""، **المجلة العربيّة للدّراسات التّاريخيّة**، السّنة الثّانية، العدد الثّاني، ٢٠٢١م. ص٢٤١.

يمكث بمكّة وينقطع للعبادة ويساهم من جهته في إثراء التّجربة الصّوفيّة بهذا البلد(١).

والجدير بالملاحظة أنّ للمتصوّفة والنسّاك بمكّة عرف خاصّ دون بقيّة الزوّار من الحجيج يقضي بزيادة المكوث بالبلد الحرام، بعد قضاء مناسك الحجّ، وذلك في إطار ما كان يعرف بظاهرة المجاورة(٢). وفي الواقع لم تكن هذه المجاورة لتخلو من تأثير كبير في الحركة الصّوفيّة بمكّة، لاسيّما إذا علمنا أنّ أكثر متصوّفة العالم الإسلامي خلال ذلك العهد كانوا قد مرّوا بمكّة واستوطنها بعضهم حقبة لا بأس بها(٣). وفي المقابل كان لا بدّ لهؤلاء النسّاك والعبّاد القادمين إلى مكّة من مختلف البلاد الإسلاميّة من التأثّر بما يروّج بالبلد الحرام من أفكار ونظريّات والإنصات إلى كثير من الاتّجاهات الصّوفيّة، التي كانت تزخر بها هذه المدينة، فكانوا يعودون إلى ديارهم وهم أكثر قابليّة للتأمّل والتدبّر، بل إنّ بعضهم عاد إلى موطنه صوفيّا صرفا والبعض الآخر رجع إليه زاهدا متنسّكا(٤). وقد حفظت لنا كتب التّراث الإسلامي أسماء عديدة لرجال كانوا من روّاد الحركة الصّوفيّة بمكّة، سنحاول التعرّف على نماذج منهم مع ذكر بعض من تجاربهم والتعرّض لبعض أفكارهم ومآثرهم.

ويعدّ أهل المغرب عامّة وأهل إفريقيّة على وجه الخصوص من أكثر المسلمين إقبالا على المجاورة بمكّة منذ فترة مبكّرة، وقد رصدت لنا كتب الطّبقات والتّراجم المغربيّة والأندلسيّة أسماء كثير من الرّجال والنّساء الزهّاد والمتصوّفة، الذين آثروا المجاورة بمكّة إلى آخر رمق في حياتهم وامتنعوا عن العودة إلى أوطانهم وذويهم بحثا عن التّعبئة الرّوحيّة. ومن أشهر من جاور بمكّة من أهل إفريقيّة خلال القرن الثّالث الهجري/ التّاسع الميلادي أبو عقال بن غلبون بن الحسن بن غلبون المنتسب إلى أسرة بني الأغلب أمراء القيروان والمتوفّى بمكّة سنة ٢٩١هـ/٩٠٤م(٥). وكان أبو

---

(١) السّنيدي، **المقال نفسه**، ص٤٦.

(٢) **المكان نفسه**.

(٣) السّنيدي، **المكان نفسه**. محمّد خلف، ""الزهّاد والمتصوّفة في بيت الله الحرام..."، **مقال سابق**، ص ٢١٨.

(٤) غرميني، **المكان نفسه**. البيلي (محمّد بركات)، **الزهّاد والمتصوّفة في بلاد المغرب والأندلس حتّى القرن الخامس الهجري**، دار النّهضة العربيّة، القاهرة١٩٩٩م. ص ٩٥. أبو جبلة،" الصّلات العلميّة بين الحجاز واليمن..."، **مقال سابق**، صص٢٧٢- ٢٧٣،٢٨٠.

(٥) المالكي (أبو بكر)، **رياض النّفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقيّة وزهّادهم ونسّاكهم**، تحقيق بشير البكّوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨١م. ج١ص٥٢٧. الدبّاغ (أبو زيد الرّحمان)، **معالم الإيمان في معرفة أهل** =

عقال قد غادر موطنه بالقيروان وسكن مكّة حيث ترك الدّنيا ولزم السّهر وسرد الصّيام حتّى توفّي وهو ساجد خلف المقام(١). وقد ذكره صاحب "رياض النّفوس" بقوله: "كان يجرّ أذياله في الصّبا، وأطال عنانه في الهوى، منهمكا في البطالة، صاحب لهو وصبوة مع مروءة وفتوّة إلى أن تناهت حدود القضاء فشمّر وارعوى، وآثر ما يبقى على ما يفنى، فبكى وناح على ما سلف من أيّامه، وقارف من آثامه، صائما نهاره، قائما ليله، حتّى كان يضرب به المثل في عبادته"(٢). كما ترجم له صاحب "معالم الإيمان"، قائلا فيه:" نشأ أبو عقال بالقيروان في رفاهيّة عظيمة لأنّه كان من بني الأغلب ملوك إفريقيّة، فكان شديد

=

القيروان، أكمله وعلّق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنّوخي، تحقيق الدّكتور محمّد الأحمدي أبو النّور ومحمّد ماضور، تونس ١٩٩٣م،ج٢ صص٢١٤، ٢٣٠. النيّال (محمّد البهلي)، **حقيقة التصوّف في الإسلام**، تونس ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م. صص١٥٠-١٥٢. البيلي، **المرجع نفسه**، ص٩٥. الوثيق(محمّد)،"الجوار بمكّة عند أهل الغرب الإسلامي محاولة إحصائيّة وصفيّة"، بحث مقدّم إلى **ندوة مكّة المكرّمة عاصمة الثّقافة الإسلاميّة ١٤٢٦هـ.** ص٢٤١.

(١) المالكي، **المصدر نفسه**،ج١ ص ٥٢٧. الدبّاغ، **المصدر نفسه**، ج ٢ ص ٢١٧. البيلي، **المرجعة نفسه**، ص ٩٥.

(٢) المالكي، **المصدر نفسه**، ج١ص٥٢٧.

المجون، لم يكن في زمانه أشدّ مجونا منه، إلى أن تاب وارعوى وتجرّد من الدّنيا وزهد فيما يفنى، ثمّ جدّ واجتهد حتّى كان من كبار العبّاد وأفاضل الزهّاد وأربى على الجدّ والاجتهاد"(٣).

ويصوّر لنا أبو عقال التحوّل، الذي طرأ على حياته عندما عزم على الزّهد في الدّنيا وترك شهواتها، من خلال شعر نظمه في الغرض من ذلك قوله :

فجلى من القلب إظلامه
وأنور ما كان مـنه سـوادا
فألزمت نفسي مدى صبرها
وخالفـــتها في هــواها عنادا
وباينت ما كنـــت ألهو به
فأمسى وأصبح عندي سهادا
رضيت بدون الكفاية قوتا
وباللّه عن كلّ خلق عمادا(٤)

ويذكر المالكي أنّ أبا عقال عمل على استقدام أخته إلى مكّة، فلحقت به وأقامت معه تتعبّد مجتهدة في العبادة حتّى وافتها المنيّة بالبلد الحرام(٥). لكنّ صاحب "معالم الإيمان" يرى

(٣) الدبّاغ، **المصدر السّابق**، ج ٢ ص ٢١٥.

(٤) ابن الفرضي(عبد الله)، **تاريخ علماء الأندلس**، الدّار المصريّة للتّأليف والتّرجمة، القاهرة ١٩٦٦م. ص٢٢٠.

(٥) المالكي، **المصدر السّابق**، ج١ ص٥٢٧.

أنّ أخت أبي عقال لم تلحق بأخيها إلى مكّة إلاّ بعد موته، فزارت قبره ورثته ببعض شعرها حزنا عليه من ذلك قولها فيه:

ليت شعري ما الذي عاينته
بعد طول الصّوم مع نفي الوسن
مع عزوف النّفس عن أوطانها
والتخلّي عن حبيب وسكن
يا شقيقا ليس في وجدي به
علّة تمنعني من أن أجن
وكما تبلى وجوه في الثّرى فكذا
يبلى عليهم الحزن(١)

وكانت تجربة أبي عقال في الزّهد والتصوّف بمكّة قد انطوت على شيء من الطّرافة والتفرّد، ذلك أنّ الرّجل قد استطاع أن يهجر كلّ ملذّات الدّنيا وشهواتها إلاّ لذّة واحدة لم يقدر على أن يذهبها من قلبه ويصوم عنها وهي لذّة النّساء. فقد جاء في رواية لأبي بكر بن سعدون عن أبي عقال أنّه قال: "يا أبا بكر، زال من قلبي حبّ الدّنيا إلاّ حبّ النّساء إليّ". قال: "فكنت أطوف مغطّى العينين خوفا من الفتنة فإذا بامرأة خراسانيّة نظرت إليّ وأنا أطوف فقالوا لها: "هذا رجل من ملوك المغرب طلّق الدّنيا وبقي في قلبه حبّ النّساء، فقالت أنا أتزوّجه". فأرسلت إليه، فقال لها: "لا أتزوّجك حتّى تتركي الدّنيا ولا يبقى معك شيء منها مثلي" فأخبروها، فتصدّقت بما معها وتزوّجت أبا عقال، فأقام معها حتّى توفّيا فدفنا جميعا في مكّة، أبو عقال وزوجته الخراسانيّة"(٢). ومن متصوّفة الأندلس جاور بمكّة الشّيخ الزّاهد عبد الله بن عبد السّلام القرطبي المعروف بابن قلمون والمتوفّى في حدود سنة ٣٠٨هـ/٩١٥م(٣). وقد ذكره ابن الفرضي بأنّه "انقطع إلى الله عزّ وجلّ ورفض الدّنيا وهرب بنفسه ورحل إلى المشرق فقابل عبّاد المشرق وجاور بمكّة فلم يزل على منهج الأبدال حتّى لقي الله"(٤).

ومن شيوخ التصوّف، الذين جاوروا بمكّة من أهل العراق، محمّد بن علي بن جعفر البغدادي المكنّى بأبي بكر(٥)، وكان قد اختار المقام بمكّة حتّى وفاته سنة ٣٢٢هـ/ ٩٢٩م(٦). وقد ذكره الخطيب البغدادي بأنّه

(١) الدبّاغ، المصدر السّابق، ج١صص٥٣٧ -٥٣٨، ج٢ ص ٢٢٧.

(٢) ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج ٢ صص ٢١٧، ٢١٨.

(٣) المكان نفسه.

(٤) المالكي، المصدر السّابق، ج ١ ص ٥٣٥. الدبّاغ، المصدر نفسه، ج ٢ ص ٢٢٨-٢٢٩.

(٥) الفاسي، العقد الثّمين، ج ٣ ص ١٤٩ .

(٦) المصدر نفسه، ج ٣ ص ١٤٩.

كان "من مشايخ الصّوفيّة، سكن مكّة، وكان فاضلا نبيلا حسن الشّارة" (١)، وكان يلقّب بسراج الحرم(٢). كما ترجم له السّلمي في كتابه "طبقات الصّوفيّة"(٣) ، وذكره الفاسي بأنّه كان يكثر من قراءة القرآن أثناء الطّواف حتّى أنّه ختمه اثنتا عشر ألف ختمة(٤)، وكان يردّد قوله :"من طلب الرّاحة بالرّاحة عدم الرّاحة"(٥) كما جاور بمكّة المسمّى أبو الحسن علي بن محمّد البغدادي المعروف بالمزين(٦)، وهو بغدادي الأصل قدم إلى مكّة فجاور بها حتّى وفاته سنة ٣٢٨هـ/٩٣٥م، وقد كانت له صحبة مع الشّيخ أبي محمّد سهل بن عبد الله التّستري أحد أئمّة

(١) الخطيب البغدادي، **المصدر السّابق**، ج ٣ ص ٧٤.

(٢) الفاسي، **العقد الثّمين**، ج ٣ ص١٤٩. السّلمي (أبو عبد الرّحمان)، **طبقات الصّوفيّة**، ليدن١٩٦٠م. ص ٣٧٣.

(٣) السّلمي، **المصدر نفسه**، ص ٣٧٣-٣٧٧.

(٤) **المصدر نفسه**، ص ١٤٩.

(٥) **المصدر نفسه**، ص ١٤٩.

(٦) ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرّحمان)، **صفة الصّفوة**، تحقيق محمّد فاخوري، دار الوعي، حلب ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م. ج ٢ ص ١٥٠. القشيري، **المصدر السّابق**، ص ٢٩.

الصّوفيّة وعلمائهم(٧)، كما كان على صلة بالشّيخ أبي القاسم الجنيد بن محمّد الشّهير بشيخ مذهب التصوّف(٨).

وقد اشتهر أبو الحسن البغدادي بالورع والتّقوى والاجتهاد في أمور العبادة حتّى عدّ من خيرة مشايخ التصوّف بالحرم وأحسنهم حالا(٩). ومن مأثور أبي الحسن البغدادي قوله: "الذّنب بالذّنب عقوبة الذّنب والحسن بالحسنة عقوبة الحسنة(١٠)"، كما حفظ عنه قوله :"متى ما ظهرت الآخرة، فنيت فيها الدّنيا، ومتى ما ظهر ذكر الله تعالى فنيت فيه الدّنيا فيه الدّنيا والآخرة، فإذا تحقّقت الأذكار، فني العبد وذكره، وبقي المذكور بصفاته"(١١). أو قوله أيضا:"المعجب بعمله مستدرج، والمستحسن لشيء من أحواله ممكور به، والذي يظنّ موصول فهو مغرور"(١٢). ولمّا سئل عن المعرفة قال: "أن

(٧) السّلمي، **المصدر السّابق**، ص ٢٠٦. الفاسي، **العقد الثّمين**، ج ٦ ص ١٥٦ .

(٨) الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج ٧ ص ٢٤١

(٩) **المصدر نفسه**، ج ١٢ ص ٧٦٣.

(١٠) الفاسي، **العقد الثمين**، ج ٦ ص ٢٥٤.

(١١) **المصدر نفسه**، ج ٦ ص ٢٥٥.

(١٢) **المصدر نفسه**، ج ٦ ص ٢٥٥.

تعرف الله بكمال الرّبوبيّة، وتعرف نفسك بالعبوديّة وتعلم أنّ الله أوّل كلّ شيء، وبه يقوم كلّ شيء، وإليه مصير كلّ شيء، وعليه رزق كلّ شيء"(١).

أمّا أبو سعيد أحمد بن محمّد بن زياد البصري الشّهير بابن الأعرابي فقد كان إماما حافظا للحديث(٢)، روى عنه ابن خفيف وابن المقري وابن النحّاس وغيره(٣)، وكان قد نزل بمكّة مجاورا وأقام بها ناسكا متعبّدا حتّى وفاته سنة ٣٤١هـ/٩٥١م(٤). وقد ذكره السّلمي بقوله: "سكن مكّة وكان في وقته شيخ الحرم وما بها وصنّف للقوم كتبا كثيرة، صحب أبا القاسم الجنيد وعمرو بن عثمان المكّي وأبا الحسين الوري وحسن المسوحي وأبا جعفر الحفّار وأبا الفتح الحمّال وكان من جلّة مشايخهم وعلمائهم وكان عالما بإسناد الحديث، راوية ثقة"(٥). وكان ابن الأعرابي شخصا نشيطا يعمل على إذاعة أفكاره الصّوفيّة بالخطابة والكتابة(٦)، وكان يحظى بإقبال كبير من قبل المستمعين والمتطلّعين إلى تعميق تكوينهم الصّوفي وهو يلقي أفكاره ونظريّاته بالحرم المكّي(٧). ومن الآثار المنقولة عن ابن الأعرابي قوله: "مدارج العلوم بالوسائط ومدارج الحقائق بالمكاشفة"(٨). ومن تعريفه لمقامات الصّوفيّة قوله :"المعرفة كلّها الاعتراف بالجهل والتصوّف كلّه ترك الفضل والزّهد كلّه أخذ ما لا بدّ منه وإسقاط ما بقي"(٩).

ومن نيسابور جاور بمكّة محمّد بن إبراهيم النّيسابوري المتوفّى سنة ٣٤٨هـ/ ٩٥٩م(١٠)، وقد ترجم له أبو عبد الرحّان السّلمي في "طبقات الصّوفيّة" وذكر أنّه صحب جماعة من شيوخ التصوّف كالجنيد السّالف الذّكر وغيره(١١). وكان محمّد بن إبراهيم النّيسابوري قد قدم حاجّا

(١) السّلمي، **المصدر السّابق**، ص ٣٨٢ السّلمي، **المصدر السّابق**، ص ٣٨٢.

(٢) ابن تغري بردي (أبو المحاسن جمال الدّين يوسف)، **النّجوم الزّاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، المؤسّسة المصريّة العامّة للتأليف والتّرجمة والنّشر، القاهرة ١٩٦٣م، ج ٣ ص ٣٠٦

(٣) الفاسي، **العقد الثّمين**، ج ٣ ص ٣٠٦.

(٤) ابن تغري بردي، **المصدر السّابق**، ج ٣ ص ٣٠٧.

(٥) السّلمي، **المصدر السّابق**، ص ٤٤٣.

(٦) **المصدر نفسه**، ص ٤٤٦.

(٧) غرميني، **المرجع السّابق**، ص ٤٦.

(٨) السّلمي، **المصدر السّابق**، ص ٤٤٦.

(٩) **المصدر نفسه**، ص ٤٤٦.

(١٠) الفاسي، **العقد الثّمين**، ج١ صص ٤٠٨-٤٠٩.

(١١) **المصدر نفسه**، ج ١ صص٤٠٨- ٤٠٩.

إلى مكّة فاختار الإقامة بها حتّى صار شيخها المنظور إليه فيها(١)، وكان مجتهدا في العبادة حتّى أنّه حجّ زهاء ستّين حجّة(٢). وممّا روي عنه أثناء إقامته بمكّة أنّه لم يبل ولم يتغوّط في الحرم أربعين سنة(٣)، وكان يخرج كلّ يوم لعمرة خارج الحرم فيقضي حاجته ثمّ يعود(٤).

ومن قرية كركر من بلاد إفريقيّة جاور بمكّة أبو عثمان سعيد بن سلاّم المغربي الزّاهد، وكان أوحد عصره في الورع والزّهد والصّبر والعزلة(٥). وكان أبو عثمان المغربي قد رحل إلى مصر حيث التقى بشيوخها، ثمّ دخل الشّام واتّجه بعد ذلك إلى مكّة فجاور بها أكثر من عشر سنين(٦)، ثمّ انصرف إلى بغداد فأقام بها سنة ومنها اتّجه إلى نيسابور حيث ألقى عصا التّرحال وظلّ مقيما بها حتّى وفاته سنة ٣٧٣هـ/ ٩٨٤م(٧). وقد أثر عن أبي عثمان المغربي قوله في الخلوة والعزلة:" من اختار الخلوة على الصّحبة، فيجب أن يكون خاليا من جميع الأذكار، إلاّ من ذكر ربّه وخاليا من جميع الإرادات إلاّ رضى ربّه، وخاليا من مطالبة النّفس من جميع الأسباب، وإن لم يكن بهذه الصّفة، فإنّ خلوته توقعه في فتنة أو بليّة "، وفي الغنى والفقر ينسب إليه قوله: "الغنيّ الشّاكر، يكن كأبي بكر الصدّيق رضي الله عنه، شكر فقدّم ماله وآثر الله تعالى عليه، فأورثه الله غنى الدّارين وملكها"(٨). والفقير الصّابر مثل أويس القرني(٩)، ونظرائه، صبروا فيه، حتّى ظهرت لهم براهينه"(١٠). وقد

(١) **المصدر نفسه**، ج ١ص ٤٠٩.

(٢) **المصدر نفسه**، ج ١ ص٤٠٩.

(٣) **المصدر نفسه**، ج ١ ص ٤٠٩.

(٤) الزّيلعي، **المرجع السّابق**، ص ١٤. النيّال، **المرجع السّابق**، ص ٨٦-٨٧.

(٥) السّلمي، **المصدر السّابق**، ص ٥٠٥. القشيري، **المصدر السّابق**، ص ٣٢.

(٦) السّلمي، **المصدر نفسه**، ص ٥٠٥. الفاسي، **المصدر السّابق**، ج ٤ ص ٥٦٧.

(٧) السّلمي، **المصدر نفسه**، ص ٥٠٥. الخطيب البغدادي، **المصدر السّابق**، ج ١٢ ص ١١٣.

(٨) الفاسي، **العقد الثّمين**، ج ٤ ص ٥٧٠.

(٩) الفاسي، **العقد الثّمين**، ج ٤ ص ٧٦٩.

(١٠) ٧١- أويس القرني المرادي اليمني المتوفّى سنة٣٧هـ/ ٦٨٧م، أحد النسّاك والعبّاد وصحابي من الرّعيل الأوّل، كان في بداية أمره يسكن القفار، ثمّ قدم المدينة زمن خلافة عمر بن الخطّاب ومنها إلى الكوفة حيث شهد صفّين مع علي بن أبي طالب ويرجّح أنّه قتل فيها. ابن الجوزي، **صفة الصّفوة**، ج ٣ ص ٢٨. الزّركلي (خير الدّين)، **الأعلام**، القاهرة ١٣٧٣-١٣٧٨هـ/ ١٩٥٤ -١٩٥٩م. بدوي (عبد الرّحمان)، **تاريخ التّصوف الإسلامي منذ البداية حتّى نهاية القرن الثّاني** =

ذكره السّلمي بقوله: "أقام بالحرم مدّة وكان شيخها، صحب أبا علي بن الكاتب وحبيبا المغربي وأبا عمرو الزّجاجي أوحد المشايخ في طريقته ولم ير مثله في علوّ الحال وصون الوقت وصحّة الحكم بالفراسة وقوّة الهيبة "(١).

وفي حدود سنة ٣٩١هـ/١٠٠١م وفد إلى مكّة حاجّا الصّوفي أبو محمّد عبد الله بن سعيد بن لبّاج الأندلسي، فاختار المجاورة بها وأقام فيها مدّة طويلة حجّ خلالها خمسا وثلاثين حجّة وزار المدينة مع كلّ حجّة زيارتين(٢)، وكان إذا أراد قضاء حاجته أثناء فترة إقامته بمكّة خرج من الحرم إلى الحلّ(٣)، وقد ذكره الفاسي بأنّه كان "رجلا صالحا زاهدا، ولم يكن للدّنيا عنده قيمة، وكان يسرد الصّوم ويكتحل بالإثمد كثيرا، عاد إلى الأندلس سنة٤٣١هـ/١٠٤٠م وتوفّي بها في شهر رجب من سن ٤٣٦هـ/١٠٤٥م"(٤).

ومن أشهر المتصوّفة المجاورين بمكّة خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي الزّاهد أبو القاسم سعد بن علي بن محمّد بن علي بن الحسين الزّنجاني(٥)، وكان لمّا عزم على المجاورة بمكّة ألزم نفسه أكثر من عشرين عزيمة من المجاهدات والعبادات وظلّ على ذلك حتّى مات دون أن يتخلّى على عزيمة واحدة منها(٦). وكان الزّنجاني حافظا متقنا ثقة ورعا، كثير العبادات وصاحب كرامات وآيات(٧)، وكان إذا خرج إلى الحرم يخلو الطّواف فيقبّلون يده أكثر ممّا يقبّلون الحجر الأسود(٨). وقد ظلّ الزّنجاني

=
الهجري، وكالة المطبوعات، الكويت ١٩٧٨م. صص ١٤٤-١٥١. النيّال، **المرجع السّابق**، صص ٢٨-٢٩. عبدولي (جمال)، "أضواء على التّجربة الصّوفيّة ببلاد اليمن إلى نهاية القرن الثّامن الهجري/الرّابع عشر الميلادي"، مجلّة **مدارات**، مجلد VII، السّنة الثّامنة، عدد ١٣-١٤ **(عدد خاصّ بالتصوّف)**، شتاء ٢٠٠١م. ص ٢٩.

Massignon, *Essai sur les origines du lexique technique de la mystique musulmane*, p 163.

(١) السّلمي، **المصدر السابق**، ص٥٠٥.

(٢) الفاسي، **المصدر السّابق**، ج ٥ ص ١٧٠.

(٣) **المكان نفسه**.

(٤) **المكان نفسه**.

(٥) **المصدر نفسه**، ج ٤ ص ٥٣٥.

(٦) **المصدر نفسه**، ج ٤ ص ٥٣٦.

(٧) ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرّحمان)، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تحقيق محمّد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا وتصحيح نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت ١٩٩٢م. ج ٨ ص ٣٢٠.

(٨) **المكان نفسه**.

مجاورا بمكّة أربعين سنة حتّى وفاته بها خلال سنة ٤٧١هـ/١٠٧٩م(١). كما يعدّ الشّيخ الصّوفي هيّاج بن عبيد بن حسين الحطيني من أشهر من جاور بمكّة(٢)، وكان غاية في الزّهد والورع والعبادة، وقد بلغ من زهده وتعبّده "أنّه يصوم ثلاثة أيّام، ويواصل ولا يفطر إلاّ على ماء زمزم، وإذا كان آخر اليوم الثّالث، من أتاه بشيء أكله ولا يسأل عنه، وكان يعتمر في كلّ يوم ثلاثة مرّات على رجليه حافيا ... وكان يزور قبر عبد الله بن عبّاس بالطّائف كلّ سنة، يأكل بمكّة أكلة ويأكل بالطّائف أخرى ولا يدّخر شيئا لغده، ولا يملك غير ثوب واحد..." (٣). وقد استمرّ هيّاج على هذا النّهج في الزّهد والعبادة حتّى توفّي سنة ٤٧٢هـ/ ١٠٨٠م(٤).

وممّن جاور بمكّة من متصوّفة القرن السّابع الهجري/ الثّالث عشر الميلادي الشّيخ خضر بن محمّد بن علي الإربلي المتوفّى سنة

(١) الذّهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمّد)، **العبر في خبر من غبر**، تحقيق صلاح الدّين المنجّد وفؤاد سيّد، الكويت ١٩٦٠-١٩٦٥م. ج ٣ ص ٢٦٧ . الفاسي، **العقد الثّمين**، ج ٤ ص ١٠٩.

(٢) ابن تغري بردي، **المصدر السّابق**، ج ٥ ص ١٠٩.

(٣) الفاسي، **المصدر السّابق**، ج ٧ ص ٣٨٠-٣٨١.

(٤) الذّهبي، **المصدر السابق**، ج ٣ ص ٢٧٩.

٦٠٨هـ/١٢١١م، وكان قد هاجر من إربل بالعراق وجاور بمكّة حتّى صار شيخا للنسّاك والعبّاد فيها(٥). أمّا الشّيخ الصّوفي محمّد بن مطرّف الأندلسي المتوفّى سنة ٧٠٧هـ/١٣٠٧م، فكان قد جاور بمكّة زهاء ستّين سنة وكان يطوف بالبيت في اليوم واللّيلة خمسين مرّة(٦)، في حين كان الشّيخ ظهير الدّين محمّد بن عبد الله البغدادي قد جاور بمكّة طيلة أربعين سنة حتّى وافته المنيّة في غضون سنة ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م(٧). وقد تعرّض ابن بطّوطة في "رحلته" إلى عدد من شيوخ التصوّف المجاورين بالحرم المكّي خلال القرن الثّامن الهجري/ الرّابع عشر الميلادي، شأن الشّيخ عفيف الدّين عبد الله بن أسعد اليمني الشّهير باليافعي وكان كثير الطّواف أناء اللّيل وأطراف النّهار(١). أمّا الشّيخ نجم الدّين الأصفوني، فقد ترك القضاء في صعيد مصر ليجاور بمكّة حيث كان يعتمر في

(٥) ابن الفوطي (أحمد)، **تلخيص معجم الألقاب**، تحقيق مصطفى جواد، دمشق ١٩٦٢ -١٩٦٧م. ج ٣ ص ١٦٧.

(٦) ابن العماد الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحيّ)، **شذرات الذّهب في أخبار من ذهب**، المكتب التّجاري للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت (د.ت). ج ٦ صص ١٩-١٧.

(٧) **المصدر نفسه**، ج ٦ صص ١٧-١٦.

كلّ يوم من التّنعيم ويعتمر في رمضان مرّتين في اليوم(٢). كما كان الشّيخ أحمد بن أبي القاسم بن محمّد الرّصافي الأندلسي الغرناطي المتوفّى سنة ٨١٢هـ/١٤٠٩م، قد جاور بمكّة وأخذ يترقّى في درجات التصوّف حتّى آلت إليه مشيخة رباط الموفّق (٣).

ولمّا كان التصوّف بمكّة قد عدّ من المعارف الدّينيّة والعلوم الشّرعيّة، التي شغف بها النّاس فقد أقيمت بالبلد الحرام مجموعة من المدارس الخاصّة بالتّكوين الصّوفي من ذلك المدرسة المعروفة بـ"الكنباتيّة" نسبة إلى منشئها غيّاث الدّين محمّد شاه سلطان "كنباية" الهنديّة، الذي كان قد أمر ببنائها في حدود سنة ٨٦٦هـ/ ١٤٦١م، فاستؤجر للغرض منزل ملاصق للمسجد الحرام من الجهة الشّماليّة، ثمّ أزيل المسجد وأنشأت مكانه المدرسة المذكورة وهي تتكوّن من طابق أرضيّ يضمّ مجموعة من الغرف أو الخلاوي وطابق أوّل يضمّ قاعة للتّدريس وكانت حصّة الدّرس تبدأ بعد العصر وطابق ثان يضمّ مجموعة من الغرف يرجّح أنّها كانت سكنى للطّلبة وطابق ثالث خصّص لسكنى الفقراء وملحق علوي وهو عبارة عن مسكنين أحدهما لشيخ التصوّف والثّاني للنّاظر على المدرسة(٤).

وكان الأخذ بأصول علم التصوّف في البلد الحرام يتمّ بعد الدّراسة على يد شيخ من كبار شيوخ الصّوفيّة والأرجح أن يتضمّن ذلك التّكوين دراسة كتاب من كتب التصوّف المعتمدة. وبعد إتقان الطّالب أو المريد لأصول هذا العلم يلبسه الشّيخ المعلّم خرقة التصوّف وعلى هذا النّحو كان حال الشّيخ أحمد بن محمّد بن الزّين القسطلاّني، الذي أخذ علم التصوّف عن عمّتي أبيه أمة الرّحيم فاطمة وأمّ الخير عائشة

ابنتي محمّد بن أحمد القيسي ومنهما لبس خرقة التصوّف وذلك قبل أن يلبسها لمن درس على يديه أصول ومبادئ هذا العلم(٥). وكان إلباس الخرقة للطّالب أو المريد، الذي أنهى تكوينه بنجاح، يتمّ أحيانا عند الكعبة تبرّكا بها وذلك شأن الشّيخ أحمد بن محمّد التّلمساني، الذي لبس

=

(١) ابن بطّوطة (محمّد)، **تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب والأسفار**، بيروت ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.ج١صص١٧٢-١٧٣.

(٢) **المصدر نفسه**،ج١ص١٧٣.

(٣) السّخاوي (شمس الدين محمد)، **الضّوء اللاّمع لأهل القرن التّاسع**، بيروت (د.ت)ج٢صص٦٣ -٦٤ .

(٤) ابن فهد، (النّجم عمر)، **إتحاف الورى بأخبار أمّ القرى**، تحقيق فيهم شلتوت، الطّبعة، القاهرة ١٤٤٠هـ/١٩٨٣م. ج٤ص٤٣٢. النّهروالي (قطب الدّين الحنفي)، **البرق اليماني في الفتح العثماني**، دار اليمامة، الرّياض ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧م.ص١٢. معروف (ناجي)، **المدارس الشّرابيّة في بغداد وواسط ومكّة**، القاهرة ١٣٩٧ هـ. ص٣٦٤.

(٥) الفاسي، **العقد الثّمين**، ج٣ص١١٠.

الخرقة من القاضي أبي الفضل النّويري بجوار البيت العتيق(١). والباس الخرقة لا ينسب إلى الشّيخ، الذي ألبسها فقط، بل إلى سلسلة من مشايخ الصّوفيّة السّابقين وكانوا يتناقلون تلك السّلسلة ويسمّونها "السّند"(٢). وكان مشايخ الصّوفيّة في مكّة مثل نظرائهم في بقيّة الأقطار الإسلاميّة الأخرى يلبسون زيّا مميّزا لهم وهو لباس الدّلق وهو عبارة عن ثوب متّسع بغير تفريج له فتحة على الكتف(٣)، كما كانوا يلبسون أيضا عمامة يرخون لها ذؤابة لطيفة على الأذن اليسرى تدعى "العذبة"(٤).

(١) **المصدر نفسه**، ج٣ص١١١.

(٢) الفاسي، **المصدر نفسه**، ج٣ص١١١. العقيلي(محمّد)، **التصوّف في تهامة**، جدّة ١٣٨٩هـ. ص٣٨.

(٣) ابن فضل الله العمري (شهاب الدّين أحمد)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق أيمن فؤاد سيّد، المعهد الفرنسي للآثار الشّرقيّة، القاهرة ١٩٨٥م،صص٥٠- ٥١.

(٤) ابن فهد (النّجم عمر)، **الدرّ الكمين بذيل العقد الثّمين في تاريخ البلد الأمين**، تحقيق د. عبد الملك بن دهيش، دار خضر للطّباعة والنّشر، بيروت- لبنان ١٤٢١هـ،ج١ص٢٢. الباشا(حسن)، **الفنون الإسلاميّة والوظائف على الآثار العربيّة**، دار النّهضة العربيّة ١٣٥٨ هـ،ج٢ص٦٤٤.

٢- الانتشار الواسع للرّباطات والزّوايا بمكّة يعكس التطوّر المطّرد للتّجربة الصّوفيّة بها:

ما من شكّ في أنّ الانتشار الواسع لظاهرة الرّباطات والزّوايا بمكّة، خلال الفترة الإسلاميّة الوسيطة، قد كان في علاقة وثيقة بالحراك، الذي كانت تعيشه التّجربة الصّوفيّة بهذا البلد حيث كان من جملة الأهداف الدّاعية إلى إنشاء مثل هذه المؤسّسات إيواء جموع العبّاد والمتصوّفة، الذين أقبلوا عليها من كلّ حدب وصوب، مؤثرين حياة الزّهد والاعتكاف بجوار البيت الحرام. وإذا كان ظهور الرّباطات والزّوايا بمكّة قد كان في جانب كبير منه نتيجة حتميّة لما عرفه النّشاط الصّوفي بهذه المدينة من انتشار واسع، فإنّ ظهور مثل هذه المؤسّسات قد جاء كمؤشّر على التّطور المطرّد، الذي ما انفكّت تعيشه التّجربة الصّوفيّة بالبلد الحرام طوال هذه المرحلة من تاريخه.

أ- الرّباطات :

بالتّأمّل في المصادر، التي بحوزتنا، نلاحظ أنّ مكّة قد عرفت ظاهرة الرّباطات منذ مطلع القرن الرّابع الهجري/ العاشر الميلادي حيث يعتبر رباط السّدرة أقدم رباط أنشأ بالبلد الحرام وكانت قد أمرت ببنائه سنة ٣١٢هـ/ ٩٢٤م المسمّاة هاجر خالة الخليفة المقتدر بالله

العبّاسي(١) وذلك خلافا لما ذهب إليه الباحث سليمان عبد الغنيّ المالكي(٢)، الذي صرّح بأنّ ليس هناك ما يشير إلى أنّ هذه المؤسّسات قد ظهرت بالبلد الحرام قبل سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م وخلافا أيضا لما توصّل إليه الباحث الأنقليزي "ريتشارد مورتيل" (R) Mortel (٣)، الذي ينسب ظهور أوّل رباط بمكّة إلى المدعو محمّد بن إسحاق بن محمّد بن منده الأصفهاني المتوفّى في حدود سنة ٣٩٦هـ/١٠٠٥-١٠٠٦م(٤). أمّا عن سبب هذا التّأخير النّسبي لظهور الرّباطات بمكّة، مقارنة بأجزاء عديدة من العالم الإسلامي كانت قد عرفت ظهور مثل هذه المؤسّسات منذ فترات مبكّرة على غرار بلاد المغرب ومصر وبلاد الشّام(٥)، فذلك لأنّ مكّة لم تكن بلدا ثغريّا ومن ثمّ فهي لم تعرف المرابطة الجهاديّة العسكريّة، كما عرفتها بقيّة البلاد الإسلامية الثّغريّة حيث كانت أغلبها قد نشأت بها الرّباطات منذ القرن الثّاني الهجري/ الثّامن الميلادي في شكل حصون لحراسة السّواحل وحماية الملاحة البحريّة من خطر النّصارى(٦).

---

(١) ابن فهد، **المصدر نفسه**، ج٣ص١٥٥٩.

(٢) عبد الغنيّ المالكي (سليمان)، **مرافق الحجّ والخدمات المدنيّة في الأراضي الإسلاميّة المقدّسة منذ السّنة الثّامنة للهجرة حتّى سقوط الخلافة العبّاسيّة**، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، الرّياض١٤٠٨هـ/١٩٨٧م،ص٧٨. باقاسي(عائشة)، **بلاد الحجاز في العصر الأيّوبي**، مكّة المكرّمة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص ٩٠.

(3) 99-Mortel (R), "Ribats in Mecca during the Medieval Period: A Descreptive Study Based on Literary Sources", in *Bulletin of the School of Oriental and Africain Studies*, vol.61, n.1, 1998. p31.

(٤) ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذّهب**، ج٣ص١٤٦. ابن حجر العسقلاّني(شهاب الدّين أحمد)، **لسان الميزان**، بيروت ١٩٨٧م. ج٥صص٨١-٨٣. الفاسي، **شفاء الغرام**، ج١ص٥٢٨. **العقد الثّمين**، ج١ص١١٩. الصّفدي (صلاح =

= الدين)، **الوافي بالوفيات**، إسطنبول ١٩٤٩م.ج٢صص١٩٠-١٩١.

(٥) المقدسي (أبو عبدالله محمّد)، **أحسن التّقاسيم في معرفة الأقاليم**، ليدن ١٩٠٦م.صص ١٧٤،١٧٧. المالكي، **المصدر السّابق**، ج١صص ١٧٨، ١٨٩، ١٩١، ١٩٥، ١٩٨. حسن (محمّد)، **المدينة والبادية بإفريقيّة في العهد الحفصي**، جامعة تونس الأولى ٢٠٠١م.ج ٢ صص٧٣٨،٧٣٥. البيلي، **المرجع السّابق**، صص٦٦- ٦٨. جلّول (ناجي)، **الرّباطات البحريّة بإفريقيّة في العصر الوسيط**، مركز الدّراسات والبحوث الاقتصاديّة والاجتماعيّة، تونس ١٩٩٩م. صص ٤٠،١٥.

Chabbi, art" Ribat", *EI₂*, vol. VII, p516.

(٦) محمّد حسن، **المرجع نفسه**، ج٢ ص٧٣٥. سلامة العامري (نيللي)، **الولاية والمجتمع مساهمة في التّاريخ** =

وقد دفع انتشار هذه المؤسّسات في مكّة بالمجاورين إلى الإقبال المتزايد عليها حيث توفّر لهم ما يرفع عنهم الخصاصة والعوز، لذلك تسابقوا على سكنها خاصّة بعد أن أوقفت عليها الأوقاف من قبل الخلفاء والسّلاطين والأغنياء(١). وكما كانت الرّباطات بمكّة تقوم بوظيفة السّكن والمأوى، كانت أيضا تؤدّي دور المدرسة لطالبي العلم والتفقّه في أصول الدّين ومذاهبه بما في ذلك مذهب التصوّف(٢). كما كانت هناك أربطة خاصّة بالتّكوين الصّوفي لعلّ أهمّها رباط الخاتون، الذي أنشأ وأوقف سنة ٥٧٧هـ/ ١١٨١م، وقد كتب على بابه أنّ هذا الرّباط أوقف وحبّس على الصّوفيّة الرّجال الصّالحين من العرب والعجم(٣).

ورغم ندرة المعلومات حول مدى تقدّم التّكوين الذي يلقاه الطلاّب في مثل هذه المؤسّسات للأخذ بأصول التصوّف ومبادئه، فإنّ نجاح مثل هذا الأمر يبقى في المقام الأوّل رهين درجة الحرارة الرّوحيّة والشّوق اللّذين في نفوس الطّلبة، فربّما يقضي طالب سنوات عديدة دون أن يبلغ درجة روحيّة أعلى فيتخرّج حينئذ غير صالح للتصوّف وربمّا يقضي طالب آخر فترة وجيزة، فيتخرّج من كبار أهل الطّرق الصّوفيّة(٤). أمّا الرّباط الثّاني، الذي اشتهر

= الاجتماعي الدّيني لإفريقيّة في العهد الحفصي، بيروت ٢٠٠٦م. صص٩٨-١٠٥.

(١) باقاسي، المرجع السّابق، ص٩٠. جلّول، المرجع السّابق، صص٢٥-٢٦. سلامة العامري، المرجع نفسه، صص١٠٥-١٠٧.

(٢) الفاسي، **العقد الثّمين**، ج١ صص ٢٤٠، ٢٨٠. السّخاوي (شمس الدّين محمّد)، **التّحفة اللّطيفة في تاريخ المدينة الشّريفة**، القاهرة ١٣٧٦-١٣٧٧هـ/١٩٨٧-١٩٥٨م.ج١ ص١٥٦. السّبكي (تاج الدين)، **طبقات الشّافعيّة الكبرى**، تحقيق عبد الفتّاح الحلو ومحمود الطنّاحي، القاهرة ١٩٦٨م.ج٤ ص١٨. مارسيه (جورج)، مادّة "رباط"، **دائرة المعارف الإسلاميّة**، الطّبعة الأولى، المجلّد العاشر، ص٢٣. جلّول، **المرجع السّابق**، صص ٢٥-٢٦. سلامة العامري، **المرجع نفسه**، ٩٨-١٠٠.

Chabbi, art "Ribat", *EI₂*, vol. VII, p 516. Miquel (A), *La géographie humaine du monde musulman*, Paris 1988. vol. IV, pp 54-56.

(٣) الفاسي، **المصدر نفسه**، ج١ ص ١١٨. عبد الغنيّ مالكي(سليمان)، **بلاد الحجاز منذ بداية حكم الأشراف حتّى سقوط الخلافة العبّاسيّة في بغداد**، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز الرّياض١٤٠٠هـ/ ١٩٨٣م. ص ١٤١.

Bel, *op.cit*, pp 15-17.

(٤) الفاسي، **المصدر نفسه**، ج١ص٢٤٠. الخزرجي (أبو الحسن علي)، **العقود اللّؤلؤيّة في تاريخ الدّولة الرّسوليّة**، تحقيق محمّد بسيوني، القاهرة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م. ج١ ص١١٠. عبد الغنيّ مالكي، **المرجع نفسه**، ص١٤١.

Bel, *op.cit*, pp 15-17.

بالتّكوين الصّوفي في مكّة فهو رباط الخوزي، وكان قد أوقف سنة ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م وحبّس على الصّوفيّة الفرس دون غيرهم(١). وفي ما يلي عرض لنماذج من الرّباطات، التي أنشأت بمكّة وكانت مأوى للمتصوّفة:

+ رباط الصّوفيّة أو رباط السّدرة: موقعه بجوار باب بني شيبة وله باب ينفذ منه إلى المسجد الحرام يسمّى باب الرّباط وهو باب صغير بجوار باب بني شيبة، وقد أشار إليه التّجّيبي بينما سمّاه ابن بطّوطة برباط السّدرة وذكر أنّ بابه يفتح على المسجد الحرام بجانب باب بني شيبة وسمّاه أيضا باب الرّباط(٢).

وكما أوردنا ذلك آنفا يعتبر هذا الرّباط أقدم رباط أنشأ بالبلد الحرام وكانت قد أمرت ببنائه سنة ٣١٢هـ/ ٩٢٤م المسمّاة هاجر خالة الخليفة المقتدر بالله العبّاسي، كما يؤكّد ذلك المؤرّخ المكّي النّجم عمر بن فهد بالاعتماد على نصّ نقش على لوح تأسيسيّ كان قد عثر عليه داخل هذا الرّباط، مخالفا بذلك إشارة أستاذه تقيّ الدّين الفاسي، الذي أرّخ وقف رباط السّدرة بسنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م وعليه اعتمد كثير من الباحثين المحدثين دون تمحيص أو مراجعة لما ما جاء في بقيّة المصادر(٣).

---

(١) الفاسي، **العقد الثّمين**،ج١ ص٢٥٨. **شفاء الغرام**، ج١ ص٣٣٠. عبد الغنيّ مالكي، **المرجع نفسه**، ص ١٤١.

(٢) ابن جبير (أبو الحسين محمّد)، **تذكرة بالأخبار عن اتّفاق الأسفار**، دار صادر، بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م. ص٨٢. التّجّيبي (القاسم بن يوسف السّبتي)، **مستفاد الرّحلة والاغتراب**، تحقيق عبد الحفيظ منصور، الدّار العربيّة للكتاب، ليبيا- تونس ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م. ص٢٤٥. ابن بطّوطة، **المصدر السّابق**، ص ١٣٩. الغازي (عبد الله بن محمّد)، **إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام**، دراسة وتحقيق أ. د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة الأسدي للنّشر والتّوزيع، مكّة المكرّمة ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م،ج٢ ص٣٨٦. عبد الغنيّ مالكي، **مرافق الحجّ...**، ص ٧٩. عبدولي(جمال)، "مكّة من خلال رحلة التّجّيبي"، بحث منشور ضمن أشغال الملتقى الدّولي الخامس حول الرّحلة والرحّالة في العالم الإسلامي المنعقد
=

=
بتونس في أكتوبر ٢٠٠٦، **المجلّة التّونسيّة للدّراسات الاجتماعيّة والاقتصاديّة**، عدد خاصّ، تونس٢٠١٠م. ص٣٠٧.

(٣) الفاسي، **شفاء الغرام**، ج١ ص٥٢٧. **العقد الثّمين**، ج١ص١١٨. ابن فهد، **الدرّ الكمين بذيل العقد الثّمين**، ج٣ص١٥٥٩. الغازي، **المصدر نفسه**، ج٢ص٣٨٦. نوّاب (عواطف محمّد يوسف)، **الرّحلات المغربيّة والأندلسيّة مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السّابع والثّامن الهجريّين: دراسة تحليليّة**، مطبوعات الملك فهد الوطنيّة، الرّياض ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م. ص ٣٩٠.

Mortel, "Ribats in Mecca", *loc. cit*, pp32 -33.

+ **رباط دار الخيزران**: موقعه قرب الصّفا عند مبدأ المسعى(١)، وكان في الأصل دارا للخيزران زوجة الخليفة العبّاسي المهدي أوقفتها سنة ٤٠٢هـ/١٠١١م على أن تكون رباطا للمنقطعين والغرباء(٢). ويذكر النّهروالي أنّ أمير مكّة هو الذي أوقف هذا الرّباط وأنّه جعل
في شرط وقفيّته أن يكون سكنًا للحجيج أثناء فترة الموسم(٣).

+ **رباط الفقاعيّة**: أوقفته قهرمانة الخليفة العبّاسي المقتدي بالله سنة ٤٩٢هـ/ ١١٠٠م على النّساء الأرامل المنقطعات(٤).

+ **رباط القزويني**: يقع هذا الرّباط في الجهة الشّماليّة للمسجد الحرام(٥)، وكان قد أوقف سنة ٥٢٩هـ/١١٣٥م على جميع الرّجال الغرباء المقيمين في مكّة من سائر أنحاء العراق(٦). ويذكر الفاسي أنّ هذا الرّباط ظلّ موجودا حتّى القرن السّابع الهجري/ الثّالث عشر الميلادي لكنّه لا يعلم من الذي أوقفه(٧)، أمّا عن سبب شهرته باسم رباط القزويني فلأنّ حجّاج قزوين كانوا ينزلون به أثناء فترة الموسم(٨).

+ **رباط الدّمشقيّة**: يقع بناحية أجياد ويسمّى برباط الدّمشقيّة نسبة إلى مدينة دمشق حاضرة بلاد الشّام، وكان قد أنشأه تجّار مدينة دمشق وأوقفوه سنة ٥٢٩هـ/١١٣٥م على الفقراء من أهل الشّام والعراق والعلماء منهم والمجاورين والحجيج الذين بمكّة(٩).

---

(١) الفاسي، **المصدر نفسه**، ج ١ ص ٥٩٤. الغازي، **المصدر نفسه**، ج٢ص٣٨٦.

(٢) عبد الغنيّ مالكي، **مرافق الحجّ...**، ص ٧٩. **بلاد الحجاز...**، ص ١٤١.

(٣) النّهروالي (قطب الدّين الحنفي)، **الإعلام بأعلام بيت الله الحرام في تاريخ مكّة المشرّفة**، القاهرة ١٩٧٤م،ص٩٨.

(٤) الفاسي، **شفاء الغرام**، ج ٢ ص ٥٩٢. **العقد الثّمين**، ج١ص١١٩.

Mortel, "Ribats in Mecca", *loc. cit*, p32.

(٥) الفاسي، **شفاء الغرام**،ج٢ص٥٩٢. **العقد الثّمين**، ج١ص١١٩. عبد الغني مالكي، **بلاد الحجاز...**، ص١٠٧-
=

=
١٤٢. الفاسي، **شفاء الغرام**، ج ٢ ص ٥٩٢. عبد الغنيّ مالكي، **المرجع نفسه**، ص ١٤٢.

(٦) الفاسي، **المصدر نفسه**، ج ٢ ص ٥٩٢.

(٧) عبد الغنيّ مالكي، **بلاد الحجاز...**، ص ١٤٢.

(٨) الفاسي، **شفاء الغرام**، ج ٢ ص ٥٩٧. **العقد الثّمين**، ج١ص١٢٢. النّهروالي، **المصدر السّابق**، ص ٩٨. عبد الغنيّ مالكي، **مرافق الحجّ...**، ص ٧٩.

(٩) الفاسي، **المصدر نفسه**،ج٢ ص٥٩٢. الغازي، **المصدر السّابق**،ج٢ ص٣٨٨. عبد الغنيّ مالكي، **بلاد الحجاز...**، ص ١٤٢.

+ **رباط رامشت**: يقع ملاصق لرباط السّدرة بالجانب الشّرقي من المسجد الحرام على يسار الدّاخل إليه من باب بني شيبة، وكان قد أوقفه سنة ٥٢٩هـ/١١٣٥م الشّيخ إبراهيم بن الحسين بن شيرويه الفارسي المشهور برامشت على جميع الزهّاد الرّجال دون النّساء من سائر العراق(١).

+ **رباط المراغي**: يقع هذا الرّباط بجوار رباط السّدرة عند المدخل الشّرقي للمسجد الحرام المعروف بباب الجنائز(٢) وكان قد أنشأ في شهر ذي الحجّة من سنة ٥٧٥هـ/١١٨٠م على يد كبير قضاة مدينة مراغة الأذربيجانيّة أبو بكر محمّد بن عبد الله بن عبد الرّحيم المراغي المتوفّى سنة ٥٩٠هـ/١١٩٣- ١١٩٤م(٣). وقد اندرست جميع آثار هذا الرّباط ولم يبق منه سوى لوحة محفوظة بمتحف المسجد الحرام كتب عليها "أنشأ هذا الرّباط لإيواء الصّوفيّة من العرب والعجم وغير العرب"(٤) ، ثمّ عرف خلال القرن التّاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي برباط القيلاني نسبة إلى أحدهم كان يعرف بهذا الاسم(٥).

+ **رباط الخاتون**: أوقفته سنة ٥٧٧هـ/١١٨١م الخاتون الشّريفة فاطمة قد اشترطت في وثيقة وقف هذا الرّباط أنّه خاصّ بالصّوفيّة في العرب والعجم من الرّجال دون النّساء، كما كان هذا الرّباط سكن للحجّاج الصّوفيّة القاصدين مكّة لأداء فريضة الحجّ(٦).

+ **أربطة الأخلاطي**: هي عبارة عن ثلاثة أربطة توجد بأعلى مكّة، أوقف الرّباط الأوّل منها سنة ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م على نساء الحنفيّة من المجاورات، وأوقف الرّباط الثّاني خلال السّنة نفسها على أهل مدينة أخلاط من الصّالحين

(١) الفاسي، **المصدر نفسه**، ج١ص٥٢٧. الغازي، **المصدر السّابق**، ج٢صص٣٩٣ ٣٨٦ .

Mortel, "Ribats in Mecca", *loc. cit*, p35.

(٢) الغازي، **المصدر نفسه**،ج٢ ص٣٨٦. عبد الغنيّ مالكي، **مرافق الحجّ...**، ص ٨١.

(٣) الفعر (محمّد فهد عبد الله)، **تطوّر الكّابات والنّقوش في الحجاز منذ فجر الإسلام حتّى منتصف القرن السّابع الهجري**، الطّبعة الأولى، تهامة للنّشر، جدّة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م. ص٢٩٨. نوّاب، **المرجع السّابق**، صص٣٩٠- ٣٩١ .

(٤) الفاسي، **شفاء الغرام**، ج١ص٥٢٧.

(٥) الفاسي، **العقد الثّمين**، ج ١ ص ١١٨١. عبد الغنيّ مالكي، **مرافق الحجّ...**، صص٨١- ٨٢.

(٦) الفاسي، **المصدر نفسه**، ج ١ ص ١١٨. باقاسي، **المرجع السّابق**، ص ٩١.

القاصدين بيت الله الحرام، في حين كان الرّباط الثّالث قد أوقف سنة ٥٩٠هـ/ ١١٩٣م(١).

+ **رباط أمّ الخليفة النّاصر العبّاسي**: يعرف هذا الرّباط بالعطيفيّة، لأنّ الشّريف عطيفة بن أبي نمي أمير مكّة كان يسكنه، أمّا تاريخ تأسيسه فيعود إلى سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م وكان وقفا على فقراء الصّوفيّة(٢).

+ **رباط بنت التّاج**: أوقف هذا الرّباط على النّساء الزّاهدات الأخيار(٣)، لكنّ ليست لدينا معلومات عن الذي أوقفه.

+ **رباط ابن السّوداء**: أوقفت هذا الرّباط سنة ٥٩٠هـ/١١٢٣م على النّساء الزّاهدات المتديّنات الخاليات من الأزواج الشّافعيّات المذهب كلّ من أمّ خليل خديجة وأمّ عيسى مريم ابنتي القائد أبي ثامر المبارك بن عبد الله القاسمي(٤).

+ **رباط ابن غنايم**: أوقفه سنة ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م الملك العادل جبال الغور والهند محمّد بن أبي علي، وكان في الأصل دارا تعرف بدار

(١) الفاسي، **العقد الثّمين**، ج ١ ص ١١٨. **شفاء الغرام**، ج ١ ص ٣٣٠.

(٢) الفاسي، **شفاء الغرام**، ج ١ صص ٥٢٦-٥٢٧ .

(٣) **المصدر نفسه**، ج ١ ص٥٣٧.

(٤) الفاسي، **شفاء الغرام** ، ج ١ ص ٣٣٥.

ابن غنايم، وقد تمّ وقفه على الصّوفيّة من الرّجال العرب والعجم على ألاّ يزيد عدد ساكنيه عن عشرة سواء كانوا مجاورين أو عابرين(٥).

+ **رباط المغاربة أو رباط عثمان بن عفّان**: ذكر ابن فهد أنّ من أوقفه سنة ٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م هو القاضي أبو الحسن علي بن عبد الوهّاب بن محمّد بن أبي الفتوح الإسكندري(٦). ويقع هذا الرّباط في السّوق الصّغير ويعرف برباط المغاربة لأنّه يقع في زقاق المغاربة، كما يعرف أيضا برباط عثمان بن عفّان لوقوعه في الدّار المنسوبة إلى الصّحابي والخليفة الرّاشدي الثّالث عثمان بن عفّان(٧). ولا يزال هذا الرّباط قائما حتّى الآن رغم أنّه جدّد أكثر من مرّة، كما أنّه لا يزال يحتفظ باللّوحة التّأسيسيّة لبنائه وقد نقش عليها بالخطّ النّسخي النّصّ الآتي :

(٥) هو غير الرّباط المسمّى بالاسم نفسه والذي أنشأه بعض التجّار المغاربة. العبيكان، **المرجع السّابق**، ص ٢١٥. باقاسي، **المرجع السّابق**، ص ٩٣. الفعر، **المرجع السّابق**، ص ٣١٨.

(٦) الفاسي، **العقد الثّمين**، ج ١ ص ٢٠٥. باقاسي، **المرجع نفسه**، ص ٩٣. الفعر، **المرجع نفسه**، ص ٣١٨.

(٧) باقاسي، **المرجع نفسه**، ص ٩٣. عبد الغنيّ مالكي، **بلاد الحجاز...** ، ص ١٤٦.

١ بسم الله الرحمان الرحيم، وصلى الله على رسول سيدنا محمد وعلى آله

٢ هذا ما وقف وحبس وسبل وتصدق به القاضي الفقيه الموفق المكين

٣ الأمين جمال الدين

٤ ولي أمير المؤمنين أبو الحسن علي بن القاضي السعيد الأيمن أبي القاسم

٥ عبد الوهاب ابن الشيخ أبي عبد الله بن محمّد

٦ ابن أبي الفرح العدل بالأعمال المصرية رضي الله عنه، وقف وحبس

٧ وسبل وتصدق بجميع هذا الرّباط

٨ على فقراء المغرب الغرباء المتعبدين ذوي الحاجات المجردين ليس

٩ للمتأهلين في حظ ولا نصيب

١٠ تقبل الله ذلك منه وأثابه عليه بالإحسان وقف ذلك وحبسه بجميع حقوقه

١١ وقفا صحيحا

١٢ [...] فمن غير ذلك فعليه لعنة الله ولعنة اللاعنين وجرى ذلك في سنة

١٣ أربع وستمائة(١).

+ **رباط الموفّق**: أشار إليه التجّيبي دون وصفه أو تحديد مكانه بينما ذكر ابن بطّوطة أنّه يقع بالقرب من باب إبراهيم وأنّه من أفضل الأربطة(٢)، أمّا الفاسي فقد ذكر أنّ يقع بأسفل مكّة. ويعود تاريخ وقف هذا الرّباط إلى سنة٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م، كما يؤشّر على ذلك النّقش الموجود على بعض حجره(٣).

+ **رباط الحافظ**: هو رباط الحافظ أبو عبد الله محمّد بن صفدة الأصبهاني، يعود تاريخ تأسيسه إلى بداية العصر الأيّوبي، وقد تمّ تجديده سنة ٦١٥هـ/ ١٢١٨م على يد الشّيخ الزّاهد أحمد بن محمّد بن إبراهيم(٤).

+ **رباط الخوزي**: أوقفه سنة ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م قراموز الأفرزي الفارسي على الزهّاد الغرباء والمجرّدين، وقد اشتهر هذا الرّباط برباط الخوزي وذلك لأنّ عمر الخوزي الفقيه الشّافعي كان قد قدم مكّة حاجّا، فأقام بهذا الرّباط مجاورا إلى أن توفّي في شهر صفر من سنة ٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م(٥).

---

(١) باقاسي، **المرجع نفسه**، صص ٩٣-٩٤. عبد الغنيّ مالكي، **المرجع نفسه**، صص ١٤٦-١٤٧. الفعر، **المرجع نفسه**، ص ٣١٨.

(٢) التجّيبي، **المصدر السّابق**، ص٤٥٦. ابن بطّوطة، **المصدر السّابق**، ص ١٤٠. الغازي، **المصدر السّابق**، ج٢ ص ٣٩٠.

(٣) الفاسي، **العقد الثّمين**، ج١ص١٢٢. **شفاء الغرام**، ج ١ص٥٣٦. الغازي، **المصدر نفسه**، ج٢ص٣٩٠. نوّاب، **المرجع السّابق**، ص٣٩١

(٤) باقاسي، **المرجع نفسه**، ص ٩٤.

(٥) الفاسي، **العقد الثّمين**، ج ١ ص ١١٩. الغازي، **إفادة الأنام...**، ج٢ص٣٨٨.

+رباط التّميمي: أوقفه في شهر شوّال من سنة ٦٢٠هـ/١٢٢٣م أبو العبّاس أحمد بن إبراهيم بن عبد الملك بن مطرّف التّميمي على الفقراء من أهل الخير والفضل والدّين من العرب والعجم المتأهّلين وغير المتأهّلين حسب حاجة كلّ واحد منهم للسّكن في هذا الرّباط(١).

+ رباط البانياس: أوقف هذا الرّباط في شهر ربيع الأوّل من سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٧م المسمّى عبد الله البانياس على الفقراء المعروفين بالدّين والخير والصّلاح وموقعه بالقرب من الصّفا على يسار الذّاهب إليها من المسجد الحرام(٢).

+ رباط غزّي: أقام هذا الرّباط علي بن محمّد المصري سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٤م كما يدلّ على ذلك النصّ، الذي ببعض حجره، وكان قد أوقفه على فقراء المسلمين من مساكين ورجال مجرّدين ومن أيّ جنس كانوا(٣).

ب- الزّوايا :

إلى جانب الرّباطات ظهرت الزّوايا بمكّة، شأنها في ذلك شأن بقيّة البلدان الإسلاميّة الأخرى، لتدعيم شبكة المؤسّسات الصّوفيّة بهذه المدينة، عاكسة من جانبها التطوّر الهامّ، الذي بلغته الظّاهرة الصّوفية بهذا البلد. والملاحظ أنّ ظهور الزّوايا بمكة كان متأخّرا مقارنة بتاريخ ظهور الأربطة بها، ورغم افتقارنا لأيّ مؤشّر يمكن أن يساعدنا على تحديد تاريخ دقيق لبداية ظهور الزّوايا بالبلد الحرام فإنّه من المستبعد أن تكون مثل هذه المؤسّسات قد انتشرت بمكّة قبل النّصف الثّاني من القرن السّادس الهجري/ الثّاني عشر الميلادي شأنها في ذلك شأن كثير من البلدان الإسلاميّة الأخرى(٤). وكانت أغلب الزّوايا المنشأة بمكّة في الأصل ملحقة ببعض المساجد أو المدارس أو أجزاء منها، ثمّ ما لبثت أن انفصلت عنها وأصبحت أماكن تلقّن فيها المعارف وتؤدّى

(١) الفاسي، **شفاء الغرام**، ج ١ ص ٣٣٢ .

(٢) **المصدر نفسه**، ج ١ ص ٣٣٣.

(٣) الفاسي، **شفاء الغرام**، ج١ ص ٥٢٨. **العقد الثّمين**، ج١ ص ١١٨.

(٤) ابن عبد القادر الطّبري (علي)، **الأرج المسكي في التّاريخ المكّي**، تحقيق وتقديم أشرف أحمد الجمال وإشراف سعيد عبد الفتّاح، المكتبة التّجاريّة، مكّة المكرّمة ١٤١هـ/١٩٩٦م. صص ٧٨-٧٩. بروفنسال (ليفي)، مادّة "زاوية"، **دائرة المعارف الإسلاميّة**، الطّبعة الأولى، المجلّد العاشر، صص٣٣١-٣٣٢. مارسيه (جورج)، مادّة "رباط"، **دائرة المعارف الإسلاميّة**، الطّبعة الأولى، المجلّد العاشر، ص ٢٣. سلامة العامري، **الولاية والمجتمع**، صص١١٧-١١٩.

Lévi- Provençal (L), art "Zawiya", *EI₁*, vol. IV, p1289. Chabbi, art "Ribat", *EI₂*, vol. VII, p 513. Massignon (L), art "Tarika" *EI₁*, vol. IV-2, p701-702. Geoffroy (E), art "Tarika" *EI₂*, vol. X , pp262-265.

فيها العبادات إلى جانب نشاطها الصّوفي(١). كما أنّ كثيرا من هذه الزّوايا كان منسوبا إلى بعض مشايخ الطّرق الصّوفيّة المنتشرة في أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي(٢)، وكان يقطن بها الحجيج والمتصوّفة، كما كانت هذه المؤسّسات تفتح أبوابها أمام العلماء والرّحالة القادمين إلى مكّة أو المارّين بها. ومن أبرز الزّوايا، التي أقيمت بمكّة خلال الفترة موضوع الدّراسة تجدر الإشارة إلى:

+ **الزّاوية الرّفاعيّة**: تنسب إلى صاحبها الشّيخ أحمد الرّفاعي المغربي الأصل المتوفّى في حدود سنة ٥٧٨هـ/ ١١٨١م(٣).

+ **الزّاوية الأحمديّة**: تقع عند أوّل الرّدم بجوار مسجد الرّاية(٤) وهي تنسب إلى صاحبها الشّيخ أحمد البدوي المتوفّى في حدود سنة ٦٧٥هـ/ ١٢٧٨م(٥).

+ **زاوية الشّيخ عبد الكبير**: تنسب هذه الزّاوية إلى الشّيخ عبد الكبير بن عبد الكبير بن عبد الله الحضرمي المتوفّى سنة ٨١٩ هـ/١٤١٦م(٦).

+ **ثلاثة زوايا للطّريقة العرابيّة**: تقع الزّاوية الأولى عند سوق المعلاة غير أنّه لم يذكر من أنشأها ولا تاريخ إنشائها، لكنّ صاحب "الأرج المسكي" أشار إلى أنّها كانت خرابا خلال القرن الحادي عشر الهجري/ السّابع عشر الميلادي(٧)، في حين تقع الزّاويتين الأخريين قريبا من مشعر المروة(٨).

+ **ثلاثة زوايا للطّريقة القادريّة**: تقع الزّاوية الأولى بخطّ المدّعا عند الرّباط المعروف بالرّباط البهرامي(٩)، وتوجد الثانية بخطّ سوق اللّيل(١٠)، في حين تقع الثّالثة بالسّوق الصّغير(١١).

---

(١) ابن عبد القادر الطّبري، **المصدر نفسه**، ص ٧٨.

(٢) **المكان نفسه**.

(٣) **المكان نفسه**.

(٤) العجيمي (محمّد حسن المكّي)، **زوايا التصوّف والصّوفيّة المسمّى خبايا الزّوايا**، تحقيق وضبط أحمد عبد الرّحيم السّايح وتوفيق علي وهبة، مكتبة الثّقافة الدّينيّة، القاهرة ١٤٣٠ هـ/ ٢٠٠٩م. صص١٤، ١٨.

(٥) ابن عبد القادر الطّبري، **المصدر السّابق**، ص٧٨.

(٦) العجيمي، **المصدر السّابق**، ص٢٣.

(٧) **المصدر نفسه**، صص٦٣-٦٦.

(٨) ابن عبد القادر الطّبري، **المصدر السّابق**، ص ٧٩.

(٩) **المصدر نفسه**، ص ٧٨.

(١٠) **المصدر نفسه**، ص ٧٩.

(١١) **المكان نفسه**.

+ **زاوية الشّيخ بدر الدّين العادلي**: تقع عند موضع القبر مكان دفن الشّيخ العادلي المذكور بجانب الرّباط المنسوب إليه عند سفح الجبل المعروف بجبل السيّد الوليّ(١).

+ **زاوية الشّيخ أبي السّعود بن هبة الله**: موضعها بجبل الفلق(٢).

+ **زاوية أبي بكر الأحقّ**: موضعها في الشّبيكة قبالة دار سليمان بن موسى بن بركات، وقد كانت في الأصل مسجدا خرابا فأعاد بناءه بعض أهل الخير وجعل له شبّاكين وسبيلا وصار منذ ذلك الحين زاوية(٣).

+ **زاوية السّيد المناوي**: موضعها بناحية الشّبيكة(٤).

+ **زاوية الشّيخ عمر بن الفارض**: تقع بالمحلّ المعروف بالنّقعة، وقد أشار صاحب "الأرج المسكي" إلى أنّها صارت خرابا خلال القرن الحادي عشر الهجري/ السّابع عشر الميلادي(٥).

+ **زاويتان للشّيخ عبد الكريم الحضرمي**: تقع الأولى عند مدفن الشّيخ الحضرمي المذكور عند مقبرة الشّبيكة(٦)، في حين توجد الثّانية بخطّ سوق اللّيل(٧). وتشير بعض الوقفيّات المملوكيّة المحفوظة بالقاهرة إلى أنّ بعض الزّوايا المنسوبة للشّيخ عبد الكبير الحضرمي بمكّة كان يدرّس فيها المذهب الشّافعي وكانت محلّ عناية واهتمام السّلاطين المماليك في مصر(٨). وقد ورد في هذه الوقفيّة ما نصّه:" ويصرف من ريع الوقف المذكور فيه من كلّ سنة من الذّهب الظّاهري مائة دينار واحدة في مصالح الزّاوية الكائنة بمكّة المشرّفة المعروفة بإنشاء الشّيخ الصّالح عبد الكبير بن عبد الله بن محمّد أبي حميد اليمني الحضرمي ولطلبة يشتغلون بالعلم الشّريف بها على مذهب الإمام الأعظم الحجّة المطلبي أبي عبد الله محمّد بن إدريس الشّافعي رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنّة متقلّبه ومثواه ومدرّس لهم وقرّاء قرآن ومعلّم لهم بها وقومه بمصالح الزّاوية المذكورة وإمام وخادم"(٩).

(١) المصدر نفسه، صص٧٨-٧٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٧٩.

(٣) المكان نفسه.

(٤) المكان نفسه.

(٥) المكان نفسه.

(٦) المكان نفسه.

(٧) المكان نفسه.

(٨) وثيقة جوهر اللاّلا محكمة رقم ٨٦ .

(٩) المكان نفسه.

+ **زاوية الشّيخ العبّادي:** تقع بمقبرة الشّبيكة بآخر جبل الفلق من جهة المعلاة(١).

+ **زاوية الشّيخ العامودي:** موضعها عند جبل أبي قبيس(٢).

+ **زاوية السيّد نعمة الله:** موضعها بشعب عامر(٣).

+ **زاوية أمّ سليمان المتصوّفة:** تقع بسوق اللّيل وقد كانت موجودة خلال القرن الثّامن الهجري/ الرّابع عشر الميلادي وكانت تقطن بها صاحبتها أمّ سليمان المتصوّفة المنسوبة إليها (٤).

+ **الزّاوية الغوثيّة:** تقع بناحية الشّبيكة وتنسب إلى صاحبها الشّيخ الغوث بن خطير الدّين المتوفّى في حدود سنة ٩٦٩هـ/١٥٦١م(٥).

+ **زاوية المتّقي:** تقع بشعب عامر ممّا يلي المعلاة وتنسب إلى صاحبها الشّيخ علي بن حسام الدّين الهندي الشّهير بالمتّقي والمتوفّى في حدود سنة ٩٧٥ هـ/ ١٥٦٧م(٦).

(١) ابن عبد القادر الطّبري، **المصدر السّابق**، ص ٧٩.

(٢) **المكان نفسه.**

(٣) **المكان نفسه.**

(٤) **المكان نفسه.**

(٥) **المكان نفسه.**

(٦) العجيمي، **المصدر السّابق**، صص٧٦- ٧٧.

وإضافة إلى هذه الرّباطات والزّوايا، التي أقيمت بالبلد الحرام لإيواء جموع الزهّاد والمتصوّفة والمنقطعين من رجال الدّين والصّلاح حبّست لهؤلاء الأوقاف لتأمين مستلزمات عيشهم من مطعم وملبس وغيره. ومن أشهر الأوقاف، التي حبّست على بعض الأربطة بمكّة والتي رصدتها لنا المصادر أوقاف الأمير عثمان الزّنجيلي أمير عدن زمن حكم بني أيّوب، وكانت له بعدن عقّارات كثيرة حبّسها على المدرسة والرّباط، اللّذين أقامهما بمكّة(٧). كما أوقف الأمير إقبال الشّرابي المستنصري العبّاسي، صاحب رباط الشّرابي الآنف الذّكر، أوقافا كثيرة في مكّة مثل المياه، التي تعرف بالشّرابيّات في موضع مرّ ووادي نخلة واشترط أن تنفق حصيلة هذه الأوقاف على رباطه، الذي جعل قسما منه مكتبة تضمّ كتبا جعلها هي الأخرى وقفا على رباطه المذكور وذلك خلال سنة ٦٤١هـ/١٢٤٣م(٨).

أمّا الشّيخ الأمير محمود بن جمال الدّين الهروي النّاسخ المتوفّى سنة ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م فقد جاور بمكّة مدّة أوقف خلالها كتبا كثيرة في الحديث

(٧) ابن عبد القادر الطّبري، **المصدر السّابق**، ص ٧٩. العجيمي، **المصدر نفسه**، صص ٦٩- ٧٣.

(٨) ابن عبد القادر الطّبري، **المصدر نفسه**، ص٧٩.

والفقه على رباط الخوزي الآنف الذّكر(١). كما كان المسمّى عيسى بن أحمد عمران المتوفّى سنة ٨١٠هـ/١٤٠٧م بمكّة قد أوقف وقفا له بوادي نخلة الشّاميّة على الفقراء والمعوزين من المقيمين بأربطة ربيع والموفّق وغزّي والعزّ الأصفهاني، على أن يكون للرّباطين الأخيرين ثلث الوقف بالسّويّة بينهما وثلثا الوقف للرّباطين الأوّلين بينها بالسّويّة(٢). كذلك شأن المسمّى أحمد بن سليمان المعروف بالتّروجي المصري الأسكندراني المتوفّى سنة ٨١٢هـ/١٤٠٩م وكان قد تجوّل في البلاد، فسافر إلى العراق والهند، ثمّ قصد الحجاز وأقام بالبلد الحرام مدّة أوقف أثناءها عدّة كتب على رباط الخوزي، الذي كان يقطن به(٣). في حين كانت الزّاهدة عائشة الظّاهريّة ابنة علي بن عبد الله بن عطيّة الرّفاعي المتوفّاة سنة ٨٣٨هـ/١٤٣٤م قد أنشأت رباطا بأسفل مكّة وأوقفت عليه دار باب الصّفا المطلّة على المسجد الحرام، وكانت عائشة الظّاهريّة المذكورة قائمة بالمشيخة على وجهها من بين المقيمات في هذا الرّباط(٤).

٣ - موقع المتصوّفة من المجتمع المكّي وآثارهم فيه:

لم يكن المتصوّفة بمكّة طوال الفترة الإسلاميّة الوسيطة بمعزل عن المجتمع، الذي كانوا يعيشون في كنفه، بل كانوا كثيري التّفاعل مع محيطهم وبيئتهم بمختلف مستوياتها ومناحيها ثقافيّة كانت، سياسيّة أو اجتماعيّة. فعلى المستوى الثّقافي كان لكثير من رجال التصوّف بمكّة دور كبير في ما عرفته قبلة المسلمين من حركيّة علميّة طوال تلك المرحلة من تاريخها وهو أمر منتظر لاسيّما إذا علمنا أنّ أغلب النّسّاك والعبّاد بهذه المدينة هم من رجال العلم ومن الذين جمعوا بين العبادة والاشتغال بالمعرفة(٥). وكانت حياة هذا الصّنف من المتصوّفة تبدأ برحلة علميّة يجوب خلالها صاحبها

(١) ابن الضّياء المكّي (أبو البقاء محمّد)، **تاريخ مكّة المشرّفة والمسجد الحرام والمدينة الشّريفة والقبر الشّريف**، تحقيق علاء إبراهيم الأزهري وأيمن نصر الأزهري، دار الكتب العلميّة، بيروت ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص ٢١٢.

(٢) الفاسي، **شفاء الغرام**، ج١ ص ٥٣٢. **العقد الثّمين**، ج١ ص ١٢٠. ابن فهد، **إتحاف الورى بأخبار أمّ القرى**، ج٣ ص ٦٤. عبدولي، "مصادر المياه والمنشآت المائيّة بمكّة وما حولها في الجاهليّة والإسلام"، **مجلّة إفريقيّة**، عدد ١٩، ٢٠٠٢م، صص ٢٦-٢٧.

(٣) الفاسي، **شفاء الغرام**، ج ٦ ص ٣٤.

(٤) الفاسي، **شفاء الغرام**، ج ١ ص ٣٣١. **العقد الثّمين**، ج ٣ صص ٣٢٥-٣٢٤.

(٥) الفاسي، **العقد الثّمين**، ج ٧ ص ١٣٧. محمّد خلف، ""الزهّاد والمتصوّفة..."، **مقال سابق**، ص ٢١٩,

كثيرا من الأقطار والبلاد الإسلاميّة للنّهل من موارد العلم المختلفة، فيلتقي بعلماء أفذاذ يأخذ عنهم ما طاب له من فنون العلم والمعرفة، ثمّ يتّجه نحو مكّة حاجّا ثمّ مجاورا، فيلقي بها عصا التّرحال، مؤثرا حياة التبتّل والتنسّك في جوّها الرّوحي المتّسم بسكينته وصفائه(١).

وقد رصدت لنا المصادر أسماء عدد غير قليل من هؤلاء المتصوّفة العلماء، الذين تركوا آثارا بيّنة على الحركة العلميّة بمكّة طوال هذه المرحلة من تاريخها. ومن هؤلاء أبو القاسم إبراهيم بن محمّد بن أحمد بن محمويه النّصر آبادي وكان من النسّاك المجاورين بمكّة خلال القرن الرّابع الهجري(٢)، وكان قد بدأ حياته العلميّة في بلده نيسابور، ثمّ قام برحلة إلى الريّ وبغداد ودمشق ومصر(٣)، فتلقّى العلم على مشايخ تلك البلاد، ثمّ قدم مكّة سنة ٣٦٥هـ/٩٧٦م فجاور بها ولزم العبادة واشتغل بالذّكر والوعظ حتّى توفّي بها في شهر ذي القعدة من سنة ٣٦٧هـ/٩٧٨م(٤). وقد روى عن أبي القاسم إبراهيم النّصر الآبادي جماعة من المتأخّرين منهم أبو عبد الرّحمان السّلمي(٥)، الذي قال عنه: "إليه يرجع في فنون من العلم منها حفظ الحديث وفهمه، وعلم التّاريخ، وعلوم المعاملات والإشارة"(٦).

كما كان الشّيخ أبو طالب محمّد بن علي بن عطيّة الحارثي المتوفّى سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م، رجلا صالحا مجتهدا في العبادة(٧)، وقد نسب إليه تصنيف كتاب على لسان الصّوفيّة أسماه "قوت القلوب"(٨) وذكر الفاسي أنّ له مصنّفات أخرى في التّوحيد(٩). وكان أبو الحسن علي بن عبد الله بن الحسن بن جهضم بن سعيد الهمذاني المتوفّى سنة ٤١٤هـ/١٠٢٣م(١٠) قد تلقّى

(١) الفاسي، **المصدر نفسه**، ج ٣ ص٤٤-٤٣. السّخاوي، **الضّوء اللاّمع**، ج ١ صص ٣٠٧- ٣٠٨.

(٢) السّخاوي، **المصدر نفسه**، ج ١٢ ص ٧٧.

(٣) االخطيب البغدادي، **المصدر السّابق**، ج ٦ ص ١٦٩. الزّيلعي، **المرجع السّابق**، ص١٤٣.

(٤) الزّيلعي، **المرجع نفسه**، ص ١٤٣.

(٥) الفاسي، **العقد الثّمين**، ج ٣ ص ٢٣٧.

(٦) الخطيب البغدادي، **المصدر السابق**، ج ٦ ص ١٧٠.

(٧) السّلمي، **المصدر السّابق**، ص ٤٨٤.

(٨) الفاسي، **العقد الثّمين**، ج ٣ ص ٢٣٧.

(٩) الخطيب البغدادي، **المصدر السّابق**، ج ٣ ص ٨٩.

(١٠) حاجّي خليفة (مصطفى)، **كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون**، إسطنبول ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م،ج ٢ ص ١٣٥٩.

علومه على جماعة من خيرة العلماء[١]، ثمّ جاور بمكّة واشتغل بالحديث فأخذ عنه جماعة من المغاربة وغيرهم من الحجّاج[٢]. وإلى أبي الحسن علي الهمذاني ينسب تصنيف كتاب في أخبار الصّوفيّة عنوانه "بهجة الأسرار"[٣]. وقد نقل الفاسي عن شيرويه الدّيلمي قوله في ابن جهضم الهمذاني بأنّه "كان ثقة صدوقا عالما زاهدا"[٤].

ومن مشاهير الشّيوخ العلماء المتصوّفة بمكّة أيضا الشّيخ عيد بن أحمد بن محمّد بن عبد الله أبو ذرّ الهروي المتوفّى سنة ٤٣٤هـ/١٠٤٢م[٥]. وكان الهروي قد جاب كثيرا من الأقطار لدراسة علم الحديث، فتمّ له ذلك على يد محدّثين مجتهدين[٦]، ثمّ عاد إلى مكّة فصنّف بها كتبا منها "الصّحيح" و"المستدرك عليه" في مجلّدين و"معجم" شيوخه وغير ذلك من المصنّفات الأخرى[٧]. وكان الهروي فضلا عن كلّ ذلك زاهدا ورعا لا يدّخر شيئا لغده[٨]، معدودا من كبار مشايخ الحرم[٩]. أمّا أبو الحسن علي بن يوسف بن عبد الله الجويني المتوفّى سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م فقد سافر وجال في كثير من الأقطار طلبا للعلم[١٠]، ثمّ قدم مكّة فجاور بها حتّى عرف بشيخ الحجاز[١١]واليه ينسب تصنيف كتاب "السّلوة في التصوّف"[١٢].

وممّن جاور بمكّة أيضا وكان له الأثر الكبير في الحياة الثّقافية والعلميّة بها، الشّيخ أحمد بن علي بن عتيق بن إسماعيل القرطبي الفنكي المتوفّى سنة ٥٩٦هـ/١١٩٩م[١٣]، وكان قد قرأ القرآن وسمع الحديث بالمغرب والشّام والموصل ودمشق حيث قضّى فيها فترة من الزّمن تولّى خلالها

---

(١) الفاسي، **العقد الثّمين**، ج ٢ ص ١٥٩.

(٢) ابن حجر العسقلاّني، **لسان الميزان**، ج ٤ ص ٢٣٨.

(٣) الفاسي، **العقد الثّيمن**، ج ٥ ص ١٨٠.

(٤) **المصدر نفسه**، ج ٦ ص ١٤.

(٥) ابن الجوزي، **المصدر السّابق**، ج ٨ ص ١٤.

(٦) الفاسي، **العقد الثّمين**، ج ٦ ص ١٨٠.

(٧) الخطيب البغدادي، **المصدر السّابق**، ج ١١ ص ١٤١.

(٨) الفاسي، **العقد الثّمين**، ج ٥ ص ٥٤٠.

(٩) **المكان نفسه**.

(١٠) **المكان نفسه**.

(١١) الخطيب البغدادي، المصدر السّابق، ج ١١ ص ١٤١.

(١٢) **المصدر نفسه**، ج ٦ ص ٢٧٧.

(١٣) حاجّي خليفة، **كشف الظنون**، ج ٢ ص ٩٩٩.

الإمامة(١). وقد وصفه ابن جبير بالفقيه المحدّث والزّاهد الورع حيث يبدو أنّه قد جمعته به صداقة قويّة على الرّغم من عدم ترجمته له بدليل قوله: "صاحبنا الفقيه الورع"(٢). ومن بلاد اليمن جاور بالبلد الحرام الشّيخ الفقيه محمّد بن إسماعيل بن علي اليمني المعروف بابن أبي الصّيف المتوفّى سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م، وكانت قد انتهت إليه رئاسة الفقه بمكّة حيث كان قد حدّث بها ودرّس وأفتى لفترة من الزّمن(٣).

ويبقى الشّيخ محي الدين بن عربي المتوفّى في حدود سنة ٦٣٨هـ/١٢٤٠م من أبرز أعلام التصوّف في العالم الإسلامي، الذين جاوروا بمكّة خلال القرن السّابع الهجري/ الثّالث عشر الميلادي والذين كانت لتجربتهم الصّوفيّة بمكّة آثارها البليغة على ما تركوه من بصمات بيّنة على الفكر الفلسفي الصّوفي الإسلامي(٤). وكان ابن عربي قد بدأ رحلته من بلاد المغرب سنة ٥٩٨هـ/١٢٠٢م، فمرّ سريعا بالقاهرة، ثمّ منها إلى بيت المقدس، ليستقّر بعدها بمكّة حيث بدأ تصنيف كتابه الشّهير "الفتوحات المكّيّة في أسرار المالكيّة والملكيّة" مع حلول سنة ٥٩٩هـ/١٢٠٣م(٥). ويشير ابن عربي إلى أنّه

---

(١) الصّفدي (صلاح الدّين خليل)، **الوافي بالوفيات**، تحقيق إحسان عبّاس، دار النّشر فرانزشتاين بقيسبادن، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.ج ٧ ص ٢٠٥.

(٢) ابن جبير، **المصدر السّابق**، صص ٦٨، ٨١، ١٢٣.

(٣) الفاسي، **العقد الثّمين**، ج ١ صص ٤١٥ -٤١٦. أبو جبلة، "الصّلات العلميّة بين الحجاز واليمن..."، **مقال سابق**، ص ٢٧٣. نوّاب، **المرجع السّابق**، ص٢٦٦ .

(٤) ابن عربي (محي الدين)، **الفتوحات المكيّة**، تحقيق وتقديم د. عثمان يحي وتصدير ومراجعة د. إبراهيم مذكور، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م. ج١ ص ٢٨. **رسالة روح القدس في محاسبة النّفس رسالة الشّيخ الأكبر محي الدّين بن عربي إلى الشّيخ عبد العزيز المهدوي نزيل تونس**، دراسة وتحقيق علي بن أحمد ساسي، الدّار العربيّة الكتاب ٢٠٠٤م. ص٣٥. القارئ البغدادي (إبراهيم بن عبد الله)، **مناقب ابن عربي**، تحقيق صلاح الدّين المنجّد، مؤسّسة التّراث العربي، بيروت ١٩٥٩م. ص ٢٢. لطفي عيسى، **مغرب المتصوفة**، صص٢٥-٢٦، ١١٧، ١١٩-١٢٠. عبدولي (جمال)، **اليمن في العهد الأيّوبي (٥٦٩-٦٢٨هـ/ ١١٧٤-١٢٣٠م)**، مركز النّشر الجامعي، تونس٢٠١٥م. صص٥٥٠-٥٥١.

Chittick (W. C), art "Tasawwuf", *EI₂*, vol. X, pp343- 344.

(٥) ابن عربي، **الفتوحات المكّيّة**،ج١ ص٢٨. **رسالة روح القدس**، ص١٩. محمود (عبد القادر)، **الفلسفة الصّوفيّة في الإسلام**، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٦٦ -١٩٦٧م. ص ٤٨٩ وما بعدها. بدوي، **تاريخ التصّوف الإسلامي**، صص =

أتمّ كتابه "الفتوحات" سنة ٦٣٦هـ/١٢٣٨م ليقدّمه هديّة إلى وليّه وصفيّه الشّيخ عبد العزيز أبي محمّد بن أبي بكر القرشي نزيل تونس وأحد أئمّة التصوّف ببلاد المغرب خلال ذلك العهد(١). كما يذكر أنّه ألّف من أجله بمكّة رسالته الشّهيرة "روح القدس في محاسبة النّفس" وذلك خلال سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٤م(٢).

=

٦٦، ٧٧-٧٨، ١٨٦- بيل (ألفريد)، **الفرق الإسلاميّة في الشّمال الإفريقي من الفتح العربي حتّى اليوم**، ترجمه عن الفرنسيّة عبد الرّحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٧م. ص ٣٩٣. الأخضر (لطيفة)، **الإسلام الطّرقي دراسة في موقعه من المجتمع ومن القضيّة الوطنيّة**، دار سيراس للنّشر، تونس ١٩٩٣م. ص ١٨. لطفي عيسى، **المرجع نفسه**، صص٢٥-٢٦.

Chevallier (J), *Le Soufisme ou l'inverse de Dieu dans la tradition de l'Islam*, Culture Arts Loisirs, Paris 1974. pp 146 -148.

(١) ابن عربي، **الفتوحات المكّيّة**، ج ١ ص ٢٨.

Dermenghem (E), *Vies des Saints musulmans*, Editions Baconnier- Alger 1981.p356. Addas (Cl), *Ibn Arabi ou la quête du Soufre rouge*, Gallimard, Paris 1989.p346.

(٢) ابن عربي، **رسالة روح القدس**، ص١٨ وما بعدها. **الفتوحات المكّيّة**، ج ١ ص ٢٨.

=

ويتكوّن كتاب "الفتوحات" من ٥٦٠ بابا موزّعة على ستّة أقسام وهي المعارف (٧٣ بابا)، المعاملات (١١٦بابا)، الأحوال (٨٠ بابا)، المنازل (١١٤ بابا)، المنازلات (٧٨ بابا) والمقامات (٩٩ بابا) (٣). ويذكر أنّ ابن عربي ما أن أتمّ كتابه "الفتوحات المكّيّة" حتّى أقبل عليه الأتباع والمريدون يقرؤونه ويتدارسونه وقد بلغ مجموع المصنّفات، التي صنّفها صاحب "الفتوحات" ما يناهز أربعمائة مصنّف شكّلت مجتمعة نظريّة فريدة في الفكر الصّوفي الإسلامي(٤).

وفي فضل مكّة وفضل الإقامة بها يصف ابن عربي "أمّ القرى" بأنّها "خير وسيلة عباديّة وأشرف منزلة جماديّة ترابيّة"(٥). وقوله فيها

=

Ates (A), art "Ibn al-Arabi", EI_2, vol. III, p 709.

(٣) ابن عربي، **الفتوحات المكّيّة**، ج ١ ص ٣٠.

Chevallier, *op.cit*, pp 155 -156.

(٤) ابن عربي، **المصدر نفسه**، ج ١ ص ٢٩.

(٥) ابن عربي، **المصدر نفسه**، ج ٢صص ١١٩-١٢٠. بن ساسي (يوسف)، **المغاربة بالحجاز من القرن السّابع الهجري إلى القرن التّاسع** XIII-XVم، أطروحة مرحلة ثالثة لنيل شهادة التعمّق في البحث، كلّيّة الآداب بمنّوبة ١٩٩٦م. ص١٨٤. الكحلاوي (محمّد)، **الفكر الصّوفي في إفريقيّة والغرب**

=

أيضا:" وهذا البلد الحرام لأنّه البيت، الذي اصطفاه الله على سائر البيوت وله سرّ الأوّليّة في المعابد(١) وقد علم رضي الله عنه أنّ النّفس تحشر على صورة علمها والجسم يحشر على صورة عمله وصورة العلم والعمل بمكّة أتمّ ممّا في سواها ولو دخلها صاحب قلب ساعة واحدة لكان له ذلك فكيف إن جاور وأقام وأتى فيها بجميع الفرائض والقواعد"(٢). وفي مكّة أعلن ابن عربي أنّه شاهد في رؤياه النّبي محمّد(ص) يسلّمه الولاية ويتلقّى بين يديه العهد الإلاهي والاعتراف بأنّه خاتم الولاية المحمّديّة(٣).

وفي حدود سنة ٥٩٩هـ/١٢٠٢م رأى ابن عربي وهو في الحرم أهمّ رؤيا في حياته اعتبرها بشرى من الله، فقد رأى الكعبة مبنيّة بلبن فضّة وذهب" لبنة فضّة ولبنة ذهب وقد كملت البناء وما بقي فيها شيء وأنا أنظر إليها وإلى حسنها، فالتفت إلى الوجه، الذي بين الرّكن اليماني والرّكن الشّامي، الذي هو- أيّ ذلك الوجه- إلى الرّكن الشّامي أقرب فوجدت موضع لبنتين لبنة فضّة ولبنة ذهب ينقص من الحائط في الصفّين في الصفّ الأعلى ينقص لبنة ذهب وفي الصفّ الذي يليه ينقص لبنة فضّة"(٤). ثمّ أضاف متأوّلا :"إنّي في الأتباع وأثناء إقامته بالبلد الحرام استمتع ابن عربي بأجواء روحانيّة في صنفي كرسول الله(ص) في الأنبياء عليهم السّلام وعسى أن أكون ممّن ختم الله الولاية فيّ وما ذلك على الله بعزيز..." (٥).

وأثناء إقامته بالبلد الحرام استمتع ابن عربي بأجواء روحانيّة عالية صحبة العديد من مشاهير الشّيوخ المتصوّفة، الذين لقيهم بمكّة(٦). وقد

=

الإسلامي (القرن التّاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي)، دار الطّليعة، بيروت ٢٠٠٩م. صص١٢٩- ١٣٣.

(١) ابن عربي، **المصدر نفسه**، ج ٢ص١٢٢. بن ساسي، **المرجع نفسه**، ص١٨٤.

(٢) ابن عربي، **المصدر نفسه**، ج ٢ص١٢٣. بن ساسي، **المرجع نفسه**، ص١٨٤.

(٣) ابن عربي، **المصدر نفسه**، ج ١ص٤٣. بن ساسي، **المرجع نفسه**، ص١٨٥.

(٤) ابن عربي، **المصدر نفسه**، ج ٥صص٦٨-٦٩. بن ساسي، **المرجع نفسه**، ص١٨٦.

(٥) ابن عربي، **المصدر نفسه**، ج ٥ص٦٩. بن ساسي، **المرجع نفسه**، ص١٨٦.

(٦) ابن عربي، **المصدر نفسه**، ج ١ ص ٢٩. القارئ البغدادي، **مناقب ابن عربي**، ص ٤٥ وما بعدها. المقرّي (أحمد بن محمّد)، **نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب**، تحقيق إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت ١٩٦٨م. ج ٢ ص ١٢٢. محمود، **الفلسفة الصّوفية في الإسلام**، ص ٤٨٩.

=

أشاد صاحب "الفتوحات المكيّة" بما حصل له من فائدة جمّة من هذه اللّقاءات، كما يبدو ذلك جليّا من خلال استعراضه لمختلف الشّخصيّات ذات التوجّه الباطني العرفاني، الذين صادفهم في رحلاته حيث يقول:" وما من طبقة ذكرناها إلاّ وقد رأينا براهين تشهد بصحّة ما يقولونه ... وأصدق ما رأيناه في هذا الباب من النّساء فاطمة بنت المثنّى بإشبيليّة خدمتها وهي بنت خمس وتسعين سنة وشمس أمّ الفقراء بمرشانة وأمّ الزّهراء بإشبيليّة أيضا وكلبهار بمكّة وتدعى ستّ غزالة"(١).

كما أشار ابن عربي في كتابه "الفتوحات" إلى لقائه بالصّوفي اليمني الكبير محمّد بن أبي الصّيف المتوفّى سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م وذلك أثناء إقامته بمكّة وهو اليمني الوحيد، الذي صرّح باسمه في أثره(٢). وقد كان لابن عربي باع كبير في الرّياضة الصّوفيّة والمجاهدة، كما كانت له مكانة متميّزة عند أهل مكّة والحجاز وكان معظم مريديه منهم(٣). وقد أشاد به الصّوفي صفيّ الدّين حسين بن الإمام جمال الدّين أبي الحسن علي بقوله:"... وكان أكبر علماء الطّريق، جمع بين سائر العلوم الكسبيّة وما وفّر له من العلوم الوهبيّة، ومنزلته شهيرة، وتصانيفه كثيرة"(٤). ومن أقوال ابن عربي، التي تلقي الضّوء على تجربته الصّوفيّة وعلى نظريّته في التصوّف:

وحقيقتي همت بها
وما رآها بصري
ولو رآها لغدا
قتيل ذاك الحور(٥)

وإلى جانب صفة الزّهد ومعرفة العلوم الشّرعيّة كان ابن عربي يجمع قسطا وافرا من علم الكلام ومن مقالات الفلاسفة(٦) وعندما أخذ يؤلّف

=

Ates (A), art "Ibn al-Arabi", *EI$_2$*, vol. III, pp 708-709. Chevallier, *op.cit*, pp356-359. Nicholson, *op.cit*, pp 103-105.

(١) ابن عربي (محي الدين)، **الرّسائل**، طبعة مصوّرة عن طبعة هنديّة من سنة ١٩٤٨م، دار إحياء التّراث العربي، بيروت (د.ت). الرّسالة الثّامنة، ص ٦٨. غرميني، **المرجع السّابق**، ص ٣٨١.

(٢) ابن عربي، **الفتوحات المكّيّة**، ج ١ ص ٧٥٧. عبدولي، **اليمن في العهد الأيّوبي**، ص٥٥١.

(٣) أبو ديّاك (صالح محمّد فياض)، "التّبادل الفكري بين المغرب والأندلس وشبه الجزيرة العربيّة"، مجلّة **الدّارة**، العدد الثّاني، السّنة الثالثة عشرة، شهر محرّم ١٤٠٨هـ. ص ١٢٣.

(٤) المقرّي، **المصدر السّابق**، ج ٢ ص ١٢٠.

(٥) **المصدر نفسه**، ج٢ص ١٢٠.

(٦) غرميني، المرجع السّابق، ص ٣٩٣.

Chittick, art "Tasawwuf", *EI$_2$*, vol. X, p345.

في فنون التصوّف انعكس بعض ذلك التّكوين على فهمه وطرحه للنّظريّات الصّوفيّة، ليخرج بفضل ذلك بالتصوّف من الاتّجاه الزّهدي الصّرف إلى مجال فلسفي يستعمل مصطلحات الفلاسفة ويتبنّى بعضا من آرائهم(١). أمّا عن طبيعة نشاطه العلمي بمكّة وعن مكانته العلميّة بها، فقد قضّى ابن عربي أغلب وقته في إسماع الحديث(٢)، كما كان يعدّ من صفوة العلماء المجتهدين طوال فترة مجاورته بالبلد الحرام حيث يذكره القارئ البغدادي صاحب "مناقبه" بقوله :"ولمّا جاور بمكّة شرّفها الله تعالى كان فيها من العلماء الرّاسخين والفقهاء المدقّقين، وجمهور المتكلّمين، والمشايخ العارفين المرشدين، والأولياء الأبرار ما لم يوجد في عصر من الأعصار، والكلّ كانوا له مقرّبين، وبفضله عليهم معترفين، وبأقواله متبرّكين، وعلى قراءة مصنّفاته مواظبين، ومصنّفاته الشّريفة ومؤلّفاته المنيفة تشهد بوفور علمه وكمال فضله"(٣).

وفي حدود سنة٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م حلّ بمكّة الشّيخ الصّوفي عبد الحقّ بن إبراهيم الرّقوطي المرسي الأندلسي الشّهير بابن سبعين، قادما من بلاد المغرب بغية الحجّ والمجاورة(٤)، فأقام بالبلد الحرام حتّى وفاته سنة ٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م(٥). وخلافا لابن عربي لم يترك لنا ابن سبعين كتبا ولا رسائل يمكن اعتمادها للوقوف على هذه المرحلة من حياته وذلك باستثناء الرّسالة، التي أرسلها أمير مكّة أبو نمي إلى السّلطان المستنصر الحفصي صاحب إفريقيّة لمبايعته والتي كانت باقتراح من ابن سبعين ومن إنشائه(٦). وتشير المصادر إلى أنّ ابن سبعين كان قد وصل إلى مكّة في ظروف اقتصاديّة صعبة(٧)وأنّه ظلّ خلال السّنوات الأولى من مقامه بالبلد الحرام مجاورا، متعبّدا، ملازما الكعبة(٨).

(١) **المرجع نفسه**، صص ٣٩٣-٣٩٤.

(٢) القارىء البغدادي، **مناقب ابن عربي**، ص ٧٥.

(٣) **المكان نفسه**.

(٤) الفاسي، **العقد الثّمين**، ج٥ص٣٣٤. بن ساسي، **المغاربة في الحجاز...**، صص١٩٩-٢٠٠.

(٥) الفاسي، **المصدر نفسه**، ج ٣ صص ٦٨-٦١ . ابن العماد الحنبلي، **المصدر السّابق**، ج ٣ ص ٤٢٦ -٤٢٥.

(٦) ابن خلدون(عبد الرّحمان)، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الاكبر**، دار الكتّاب اللّبناني، بيروت ١٩٥٩م. ج٦ صص٦٣٥-٦٥١. بن ساسي، **المرجع نفسه**، ص١٩٩.

(٧) الفاسي، **المصدر نفسه**، ج ٢ صص ٢٤٩-٢٥٠.

(٨) التّجيبي، **المصدر السّابق**، صص ٤٣٧ -٤٣٨.

وتبقى حياة ابن سبعين بمكّة غامضة إذ لا نعلم كيف كان يعيش وما هي طبيعة أنشطته وأين كان يقيم قبل اتّصاله بالأمير أبي نمي، الذي جمعته به على امتداد فترة ليست بالقصيرة علاقة وئام وانسجام(١). ولكنّ رغم ذلك لا يستبعد أن يكون للرّجل مجلس بالحرم يجمع من حوله أتباعه ومريديه وبعض فضلاء أهل مكّة، فقد جاء في "العقد الثّمين" للفاسي أنّ قاضي القضاة تقيّ الدّين دقيق العيد كان قد رأى ابن سبعين في مكّة "وهو يتكلّم للنّاس بكلام ألفاظه معقولة المعنى وحين تركّبها لا تفهم المعنى"(٢) وأنّ قاضي القضاة ابن جماعة كان ممّن حضر مجلسه(٣)، في حين يذكر الشّيخ صفيّ الدّين الهندي أنّه حجّ سنة ٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م وبحث "مع ابن سبعين في الفلسفة"(٤). كما نوّه تقيّ الدين الفاسي من جهته إلى بلاغة ابن سبعين وإلى معرفته ببعض العلوم كـ"السّيمياء والكيمياء"(٥).

أمّا فيما يتّصل بنشاطه العلمي، فيبدو أنّ ابن سبعين قد اكتفى بالرّواية الشّفويّة ولم يصنّف مصنّفات تذكر وذلك على الأرجح خوفا من تهجّم الفقهاء والعلماء، الذين كان يلقى منهم كثيرا من الشدّة والتّضييق طيلة إقامته بالبلد الحرام(٦). ويذكر ابن كثير أنّ ابن سبعين قد "أقام بجبل حراء مدّة ينتظر الوحي"(٧) ، مدّعيا أنّه وارث الولاية المحمّديّة مثلما ادّعى ذلك من قبله الشّيخ الأكبر محي الدّين بن عربي، كما يتّضح ذلك ممّا أورده بعض تلاميذه في رسالته الموسومة بـ"الوراثة المحمّديّة والفصول الذّاتيّة" والتي يظهر فيها هذا التّلميذ منتصرا لشيخه، مدافعا عنه ومبرّرا ادّعاءه أنّه من سلالة الأشراف بيت النّبوّة(٨).

(١) ابن حجر(شهاب الدّين أحمد)، **الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثّامنة**، تحقيق الشّيخ عبد الوارث محمّد علي، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان ١٤١٨هـ. ج ٢ صص ٥٦-٥٧ .

(٢) التّجيبي، **المصدر السّابق**، ص ٤٥٧.

(٣) الفاسي، **المصدر السّابق**، ص ص ٦ ص ٤١-٤٧ .

(٤) السّخاوي، **المصدر السّابق**، ج ١ ص ٤٨٢-٤٨٣.

(٥) الفاسي، **العقد الثّمين**، ج٥ص٣٣٤. بن ساسي، **المغاربة في الحجاز**، ص١٩٩.

(٦) الفاسي، **شفاء الغرام**، ج٢ص٢٧٠. ابن فهد، **إتحاف الورى**، ج٣ص٧٠.

(٧) ابن كثير(أبو الفدا إسماعيل)، **البداية والنّهاية في التّاريخ**، مكتبة العارف، القاهرة ١٤٠١هـ/١٩٨١م. ج١٣ص٢٦١.

(٨) الفاسي، **العقد الثّمين**، ج١ص٤٥٦. بن ساسي، **المرجع السّابق**، ص٢٠٠.

ويعدّ أبو العبّاس محبّ الدّين أحمد بن عبد الله الطّبري المكّي المتوفّى سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٤م من شيوخ التصوّف الشّافعيّة بمكّة حيث كان محدّثا بالحرم وبه صنّف الكثير من المؤلّفات، كما عرف بزهده وبقوله للشّعر، وكان قد رحل إلى اليمن واتّصل بالملك المظفّر الرّسولي قبل أن يعود إلى مكّة حيث توفّي(١). أمّا الشيخ محمّد بن غالب بن يونس بن محمّد بن غالب الأنصاري الأندلسي الجيّاني المعروف بابن شعبة والمتوفّى سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م(٢)، فقد ترجم له التّجيبي وأثنى عليه بقوله :"الشّيخ الفقيه الإمام الفاضل الصّالح العابد النّاسك الورع الزّاهد... أحد أولياء الله الصّالحين مشهور بالفضل والدّين كثير الصّمت قليل الكلام إلاّ لحاجة ذو علم وحلم"(٣).

كما كان الشّيخ الحسين بن صدقة بن بدران تقيّ الدّين الموصلي المتوفّى سنة ٧٠٥هـ/١٣٠٥م رجل خير وصلاح، فقير الحال، له شعر حسن(٤). وكان قد لقيه الرحّالة التّجيبي بمكّة والمدينة وذكره بأنّه كان كثير التّرحال والأسفار مصاحب للزهّاد والعبّاد والصّوفيّة والمشايخ(٥).

أمّا الشّيخ عثمان بن محمّد التّوزري المتوفّى بمكّة سنة ٧١٣هـ/ ١٣١٣م فقد سمع وقرأ ما لا يحصى من الكتب وزاد عدد شيوخه على الألف، ثمّ قدم إلى مكّة في حدود سنة ٦٥٧هـ/١٢٥٨م وظلّ يتردّد عليها إلى أن استقرّ بها منذ سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م(٦). ويعتبر الحسن بن علي بن إسماعيل بن إبراهيم البغدادي المتوفّى في غضون سنة٧٤١هـ/١٣٤٠م من العلماء الزهّاد، الذين جاوروا بمكّة مدّة ليست بالقصيرة حتّى وصف "بالإمام الوليّ"، وكان رجلا حسن السّيرة محبوبا بين النّاس، عابدا، صالحا، مكثرا لتلاوة القرآن، ساعيا لقضاء حاجات النّاس(٧). وقد ذكره ابن بطّوطة من علماء مكّة والمدينة، مشيرا إلى بعض من سيرته بقوله: "من أصحاب الأموال الطّائلة يحملها إلى بيوتهم بنفسه ولم يزل ذلك دأبه إلى أن توفّي"(٨).

(١) الفاسي، المصدر نفسه، ج٥ ص٣٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ج٥ ص٣٢٩.

(٣) التّجيبي، المصدر السّابق، ص ٤٥٧.

(٤) الفاسي، المصدر السّابق، ج١ ص٤٦٦.

(٥) التّجيبي، المصدر السّابق، ص ٤٥٧.

(٦) الفاسي، المصدر نفسه، ج٥ ص٣٢٩.

(٧) المقرّي، نفح الطّيب، ج٢ص١٩٦. بن ساسي، المرجع السّابق، ص٢٠١.

(٨) ابن بطّوطة، المصدر السّابق، ص ١٥٣.

ويعدّ أبو محمّد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان بن فلاح اليافعي اليمني المتوفّى بمكّة سنة ٧٦٨هـ/١٣٦٦م أبرز شيوخ التصوّف العلماء المجاورين بالحرم المكّي خلال القرن الثّامن الهجري/ الرّابع عشر الميلادي(١). وكان اليافعي يجيد الشّعر، عالما في الفقه والأصول واللّغة والفرائض والحساب، كما اشتهر أيضا بالتّأليف ومن أهمّ مصنّفاته "مرهم العلل المعضلة في أصول الدّين"(٢) و"مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزّمان"، الذي يعدّ من كتب التّاريخ المهمّة، وكتاب "أخبار الصّالحين" المسمّى "روض الرّياحين"(٣) ، وكتاب "الإرشاد والتّطريز"(٤) ، وكتاب "الدرّة المستحسنة في تكرار العمرة والسنّة"(٥) ، وكتاب "نشر المحاسن الغالية في فضل المشايخ الصّوفيّة أصحاب المقامات العالية"(٦).

ولم يكن أهل مكّة وعلى رأسهم علماؤها بمنأى عمّا كان تعيشه مدينتهم من انتشار لافت لأفكار الصّوفيّة ونظريّاتهم، لذلك كان منهم من لبس خرقة التصوّف وصار صوفيّا صرفا ومنهم من وجّه عنايته لمزيد التبحّر والتوسّع في أصول ومبادئ هذا المذهب، فكانت لهم فيه التّصانيف العديدة والمتنوّعة. ومن علماء مكّة، الذين اختاروا مذهب التصوّف نهجا لهم في حياتهم تجدر الإشارة إلى المسمّى عبدالله بن محمّد بن أبي بكر العسقلاّني المكّي المتوفّى في حدود سنة ٧٧٧هـ/ ١٣٨٥م وكان قد انقطع عن النّاس وزهد في الدّنيا حتّى انتهت إليه الرّياسة في الزّهد وذلك قبل أن يرحل إلى القاهرة وينقطع في خلوة بالجامع الحكمي وكان يتقوّت من وظيفته كشيخ لخانقاه الكريميّة وممّا يأتيه من غلّة ماله، الذي بوادي مرو من أرض مكّة(٧).

---

(١) الفاسي، **العقد الثّمين**، ج٥ ص ١٠٥. اليافعي (عبد الله بن أسعد)، **نشر المحاسن الغالية في فضل المشايخ الصّوفيّة أصحاب المقامات العالية**، تحقيق خليل عمّار المنصور، دار الكتب العلميّة، بيروت ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠.

(٢) طبع في كلكتّا بالهند سنة ١٩١٠م.

(٣) حاجّي خليفة، **المرجع السّابق**، ج ١ ص ٤٤٣.

(٤) عنوانه الكامل "الإرشاد والتّطريز في فضل ذكر الله وتلاوة كتابه العزيز" وتوجد منه نسخ كثيرة في العديد من مكتبات العالم. بروكلمان (كارل)، **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة عبد الحليم النجّار، الطّبعة الرّابعة، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٧م. ملحق ج ٢ ص ٢٢٧.

(٥) الفاسي، **العقد الثّمين**، ج ٥ ص ١٠٦.

(٦) اليافعي، **نشر المحاسن الغالية**، مصدر مذكور.

(٧) ابن تغري بردي (جمال الدّين أبو المحاسن يوسف)، **المنهل الصّافي والمستوفي بعد الوافي**، تحقيق د. محمّد أمين ود. سعيد عبد الفتّاح عاشور، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة =

كما كان المدعو جمال الدّين محمّد بن أحمد بن أبي بكر المرشدي المكّي المتوفّى سنة٨٣٩هـ/ ١٤٣٥م ممّن صحب الشّيخ إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي وتأدّب بأدبه ولبس منه خرقة التصوّف، كما لبسها أيضا باليمن من الشّيخ أحمد بن الرّداد وبمكّة من عدّة مشايخ أخر(١). كما كان المسمّى أحمد بن محمّد بن محمّد بن ظهيرة القرشي المكّي المتوفّى سنة ٨٨٥هـ/١٤٨٠م ممّن انكبّ على دراسة علم التصوّف(٢)، شأنه في ذلك شأن مواطنه وقريبه المدعو أحمد بن عطيّة بن عبد الحيّ القيّوم بن ظهيرة القرشي المتوفّى بعد سنة ٨٧٩هـ/١٤٧٤م، الذي اعتنق مذهب التصوّف وسافر لأجله إلى مشايخ اليمن(٣).

أمّا فيما يتّصل بالمصنّفات، التي صنّفها علماء مكّيّون في حقل التصوّف فتجدر الإشارة إلى "مختصر عوارف المعارف للسّهروردي" لصاحبه محبّ الدّين أحمد بن عبد الله بن محمّد بن أبي بكر الطّبري المتوفّى سنة ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م(٤) و"الأدوية الشّافية في الأدعية الكافية" و"ارتقاء الرّتبة باللّباس والصّحبة" لقطب الدّين محمّد بن أحمد بن علي بن محمّد القسطلاّني(٥) و"نفائس الأنفاس في الصّحبة واللّباس" ويقظة الاعتبار في موعظة أهل الاعتبار" و"الأنوار في الأدعية والأذكار" و"المواهب اللّدنيّة" لشهاب الدّين أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاّني المتوفّى سنة٩٢٣هـ/ ١٥١٧م(٦).

=

١٩٨٤ ١٩٨٥م.ج٧ص١٢١.الفاسي، **العقد الثّمين**، ج٤ صص٢٤١- ٢٤٣.

(١) ابن فهد(النّجم عمر)، **معجم الشّيوخ**، تحقيق محمّد الزّاهي ومراجعة حمد الجاسر، الرّياض ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

(٢) السّخاوي، **الضّوء اللاّمع**، ج٢ صص١٩٠- ١٩١.

(٣) الدّهلوي (عبد السّتّار)، **الأزهار الطّيّبة النّشر في ذكر الأعيان من كلّ عصر**، مخطوط رقم ٦٥ محفوظ بمكتبة الحرم المكّي. ج ٢ ورقة ٨١ ب.

(٤) مرداد (أبو الخير عبد الله)، **المختصر من كتاب نشر النّور والزّهر في تراجم أفاضل مكّة من القرن العاشر إلى القرن الرّابع عشر**، تحقيق محمّد سعيد العامودي وأحمد علي، جدّة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م. ص٩٩. البلادي(عاتق)، **هديل الحمام في تاريخ البلد الحرام**، مكّة المكرّمة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م. ج١ ص١٦٥.

(٥) البلوي (خالد بن عيسى)، **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق**، تحقيق الحسن بن محمّد السّائح، طبعة اللّجنة المشتركة لنشر التّراث الإسلامي بين المملكة المغربيّة ودولة الإمارات العربيّة المتّحدة (د. ت). ج٢ص٨٤. البغدادي (إسماعيل باشا)، **هديّة العارفين بأسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين**، بيروت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م. ج٦ ص١٣٥.

(٦) الغزّي(نجم الدّين محمّد)، **الكواكب السّائرة بأعيان المائة العاشرة**، تحقيق د. جبرائيل سليمان جبّور، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٧٩م. ج١صص١٢٦- ١٢٧.

=

وإلى جانب هؤلاء الأعلام من رجال التصوّف العلماء عرفت مكّة أيضا ثلّة من النّساء الصّوفيّات العالمات المجتهدات وذلك شأن الصّوفيّة المحدّثة عائشة بنت محمّد بن أحمد القيسي بنت محمّد بن أحمد القيسي القسطلاّني وكانت قد لبست خرقة التصوّف من الشّيخ نجم الدّين بشير بن حامد التّبريزي المتوفّى بمكة سنة ٦٤٦هـ/١٢٤٨م(١)، في حين كانت المسمّاة خديجة بنت الشّيخ شهاب الدين أحمد بن عبد العزيز بن القاسم بن عبد الرّحمان العقيلي النّويري المتوفّى سنة ٧٣٧هـ/١٣٣٦م والشّهيرة بـ"أمّ خليل الصّوفيّة" من النّساء الزّاهدات المواظبات على إقامة اللّيل تسبيحا وتهجّدا(٢). أمّا الشّيخة عائشة بنت علي بن عبد الله الرّفاعي المغربي المتوفّى سنة ٨٣٧هـ/١٤٣٣م والشّهيرة بـ"الظّاهريّة" فكانت شيخة لرباط أنشأته بمكّة وكانت تقيم به الاجتماعات للتّسبيح والتهجّد في كلّ سبت مع إطعام الطّعام للفقراء من المتصوّفة(٣). وكان بعض الصّوفيّة في مكّة يحرصون على إحياء اللّيالي بالأناشيد الدّينيّة والذّكر الجماعي، كما كان ذلك دأب الشّيخ عبد الله بن محمّد الأنصاري الحضرمي، الذي كان يشرف على تنظيم مثل هذه المسامرات الصّوفيّة في زاوية بناحية سوق اللّيل(٤).

ورغم أنّ الاعتدال يبدو السّمة الغالبة على متصوّفة البلد الحرام، فإنّ ذلك لم يحل دون ادّعاء بعضهم للخوارق والكرامات إلى حدّ اعتقاد النّاس فيهم وذلك شأن الشّيخ عمر العرابي اليمني المتوفّى سنة ٨٢٧هـ/١٤٢٤م، الذي لم يكن يتحرّج من ادّعاء أنّ روح النّبي محمّد (ص) كانت تظهر له وتخاطبه وتأمره وتنهاه وأنّ من يقصده من المرضى وذوي العاهات ويمسّ يده يشفى، وقد بلغ اعتقاد النّاس في قدرات هذا الشّيخ أن غدا قبره بمكّة بعد مماته مزارا للنّاس(٥). أمّا الشّيخ عبد الله بن سعد بن عبد الكافي المصري المعروف ب"الحرفوش"، فقد كان النّاس يعتقدون فيه لأنّه كان يخبر بأشياء تقع كما يتنبّأ بها(٦)، في حين كان الشّيخ

=
حاجّي خليفة، **كشف الظّنون**، ج٢صص ١٦٥٢،١٥٣٤ ، ١٦٦٢، ١٨٤٧. البغدادي، **المرجع نفسه**، ج٥صص١٣٩.

(١) الذّهبي(محمّد)، **سير أعلام النّبلاء**، تحقيق بشّار عوّاد معروف، مؤسّسة الرّسالة، بيروت ١٤١٧هـ،ج٢٣ ص٢٥٥.

(٢) ابن حجر، **الدّرر الكامنة**، ج ٦ ص٣٨٢.

(٣) السّخاوي، **الضّوء اللاّمع**، ج ١٢ ص٧٧.

(٤) الطّبري (محمّد بن علي)، **إتحاف فضلاء الزّمن بتاريخ ولاية بني الحسن**، تحقيق د محسن محمّد سليم، دار الكتّاب الجامعي، القاهرة ١٩٩٦م،١٠ص٢٥٨.

(٥) السّخاوي، **الضّوء اللاّمع**، ج٦ ص١٣٢.

(٦) ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذّهب**، ج٧ص٧.

الصّوفي عبد الكريم بن عبد الله الأنصاري نزيل مكّة سنة ٨٥٢هـ/١٤٤٨م من الذين اختصّوا في الإخبار بالمسروقات والمفقودات وأماكن وجودها(١).

ويروى أنّ الشّيخ محمّد المعروف بـ"حشيش" قد بلغ اعتقاد النّاس فيه إلى حدّ أنّهم كانوا ينذرون له النّذور إذا وقعوا في شدّة، فكانوا إذا قدموا مكّة قابلهم وطالبهم بتلك النّذور(٢). وينسب إلى الشّيخ ابن سبعين أنّه كان قد أحلّ شرب الخمر والزّواج بأكثر من أربع ودعا إلى إسقاط التّكاليف الشّرعيّة عن الصّوفيّة إذا بلغوا مراتب عالية في التصوّف وأنّه كان لا يجد حرجا في ادّعاء النّبوّة حيث ينسب إليه قوله :" لقد زرب ابن آمنة على نفسه قال: لا نبيّ بعدي"، إلى جانب استخدامه الشّعوذة والسّحر من ذلك سحره لأمير مكّة أبي نمي عندما أراه خيلا ملأت واديا بمكّة، فهال ذلك أبا نمي وعظم ابن سبعين في عينه(٣). ويذكر الفاسي في معرض حديثه عن الشّيخ ابن سبعين قوله:" ومنها ما بلغني أنّ كان يأخذ الورق ويقصّه على صفة الدّراهم المسعوديّة ويشري بها حوائجه وتمشي على الباعة. وبلغني أنّه اشترى بشيء من ذلك شاة من بعض الأعراب وهو متوجّه في جماعة من أصحابه إلى جبل حراء، فذهب البائع ليقضي بذلك بعض ضروراته فوجده ورقا فعاد إليه مطالبا بالثّمن، فأشار له الحاضرون إلى أنّ ابن سبعين هو الذي اشترى منه وأمروه بمطالبته وإيقاظه وكان مستلقيا نائما على قفاه، فجذب البائع بعض أعضائه، فخرج العضو وصار في يد البائع، فاستهال ممّا رأى وهرب وذهب بخفّي حنين"(٤).

ومن البدع الصّوفيّة، التي كانت شائعة بمكّة أيضا، أنّ بعض المتصوّفة كان لهم ميل إلى الاختلاط بالنّساء ومجالستهنّ وحتّى الطّواف معهنّ حول الكعبة بدون محرم، كما كان ذلك دأب الشّيخ محمّد الهوري، الذي أثار صنيعه حفيظة علماء مكّة، فأنكروا عليه فعله ولكنّه لم يأبه لهم، في حين كان الشّيخ الصّوفي محمّد بن أبي البركات بن أبي الخير الهمداني المقيم بمصر إذا قدم مكّة اجتمعت عنده النّساء بمنزله بدون محرم(٥).

(١) الطّبري، **إتحاف فضلاء الزّمن**، ج١ص٣٥٨.

(٢) الفاسي، **العقد الثّمين**، ج٢ص٤٤٢.

(٣) الفاسي، **العقد الثّمين**، ج٥ص٣٣١. ابن شاكر الكتبي(محمّد)، **فوات الوفيات**، تحقيق محمّد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النّهضة المصريّة، القاهرة ١٩٥١م. ج٢ ص٢٥٣. بن ساسي، **المغاربة في الحجاز**، ص ٢٠٢.

(٤) الفاسي، **المصدر نفسه**، ج٥ص٣٣١.

(٥) الفاسي، **المصدر نفسه**، ج٢ص١٢٠.

وقد ندّد ابن عربي من جهته بما عاينه بالبلد الحرام من سلوكيّات بعض المتصوّفة، الذين بدوا في نظره صوفيّة مزيّفين لا يفقهون من معنى التصوّف إلاّ مظهره الخارجي وفي ذلك يقول:" فأوّل ما وصلت إلى هذه البلاد سألت عن أهل هذه الطّريقة المثلى عسى أجد منهم نفحة من الرّفيق الأعلى فحملت إلى جماعة منهم قد جمعتهم خاناقاه عالية البناء، فنظرت مغزاهم المطلوب ومنحاهم المرغوب لعلّه تنظيف مرقّعاتهم بل مشهّراتهم وترجيل لحاهم. غير أنّهم يدّعون أنّ أهل المغرب أهل حقيقة لا طريقة وهم أهل طريقة لا حقيقة وكفى بهذا الكلام فسادا، إذ لا وصول إلى حقيقة إلاّ بعد تحصيل الطّريقة"(١).

وفي المعنى ذاته يضيف صاحب "رسالة روح القدس"، مخاطبا صديقه ووليّه عبد العزيز المهدوي بتونس حيث يقول:" فالزّمان اليوم يا وليّ شديد شيطانه مريد، وجبّاره عنيد، علماء سوء يطلبون ما يأكلونه، وأمراء جور يحكمون بلا يعلمون وصوفيّة صوف بأعراض الدّنيا موشّحون، عظمت الدّنيا في قلوبهم فلا يرون فوقها مطلبا وصغر الحقّ في أنفسهم، فأعجلوا عنه هربا وحافظوا على السجّادات والمشهرات والعكاكز وأظهروا المسبّحات المزيّنة كأنّهم العجائز، أطفال طغام وصبيان أحلام، لا علم عن الحرام يردّهم ولا زهد عن الرّغبة في الدّنيا يصدّهم، اتّخذوا ظاهر الدّين شركا للحطام ولازموا الخوانق والرّباطات رغبة فيما يأتي إليها من حلال وحرام ووسّعوا أردانهم وسمّنوا أبدانهم. والله يا وليّ لو رأيتهم في صلاتهم ينقرونها وفي صفوفهم لا يقيمونها يجعل أحدهم بينه وبين صاحبه في الصفّ قدر ما يدخل فيه ألف شيطان، ثمّ إذا جئت تسدّ ذلك الخلل، تراهم قد قطّبوا وجوههم فإذا غفلت ووطئت برجلك سجّادة أحدهم لكمك لكمة حيث جاءت منك وقد يكون فيها حتفك وهذه أشباهها هي الطّريقة التي هم عليها أهل زمانك"(٢).

وإلى جانب الدّور الثّقافي والعلمي الهامّ، الذي أتاه المتصوّفة داخل المجتمع المكّي كان لهذه الجماعة دور لا يقلّ قيمة وأثرا في الحياة السّياسيّة بهذه المدينة، وذلك يعود إلى أنّ أصحاب النّزعة العمليّة في التصوّف كانوا يرون ضرورة التدخّل في حياة المجتمع، الذي يعيشون في كنفه تدخّلا مستمرّا وذلك في نطاق ما يسمّى بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر(٣). والمتأمّل في

(١) ابن عربي(محي الدين)، **رسالة روح القدس في محاسبة النّفس**، دراسة وتحقيق علي بن أحمد ساسي، الدّار العربيّة الكتّاب ٢٠٠٤م،صص٣٦- ٣٧.

(٢) **المصدر نفسه**، صص٣٧- ٣٨.

(٣) الزّيلعي، **المرجع السّابق**، ص١٤٧.

الإشارات، التي وفّرتها لنا المصادر حول أثر المتصوّفة في الحياة السّياسيّة بمكّة، يلاحظ أنّ أغلب عناصر هذه الجماعة كانوا كثيرا ما يمثّلون تيّارا للمعارضة لما هو رسمي من الوجهة السّياسيّة، وكانت هذه المعارضة تزداد حدّة وقوّة في كلّ ما له مساس بالدّين(١). أمّا نجاح مثل هذه المواقف السّياسيّة أو إخفاقها، فإنّه كان يتوقّف على قوّة السّلطة السّياسيّة في مكّة وعلى مرونتها في الدّاخل وطبيعة علاقاتها في الخارج.

ومن أشهر الزّهاد المتصوّفة، الذين كانت لهم مواقف سياسيّة جريئة بمكّة خلال القرن الرّابع الهجري/ العاشر الميلادي، الشّيخ الزّاهد أبو عثمان سعيد بن سلاّم المغربي القيرواني الأصل والمتوفّى سنة ٣٧٣هـ/٩٨٤م(٢). وكان أبو عثمان المغربي أثناء فترة مجاورته بمكّة لا يكفّ عن انتقاد أمرائها الأشراف العلويّين حتّى أدّى به ذلك إلى تعرّضه لإيذائهم وسعيهم إلى إخراجه من البلد الحرام(٣)، فاضطرّ تحت وطأة هذه الظّروف إلى مغادرة مكّة في اتّجاه بغداد فأقام بها سنة، ثمّ هاجر واستقرّ في نيسابور حيث توفّرت له الرّاحة النّفسيّة وزال عنه الضّغط والانقباض(٤)، اللّذان كان يعاني منهما خلال محنته بمكّة وهو ما حدا به إلى القول لبعض أصحابه: "كان انقباضي بالحجاز وانبساطي بخراسان"(٥).

ولمّا كانت سنة ٣٩٤هـ/١٠٠٤ تلّقى أمير مكّة الحسن بن جعفر رسالة من الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله تتضمّن شتم بعض الصّحابة وبعض أزواج النّبي(ص) (٦)، فاستقرّ الرّأي على أن يقرأ قاضي مكّة هذا الخطاب على الملأ(٧)، فلمّا علم النّاس بذلك ثاروا غضبا وكان في مقدّمتهم جمع من شيوخ المتصوّفة المجاورين بالحرم (٨). ولتفادي مزيد توتّر الأوضاع بالمدينة المقدّسة على إثر انتشار هذا الخبر تثاقل القاضي عن الخروج وتباطأ في قراءة كتاب الحاكم، فطال انتظار النّاس الذين تجمهروا

(١) المرجع نفسه، ص١٤٧.

(٢) القشيري، **المصدر السّابق**، ص١١٣. البيلي، **المرجع السّابق**، ص٩٦.

(٣) الخطيب البغدادي، **المصدر السّابق**، ج٩ ص١١٣.

(٤) الفاسي، **العقد الثّمين**، ج ٤ ص ٥٦٨.

(٥) البكري (أبو عبيد)، **المسالك والممالك**، تحقيق وتقديم أدريان فان ليوفن وأندري فيري، بيت الحكمة- قرطاج، الدّار العربيّة للكتاب، تونس ١٩٩٢م. ج ١ صص ٣٩٦-٣٩٧.

(٦) **المصدر نفسه**، ج ١ ص ٣٩٧.

(٧) **المكان نفسه**.

(٨) **المكان نفسه**.

حول الحرم، وما أن أشيع الخبر بأنّ القاضي قد صعد المنبر "حتّى رماه النّاس بالحجر إلى أن تكسّر وصار رضاضا، ثمّ زحفوا إلى مكان المنبر ولكنّهم لم يجدوا عليه شيئا"(١).

وفي حدود سنة ٤١٠هـ/١٠١٩م اتّخذ كثير من المتصوّفة المجاورين بالحرم موقفا معارضا لسياسة أبي الفتوح أمير مكّة، وكان قد ظهر في أواخر أيّام هذا الأخير رجل يقال له هادي المستجيبين(٢)، قيل أنّه سبّ النّبي(ص) وبصق على المصحف وسار في البوادي يدعوا النّاس إلى عبادة الحاكم بأمر الله الفاطمي(٣)، ثمّ لم يلبث أن قدم مكّة ونزل ضيفا على أميرها أبو الفتوح واجتمع به(٤)، فلمّا رآه بعض المجاورين من الزهّاد والمتصوّفة يطوف بالكعبة مضوا إلى أبي الفتوح وذكروا له شأنه، فقال لهم: "هذا قد نزل عليّ وأعطيته الذّمام. "فردّوا عليه بقولهم: "إنّ هذا سبّ النّبيّ(ص) وبصق على المصحف"، فسأله عن ذلك فأقرّ به وقال: "قد تبت"، فقال النّاس "توبة هذا لا تصحّ وقد أمر النّبي(ص) بقتل ابن خطل(٥) وهو متعلّق بأستار الكعبة وهذا لا يصحّ أن يعطى الذّمام ولا يسع إلاّ قتله"(٦). لكنّ أبا الفتوح لم يوافق المحتجّين على رأيهم خاصّة وأنّ علاقته بالحاكم الفاطمي كانت قد دخلت في طور من التحسّن، بعد المصالحة التي أعقبت خروجه عليه ومنازعته الخلافة(٧). ولمّا يئس المعارضون من إقناع أبي الفتوح تجمهروا عند الكعبة وألحّوا عليه حتّى أخذ برأيهم(٨)، فأمر بإحضار "هادي المستجيبين" وغلام مغربي كان في صحبته، فأخذا إلى باب العمرة وصلبا(٩)، ثمّ أخذ النّاس يرجمونهما

---

(١) الفاسي، **العقد الثّمين**، ج ٧ ص ٣٥٤.

(٢) الجزيري الأنصاري، **المصدر السّابق**، ص٢٥٢.

(٣) هو المشرك عبد الله بن خطل التّميمي كان الرّسول (ص) قد أمر بقتله يوم فتح مكّة. ابن الأثير (أبو الحسن علي)، **الكامل في التّاريخ**، دار صادر بيروت ١٩٦٥-١٩٦٧م. ج ٢ ص ١٦٩ .

(٤) الفاسي، **المصدر السّابق**، ج ٧ ص ٣٥٤.

(٥) **المكان نفسه**، ج ٧ ص ٣٥٤.

(٦) الفاسي، **المصدر السّابق**، ج ٧ صص ٣٥٥-٣٥٤.

(٧) الزّيلعي، **المرجع السّابق**، ص ١٤٨.

(٨) الجزيري الأنصاري(عبد القادر)، **الدّرر الفرائد المنظّمة في أخبار الحاج وطرق مكّة المكرّمة**، دار اليمامة، الرّياض ١٤٠٢هـ/١٩٨٣م. ص ٢٥٢.

(٩) **المكان نفسه**.

بالحجارة حتّى سقطا لجمعة لهما الحطب وأحرقوهما(١).

أمّا شيخ المتصوّفة بالحرم هيّاج بن عبيد الحسين أبو محمّد الحطيبي المتوفّى سنة ٤٧٢هـ/١٠٨٠م(٢)، فقد كان غاية في التّقوى والزّهد والورع وكان قد اجتمع حوله عدد كبير من المتصوّفة المجاورين بالحرم حتّى أصبح بمثابة زعيمهم الرّوحي وفي ذلك يقول بعضهم :

أقول بمكّة ابتهجي وتيهي
على الدّنيا بـــهيّاج الفـقيه
إمام طلّق الدّنيا ثلاث
فلا طمع لها من بعد فيـه(٣)

وقد كان هذا الوضع كافيا لإثارة حفيظة الشّيعة وهم أصحاب الحظوة عند حكّام مكّة، فشكوا إلى أمير الحرم محمّد بن جعفر بن أبي هاشم أمر هيّاج وقالوا: إنّ أهل السنّة يستطيلون به علينا"(٤) ، فأخذه الأمير وضربه(٥)، فهاجت لذلك فتنة بين السنّة والشّيعة اشترك فيها عدد من المتصوّفة المجاورين بالحرم(٦)، وقد أدّت تلك الفتنة إلى مقتل هيّاج وبعض من رفاقه المتصوّفة(٧).

وتبقى تجربة الشّيخ عبد الحقّ بن سبعين من أكثر التّجارب الصّوفيّة بمكّة إثارة وفرادة من حيث علاقة الرّجل برجال السّياسة وأصحاب السّلطان وخاصّة علاقته بأمير مكّة أبي نمي، التي تبقى على أهمّيّتها علاقة غامضة ومعتمة في كثير من جوانبها إذ أنّ المصادر لا تشير على اختلافها إلى طبيعة هذه العلاقة ولا إلى تاريخها ومدّتها(٨).

والأرجح أنّ اتّصال ابن سبعين بالأمير أبي نمي قد حدث بعد سنة ٦٥٣هـ/١٢٥٥م، أيّ بعد حلول ابن سبعين بمكّة بخمس سنوات، ذلك أنّ أبا نمي كان قد تولّى إمارة مكّة سنة ٦٥٣هـ/١٢٥٥م واستمرّ على رأسها حتّى وفاته سنة ٧٠١هـ/١٣٠١م(٩). ويبدو أنّ ابن سبعين قد نجح في التقرّب إلى الأمير أبي نمي بوسائل عديدة أبرزها ادّعاؤه الانتساب إلى الأشراف، إضافة إلى شهرته الواسعة بمكّة منذ

(١) الفاسي، **العقد الثّمين**، ج ٧ ص ٣٥٥ . الوثيق، "الجوار بمكّة..."، مقال سابق، ص٢٦٧.

(٢) الذّهبي، **المصدر السّابق**، ج ٣ ص ٢٧٩.

(٣) ابن تغري بردي، **المصدر السّابق**، ج ٦ ص ١٠٩.

(٤) **المكان نفسه.**

(٥) **المكان نفسه.**

(٦) الزّيلعي، **المرجع السّابق**، ص ١٤٩.

(٧) الفاسي، **العقد الثّمين**، ج ٧ ص ٣٨١، ج ٨ ص ١٠١.

(٨) بن ساسي، **المغاربة في الحجاز**، ص٢٠٣.

(٩) الفاسي، **العقد الثّمين**، ج ١ صص٤٧٠،٤٥٨.

حلوله بها سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م وحتّى سنة ٦٥٣هـ/١٢٥٥م تاريخ تولّي أبي نمي إمارة مكّة، فضلا عمّا كان يتوفّر عليه ابن سبعين من بلاغة وسعة علم زادت في إعجاب أبي نمي به(١)، خاصّة بعد أن نجح ابن سبعين في علاج أمير مكّة من جرح شديد كان قد أصابه(٢).

وتتّضح لنا المكانة المرموقة، التي نالها ابن سبعين عند أبي نمي من خلال دور المستشار، الذي أدّاه الصّوفي الأندلسي عند أمير مكّة وذلك حين نجح ابن سبعين في إقناع أبي نمي بأداء البيعة للسّلطان المستنصر الحفصي صاحب إفريقيّة وإرسال رسالة البيعة إليه باسم أهل مكّة وكانت هذه الرّسالة من إنشاء ابن سبعين نفسه وقد احتفظ لنا ابن خلدون بنصّ الرّسالة كاملة(٣)، مشيدا في الأثناء بالأثر الطيّب، الذي تركته هذه الرّسالة في نفس السّلطان الحفصي وفي نفوس أهل إفريقيّة عامّة(٤). ويبدو أنّ ابن سبعين قد بقي معززا مكرّما عند الأمير أبي نمي بعد هذه الرّسالة وعلى امتداد فترة ليست بالقصيرة يمكن تقديرها بعشر سنوات ابتداء من سنة ٦٥٧هـ/١٢٦٠م حتّى سنة ٦٦٧هـ/ ١٢٦٨م(٥).

لكنّ هذا الطّور الهادئ والمريح من تجربة ابن سبعين بالبلد الحرام لم يكن له ليتواصل طويلا، بعد أن أصبح الرّجل منبوذا ومطاردا من أصحاب السّيف والقلم على حدّ سواء، فقد تخلّى عنه صديقه وحاميه أبو نمي أمير مكّة واشتدّ عليه الفقهاء والعلماء في "أمّ القرى" وخارجها وأصبح منذ سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٨م مطلوبا ومطاردا من السّلطان الظّاهر بيبرس صاحب مصر وذلك قبل أن يقتل غيلة في مكّة خلال سنة ٦٦٩هـ/١٢٧٠م(٦).

أمّا على المستوى الاجتماعي، فقد تجلّت آثار جموع المتصوّفة داخل النّسيج الاجتماعي بمكّة في انتشار ظاهرة الفقر والعوز بين كثير من سكّان الحرم، ذلك أنّ الانصراف عن التكسّب والعمل والانقطاع للعبادة جعل مظاهر الفقر تنتشر بين أغلب متصوّفة البلد الحرام حتّى أصبحوا عالة على مجتمع مكّة الضيّق الموارد، كما كان معظم هؤلاء المتصوّفة يعيش على الصّدقات والأعطيات، التي كانت تأتيهم من ذوي اليسار أثناء مواسم

(١) المصدر نفسه، ج١ص٤٦٦.

(٢) المصدر نفسه، ج٥ص٣٢٩.

(٣) ابن خلدون، المصدر السّابق، ج٦صص٦٣٥- ٦٥١.

(٤) المصدر نفسه، ج ٦ص٦٥١.

(٥) بن ساسي، المرجع السّابق، ص٢٠٧.

(٦) الفاسي، العقد الثّمين، ج ٥ص٣٣٤. بن ساسي، المرجع نفسه، ص٢٠٨.

الحجّ(١). وقد صوّر لنا أبو عقال بن غلبون القيرواني بعض ما عاناه من ظروف معيشيّة قاسية أثناء مجاورته بمكّة فقال: "كان معي سبعون صاحب ركوة، فوقع القحط فماتوا وبقي ستّة أثر الضرّ فيهم. وبقينا ليالي لم نطعم، فوقع في سري أن آتي الرّكن فالتزمه فعلّي أن أموت على ذلك"(٢).

ويشير صاحب "معالم الإيمان" إلى مظاهر البؤس والخصاصة الغالبة على متصوّفة مكّة وزهّادها في أواخر القرن الثّالث الهجري/ التّاسع الميلادي انطلاقا من تجربة أبي عقال القيرواني نقلا عن رواية لأبي الحسن علي بن عبد الله القطّان المتعبّد حيث يقول :"كان أبو هارون(٣) يكسو أبا عقال الثّياب فإذا انصرف أبو عقال فرأى من الضّعفاء من هو أحوج منه يرقّ عليه، فيؤثره بما عليه من الثّياب بما أمكنه فلا يزال يعطي ما عليه حتّى يبقى عريانا"(٤). ويورد صاحب "رياض النّفوس" رواية لأبي إسحاق المقرئ يشير فيها إلى أبي عقال المذكور حيث يقول :"لقيت أبا عقال بمسجد الخيف بمنى وعليه خيشتان، مؤتزرا بواحد ومرتديا بالأخرى"(٥).

ومن أشهر الزهّاد الفقراء، الذين جاوروا بالحرم عبد الملك الطّبري الزّاهد المتوفّى في مطلع القرن السّادس الهجري/ الثّاني عشر الميلادي(٦)، وكان يلبس الخشن من الثّياب ويعيش في فقر مدقع حتّى قيل بأنّه كان يقتات على العشب(٧). كما كان الصّوفي هيّاج بن عبيد الآنف الذّكر فقيرا يتكفّف النّاس، وكان إذا أراد الخروج إلى المدينة كعادة أهل مكّة في كلّ عام، يتوقّف إلى يوم الرّحيل فأوّل من يأخذه بيده يكون في مؤونته طوال تلك الرّحلة إلى أن يرجع(٨).

ولمّا كان عيش جمهور غير قليل من متصوّفة مكّة متوقّفا على ما يصل هذه المدينة المقدّسة من

---

(١) ابن بطّوطة، **المصدر السّابق**، ص١٧١. الزّيلعي، **المرجع السّابق**، ص١٤٩. الوثيق، "الجوار بمكّة..."، **مقال سابق**، صص ٢٥٢،٢٤٩.

(٢) المالكي، **المصدر السّابق**، ج ١ ص ٥٣٢.

(٣) هو أبو هارون الأندلسي المتوفّى بالمدينة فيما بين سنتي ٢٩٠-٢٩١هـ/ ٩٠٣-٩٠٤م. الدبّاغ، **المصدر السّابق**، ج ٢ ص ٢٣١.

(٤) الدبّاغ، **المصدر نفسه**، ج ٢ ص ٢٣٠.

(٥) المالكي، **المصدر السّابق**، ج ١ ص ٥٣٢.

(٦) الفاسي، **العقد الثّمين**، ج ٥ ص ٥١٧ .

(٧) **المكان نفسه**.

(٨) **المصدر نفسه**، ج ٧ ص ٣٨١.

صدقات ومساعدات ماليّة وماديّة متنوّعة، فقد رصدت لنا المصادر أخبار جمّة عن هذه الصّدقات والهبات التي سنكتفي بإيراد بعض الأمثلة منها. فقد روي أنّ أبا بكر محمّد بن علي الماذرّائي المتوفّى في حدود سنة ٣٤٥هـ/٩٥٦م كان يأخذ معه إلى الحجاز في البرّ والبحر أثناء حجّاته كثيرا من "الدّنانير والدّراهم والثّياب والطّيّب والحلوى والحبوب وسائر الأطعمة والقمح والدّقيق والشّعير والزّيت ولا ينصرف عن الحجاز إلاّ من فيه أغنياء"(١). وقيل أنّ ما أنفقه الماذرّائي في خمس حجج بلغ ألفي ألف دينار(٢). ويذكر أنّ جميلة بنت ناصر الدّولة الحمداني كانت قد حجّت إلى مكّة سنة ٣٦٦هـ/٩٧٧م، فأنفقت أموالا طائلة في مجاوري مكّة وأمرت بكسوتهم جميعا، وقد بلغ ما أنفقته عشرة آلاف من الذّهب الأحمر(٣).

وكان حجيج العراق وخراسان يكثرون من عطائهم للمجاورين بالحرم، فقد كان من عاداتهم تأخير الرّحيل من مكّة أربعة أيّام بعد رحيل الحاج الشّامي والمصري، فيكثرون خلال هذه الأيّام الأربعة من الصّدقات على المحتاجين من المجاورين وغيرهم، وقد شاهدهم ابن بطّوطة وهم يطوفون بالحرم ليلا "فمن لقوه من المجاورين أو المكّيين أعطوه الفضّة والثّياب"(٤).

ولم تقتصر نفقة متصوفة مكّة على ما كانوا يتلقّونه من صدقات خاصّة فحسب، بل كانوا يحصلون على نصيب وافر من النّفقات العامّة لبعض الدّول القائمة، فقد رتّب علي بن عيسى بن الجرّاح في مطلع القرن الرّابع الهجري/ العاشر الميلادي بأن يحمل إلى الحرمين الشّريفين وإلى المجاورين بهما وإلى أرباب الوظائف بمكّة والمدينة في كلّ عام ٣٥٠,٤٢٦ دينارا (٥). أمّا ملك إربل المسمّى مظفّر الدين كوكبري، فقد كان يبعث كلّ عام أموالا كثيرة إلى مكّة صحبة عمر بن إبراهيم الخلكّاني المتوفّى سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م، ليتصدّق بها هناك على المحتاجين وأرباب الرّواتب(٦).

كما كان الملك مظفّر الدّين يصل بعض متصوّفة مكّة بصلا سنويّة ولو لم يأتوا إلى إربل، من ذلك صلته إلى الشّيخ الصّوفي الزّاهد الخضر بن محمّد الإربلي نزيل مكّة والمتوفى بها سنة ٦٠٨هـ/

(١) ابن سعيد (أبو الحسن علي المغربي)، **المغرب في حلى المغرب**، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة ١٩٦٤م. ص ٣٥٠.

(٢) **المصدر نفسه**، ص ٣٥٢.

(٣) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج ٧ ص ٨٤.

(٤) ابن بطّوطة، المصدر السّابق، ص ١٧١.

Ankawi (A), "The pilgrimage *to* Mecca in mamluk times", in *Arabian Studies*, 1974 .pp146 -170.

(٥) ابن فهد، **إتحاف الورى**، ج ٣ ص ٢٢٥.

(٦) الفاسي، **العقد الثّمين**، ج ٦ ص ٢٨٥.

١٢١١م، وكان الخضر هذا يشارك في توزيع الصدّقات التي يرسلها ملك إربل إلى أهل مكّة(١). وقد ورد في أحداث سنة ٦٧٥هـ/١٢٧٦م أنّ الملك الظّاهر ركن الدّين بيبرس البندقداري كانت له صدقات كثيرة، إذ كان يرسل في كل سنة إلى مكّة عشر آلاف إردب من القمح للفقراء والمساكين وأرباب الزّوايا(٢). وفي سنة ٦٩٧هـ/١٢٩٧م حجّ بالنّاس الخليفة الحاكم بأمر الله العبّاسي فتصدّق بشيء كثير وأطعم النّاس وساعد المنقطعين بمكّة والمجاورين بها(٣). كما كان السّلطان برقوق سلطان المماليك كثير الصّدقات والمعروف، حيث كان يبيع في كلّ سنة ثلاثة آلاف إردب من القمح تفرّق في أهل الحرمين، كما تصدّق مرّة بخمسين ألف دينار مصري(٤).

---

(١) المصدر نفسه، ج ٤ ص ٣١٧.

(٢) السّيوطي (جلال الدّين عبد الرّحمان)، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، الطّبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧-١٩٦٨م. ج ٢ ص ٩٦.

Ankawi, "The pilgrimage *to* Mecca ", *loc. cit,* p 146.

(٣) الجزيري الأنصاري، **المصدر السّابق**، ج ١ ص ٦١٣.

(٤) ابن تغري بردي، **المصدر السّابق**، ج ١٢ صص ١٠٨-١٠٩.

خاتمة:

لقد استفادت التّجربة الصّوفيّة بمكّة خلال الفترة الإسلاميّة الوسيطة من ظاهرة المجاورة، التي شكّلت الإطار الملائم لانتعاش تيّار التصوّف بهذه المدينة وهو ما مكّن بدوره هذه الظّاهرة الثّقافيّة الاجتماعيّة من أن تشهد انتشارا واسعا وتتبوّأ آفاقا أرحب حيث لم يعد حضور المتصوّفة مقتصرا على دور التّربية الرّوحيّة فحسب وإنّما أضحى يجمع بين خصائص الرّيادتين الدّينيّة والدّنيويّة. كما كان ظهور الرّباطات والزّوايا الواسع بالبلد الحرام طوال هذه المرحلة من تاريخه قد أسهم في أن تتحوّل هذه المدينة المقدّسة ورمز الإسلام الرّسمي إلى أحد مراكز التصوّف النّشيطة في العالم الإسلامي الوسيط، لأنّ هذه المؤسّسات والهياكل مكّنت من استقطاب الشّيوخ والمريدين من مختلف أرجاء البلاد الإسلاميّة بحثا عن التّعبئة الرّوحيّة والمعرفيّة، مساهمة بما وفّرته من ظروف ملائمة للتأمّل والانقطاع للعبادة في تنشئة جمهور عريض من الزهّاد والنسّاك على التّربية الصّوفيّة. وكنتيجة لكلّ ذلك، كان لا بدّ لهذا التيّار الثّقافي الدّيني أن يعرف كثيرا من التطوّر والنّضج وذلك حين استطاع أن يحتلّ له مكانة متميّزة ضمن المنظومة المعرفيّة والفكريّة السّائدة بمكّة خلال هذه المرحلة من تاريخها وينجح المتصوّفة تبعا لذلك في تكريس خطابهم داخل النّسيج الاجتماعي المكّي والظّفر بقدر ذي بال من المصداقيّة والنّفوذ للتدخّل في شؤون المجتمع الحسّاسة، بعد أن أصبحوا محلّ تقدير وتبجيل من قبل الخاصّة والعامّة ومحطّ اهتمام ورعاية مختلف القوى والكيانات السّياسيّة والاجتماعيّة في مكّة وخارجها وإن ظلّت فئة من أتباع هذا المذهب منبوذة ومرفوضة من المجتمع المكّي، بعد أن تأكّد انخراطها في منطق الغلوّ والشّعوذة وسلوك مسلك البدع والتّغرير بالنّاس.

objectifs, c’est que l’église protestante de Tunisie a démontré puisqu'elle présente l’un des résultats les plus importants de la présence européenne en Tunisie, avant l'établissement du protectorat français, elle avait la nationalité anglaise. Après que la Tunisie soit devenue une colonie française, elle a été transformée en église française qui jouissait de plusieurs droits et privilèges, parmi lesquels la France pays colonisateur lui accordait.

Sommaire

Bibliographie

Les sources

•Les archives diplomatiques de Nantes, série L, sous Série n°1, dossier n°1

•Les archives nationales de Tunis, série E, carton n°501, dossier n°1

•Les archives nationales de Tunis, série E, carton n°501, dossier n°2

•Les archives nationales de Tunis, série E, carton n°501, dossier n°3

•Les archives nationales de Tunis, série E, carton n°501, dossier n°4

•Les archives nationales de Tunis, série E, carton n°501, dossier n°5

•Les archives nationales de Tunis série C, carton SG5, dossier n°139, sous dossier n°2

•Les archives nationales de Tunis, série C, carton SG5, dossier n°142, sous dossier n°1

Les références

◊Darmon Raoul :la situation des cultes en Tunisie, librairie Arther Resceau et Cie éditeurs, imprimerie rapide de Tunis, 1930.

après sa présence en Algérie[1]. On peut dire qu'il fut l'un des premiers défenseurs et promoteurs du protestantisme français. Il ressemble à "Lavigerie", car il fut le premier à encourager et à croire à la nécessité d'avoir une église pour les Français adhérant à la doctrine protestante. , écartant ainsi la menace anglaise, tout comme elle l'a fait avec les Italiens lorsqu'elle contrôlait la doctrine catholique dans la province tunisienne.[2]

Durmayer espérait que cette secte aurait les mêmes chances de se propager que la secte catholique dans la province tunisienne, malgré l'hostilité entre les sectes catholique et protestante, témoins de conflits depuis l'Antiquité. Alors, comment étaient-ils traités dans une colonie française ?

Même si le Résident général de France, Massicault, n'en était pas convaincu, car il estimait qu'il serait difficile pour la mission de Durmayer de réussir à imposer une Église protestante française, car, selon lui, l'Église chrétienne catholique ou la Synagogue juive avait des racines en Tunisie, des racines difficiles à posséder pour l'Église protestante, et même si la doctrine avait ces racines, c'était la nationalité anglaise et non française qui représentait le défi que Durmayer cherchait à relever[3].

En effet, ce dernier a réussi à atteindre son objectif. Cette association a pu imposer la doctrine protestante dans la province tunisienne et encourager ses adhérents à y affluer, mais cela n'a pas suffi pour que les églises chrétiennes protestantes existent en nombre. Ils n'en dépassaient pas trois, mais ils représentaient un concurrent de la doctrine catholique. Cela était dû à l'hostilité entre les deux sectes, et les convertis protestants rejetèrent l'octroi accordé au diocèse de Carthage et s'y opposèrent, croyant qu'ils l'étaient plus méritant une telle subvention.

Conclusion :

La construction de lieux de culte chrétiens, tant catholiques que protestants, dans la province tunisienne a démontré la victoire française sur le reste des nationalités européennes, car l'installation française pendant la période coloniale les a aidés à obtenir des privilèges financiers et juridiques, montrant ainsi clairement les relations harmonieuses entre la religion et l'état français dans ses colonies.

Entre christianisme et colonialisme, une relation d'alliance et de victoire entre religion et politique pour atteindre les mêmes

[1] ANT, série E, carton 501, dossier n°3

[3] Darmon Raoul: La situation des cultes en Tunisie … p 129

et il suffit qu'il soit de nationalité française. C'est peut-être la seule raison pour empêcher la minorité grecque orthodoxe de convoquer l'archevêque égyptien en Tunisie. province, car la nationalité française seule a ce privilège au sein de la province, et une fois de plus l'influence de la période coloniale sur la province apparaît. Religions dans la province tunisienne, car la secte protestante n'aurait pas bénéficié de ces privilèges si les Français ne l'avaient pas embrassée.

Ceci est également confirmé par le changement constaté à l'article n° 7 du décret du 15 septembre 1888, qui représentait un problème pour l'Association protestante, car elle s'opposait à ce qu'elle puisse établir un lieu de culte (l'Association), comme il ne dispose pas de légitimité juridique qui lui donne le droit d'obtenir des biens, des cadeaux et des subventions matérielles pour le service du culte.

Après que l'Église protestante eut possédé cet avantage légal stipulé dans le décret, elle fut autorisée à construire des synagogues protestantes sur les terrains dont elle pouvait être propriétaire, et comme elle était française, la loi sur les associations fut complètement modifiée pour répondre à ses intérêts.

Peut-être que l'année 1922 a été l'année de la preuve de l'influence du colonialisme français sur la province tunisienne, dans la mesure où il permettait d'y modifier les lois uniquement parce qu'elles ne répondaient pas aux exigences de l'Église protestante française, dans ce qu'elle considérait comme le droit , de posséder des dons, des subventions et d'acheter des biens immobiliers, même si l'Église protestante était représentée par son évêque, « Qabantus », qui réclamait ce droit. Sa demande a été satisfaite et la loi a été modifiée pour lui permettre d'obtenir la personnalité civile, lui permettant ainsi d'exploiter légalement les richesses des colonies du pays. Le décret du 15 septembre 1888 fut l'une des lois les plus adoptées par le clergé et les lieux de culte français pour obtenir plusieurs privilèges.

Les raisons les plus importantes de la présence de la secte protestante française dans la province tunisienne sont peut-être les religieux qui ont travaillé pour propager leur religion en France et ont travaillé dur pour la propager même dans ses colonies.

3- Un exemple du Clergé protestant : Durmayer, le père spirituel de l'Église protestante française en Tunisie :

Le point de départ de la construction des églises protestantes françaises fut avec le curé Georges Durmayer , prêtre français arrivé dans la province tunisienne le 20 août 1882 comme premier aumônier militaire protestant lors de l'occupation de la province tunisienne

légitimité juridique, ce qu'elle recherchait depuis toujours. A cet effet, elle a créé, par exemple, une association religieuse en Tunisie avant la publication des Associations. Loi en 1888. Elle continue de défendre son existence et le droit au séjour.

2 - Décret de 1888, notamment l'article 7 concernant la Tunisie : Cette clause empêche tout lieu d'enseignement privé ou toute association, quelle que soit sa nature, d'exercer ses effets sauf par un décret précisant ses biens meubles et immeubles s'il est passible de sanctions légales[1].

Pour résoudre ce problème, il a fallu promulguer un décret garantissant à cette association le droit à la propriété des biens meubles et immeubles. C'est pourquoi un décret a été publié en 1922 chaque fois que les autorités locales autorisaient le travail de cette association par une décision émise le 19 décembre 1922. 6 mars de la même année. Alors que représentaient la résolution de 1922 et son texte en particulier ?

Il s'agit en fait d'un texte qui a été évoqué et proposé par le conseiller législatif en Tunisie le 12 mai 1932 au ministre plénipotentiaire et directeur général de l'Intérieur intéressé par l'état civil que cherche à obtenir l'Église protestante. Le conseiller a clarifié ces points, qui sont :

- L'Église réformée française a été créée dans le cadre d'une dévotion doctrinale à son égard, mais son existence a dû être imposée sur la base du décret du 15 septembre 1888 sous la forme d'une association chargée du culte, ce que le Premier ministre a approuvé dans un circulaire en 1922.

Cette association s'appuie sur des lois qui réglementent les lieux de culte. Par exemple, l'administration relève du seul prêtre, mais l'une des caractéristiques les plus importantes de ce prêtre est qu'il soit de nationalité française. les protestants de cette association étaient français, et presque aucun de ceux d'autres nationalités ne s'est converti à l'islam. Contrairement à cette doctrine, les religieux britanniques n'étaient pas aussi stricts dans leur séjour dans la province tunisienne que les religieux italiens.

- Le prêtre assure le service de l'Église parallèlement à la présidence de l'association,

---

[1] Série Sc- sous série sg5–carton 139 –dossier 2 – sous dossier n°4: projet de décret modifiant le décret de 15 septembre 1888 , article 7: «Aucun établissement d'enseignement privé ,aucune association quelconque ne peut être reconnu d'utilité publique autrement que par décret ,qui déterminera la quotité des biens ,meubles ou immeubles ,que l'association ou l'établissement pourra posséder .
Toute acquisition dépassant cette quotité sera nulle de plein droit.
Le bénéfice de la reconnaissance d'utilité publique peut toujours être retiré par décret.
Les dispositions à titre gratuit, faites-en faveur d'un établissement ou d'une association reconnue d'utilité publique, ne pourront avoir leur effet qu'après avoir été autorisées par un décret spécial.

c'est une colonie française[1].

C'est pourquoi Cabantus, président du Conseil des Eglises protestantes françaises de Tunisie et directeur de l'Intérieur de Tunisie, a exigé qu'ils disposent d'une salle pour pratiquer leurs rituels religieux, gratuitement et temporairement, jusqu'à ce qu'un lieu de culte soit construit pour eux.

Et, le 16 janvier 1936, cette minorité n'obtint pas ce qu'elle voulait. Le directeur général de l'Intérieur, le curé de l'Église de Sfax ou le curé Kabantos, répondirent à leur demande d'une salle d'hôtel dans la ville pour les protestants, cette minorité de Sousse a voulu pratiquer ses rituels religieux, mais elle a été rejetée, expliquant que c'était le droit exclusif des associations.[2]

Si même la France, leur pays, ne leur a pas donné le droit de construire une église, mais leur a plutôt fourni une salle mise à leur disposition par la municipalité de la ville, compte tenu de leur petit nombre et de leurs réunions qui ont lieu un jour par mois, alors pourquoi le pays tunisien devrait-il leur donner ce droit d'avoir une église ?

La France comme pays colonisateur a pu offrir des privilèges aux français vivants en Tunisie , parmi ces privilèges , le droit des minorités françaises protestants d'obtenir des lieux pour se produire leurs rituels religieux et même obliger la province tunisienne à leur fournir gratuitement des lieux pour pratiquer leurs rituels religieux, même si les adeptes de cette doctrine sont des employés et des ouvriers et peuvent louer une salle, d'où le lien étroit et la relation forte entre le colonialisme et la religion est confirmée .

2- le statut juridique des églises protestantes :

La situation juridique des églises ne différait pas entre les sectes chrétiennes catholiques et protestantes, et en fait, leurs points forts représentaient : premièrement, les lois qui contribuaient à leur existence, issues de la situation de colonialisme français que connaissait la province tunisienne à cette époque, et d'autre part, le clergé qui a soutenu l'existence de ces maisons et l'intelligence de l'État français dans leur choix pour relever ce défi en diffusant cette doctrine et son rôle de culte.

Les lieux de culte protestants ont obtenu une légitimité juridique pour leur construction grâce à un décret sur la loi sur les associations établie en 1888, malgré les difficultés auxquelles ils ont été confrontés, qui se sont principalement représentées dans :

1 - L'Église protestante d'Eilat tunisienne cherchait un siège qui lui donnerait une

[1] ANT, série E, carton 501, dossier n°5 p 1 : culte protestant ; affection d'un local aux protestants de Sousse et Sfax pour la célébration des exercices du culte protestant.

[2] ANT, série E, carton 501, dossier n° 5, Page n° 3

du 20 juillet 1933[1].

Dès 1893, la minorité protestante de la ville de Bizerte commença à demander aux autorités locales de lui fournir une salle dans la commune pour se réunir afin d'accomplir ses rituels religieux une fois tous les quinze jours.

Cette église protestante, a expliqué au Résident général son besoin d'une église, ajoutant que le même cas se produit en Algérie où il résidait[2], mais en 1895 la municipalité a refusé de permettre à cette minorité d'avoir une salle, pour ses rituels religieux.

Malgré cela, elle ne s'est pas rendue, mais a plutôt changé de lieu. En 1900, la minorité protestante française de Bizerte a organisé une célébration dans la salle d'audience, justice et paix de la ville, et le prêtre l'a pris comme lieu pour y célébrer des rituels religieux, les protestants tous les dimanches jusqu'à ce qu'ils puissent obtenir un lieu de culte [3]. Ils n'ont pas été autorisés à créer une association religieuse avant 1942, sur la base de la loi sur les associations de 1888[4]. Ce fut une première étape pour obtenir un lieu qui leur est propre pour célébrer leurs rituels religieux.

Entre la présence de cette minorité à Bizerte et leur démarche pour obtenir un lieu de culte qui leur soit propre, sans oublier que leur nombre a augmenté, ce qui les a incités à revendiquer le droit de créer une association pour leur construire ultérieurement une église.

En 1935, les protestants de la ville de Sousse - dont la plupart étaient des salariés - se retrouvaient confrontés au problème d'un lieu où tenir leurs rituels religieux dans la ville. Parce qu'ils étaient minoritaires, ils exigeaient que la municipalité de Sousse les leur accorde. Une salle dans laquelle ils pourraient tenir leurs rituels, même une fois par mois, dans un foyer à Sousse, et comme « Ktanz », membre de l'Église protestante française de Sfax, l'a expliqué à un député, le maire de Sousse a déclaré que même à Sousse. En France, les protestants - étant une minorité - n'avaient pas de lieu pour leur culte, et fournir ce lieu était une des tâches de la municipalité, qui disposait d'une salle pour qu'ils puissent accomplir leurs rituels religieux, et pour eux c'est ce qui devrait arriver en Tunisie, puisque

1 Les archives diplomatiques de Nantes, série L, sous série 1, Dossier n° 1

2 ANT, série E, carton 501, dossier n°4, p 1 ,6 : culte protestant ; affection d'un local pour la célébration des exercices du culte protestant.

3 ANT, série E, carton 501, dossier n°4, p 1 ,6 : culte protestant ; affection d'un local pour la célébration des exercices du culte protestant.

4 ANT, Série C, carton, SG5, dossier 142, s dossier n° 1, p 11

l'administration des affaires de l'église et de prendre soin des lieux de culte et de les préserver. Le siège du conseil sera dans l'église qui sera construite. Ce conseil est composé d'un président, du pasteur de l'église « Boron » et de 4 membres laïcs élus. Par les adeptes de la doctrine protestante, et elle est modifiée de moitié tous les 3 ans.

Le Conseil protestant de l'Église évangélique du sud de la Tunisie a été créé pour financer financièrement la construction de l'église. On constate que ce conseil compte 4 membres laïcs, ce qui montre la séparation entre les affaires administratives des lieux de culte auxquelles participent les laïcs et celles-ci.

Les affaires religieuses qui concernent le clergé et qu'ils partagent en vue de construire un lieu de culte, notons que le fait que le conseil soit intéressé à construire une église n'a pas empêché la participation de laïcs, à laquelle l'un des membres a pris le relais la tâche du trésor. Il s'agit d'un conseil qui existait dans la société civile du pays tunisien et jouit légalement de droits, dont le plus important est peut-être l'obtention d'un terrain à Sfax pour construire un lieu de culte chrétien pour les protestants, qui a été soutenu par le tribunal de Sousse par décision en 1894 et le consul adjoint de France dans la ville de Sfax la même année[1].

La construction de lieux de culte français en Tunisie est liée à l'intelligence du clergé français et des politiciens français , que ce soit en termes de leur localisation géographique ou juridique et de leur acceptation dans la société sans la politique d'imposition, mais plutôt en exigeant et en obtenant l'approbation, qui est soutenu par le Résident Général, les représentants et les consuls, pour que les chrétiens établissent leurs rituels religieux dans les lieux de culte qui leur appartiennent.

Le premier point de défense de cette doctrine chrétienne et de son rôle de culte a été représenté dans le décret du 15 septembre 1888, dont le sujet était lié aux associations. C'est pourquoi une association a été créée pour prendre soin de l'Église protestante et défendre ses droits.

Et, les branches furent nombreuses, depuis la Compagnie Civile de l'Église Protestante de Tunisie jusqu'au Conseil Protestant de l'Église Évangélique du Sud Tunisien, le tout dans le cadre d'un travail d'association de défense des lieux de culte chrétiens protestants, cette association a pu obtenir l'état civil par décret

[1] ANT , série E, carton 501, dossier n°3, p 6 ,9 et 11

Quant aux articles, ce sont eux qui définissaient l'identité de cette société. Ces articles ont été rédigés en 1887, c'est-à-dire avant la promulgation de ce qu'on appelle la Loi des Associations, mais ils n'ont été activés que le 15 septembre 1888, ce qui signifie que cette société, créée par l'Église protestante française en Tunisie, n'avait pas de forme juridique de travail.

Les associations ont en revanche le même cahier des charges que l'association qui gère les affaires administratives et financières des lieux de travail. Cela prouve que le colonialisme français a été la raison de l'arrivée de cette minorité religieuse, et que l'un de ses résultats a également été l'émission d'ordonnances et de lois pour servir les colons et leurs intérêts.

Il ne fait aucun doute que le colonialisme français, qui s'est engagé à ne pas empiéter sur les croyances religieuses des musulmans, et auxquelles nous verrons plus tard qu'il n'a pas adhéré, ne s'est pas arrêté là, mais a plutôt donné une juste marge de liberté et de violation. des lois aux chrétiens français, en particulier, pour accomplir leurs rituels religieux, en changeant les lois et les noms des institutions, afin de s'appeler plutôt une association car le décret sur les associations n'a pas été pris à cette époque. Il a été donné le nom de la Société Civile du Temple Protestant Français en Tunisie.

Le choix des emplacements pour les églises protestantes françaises était limité en nombre et quelque peu sélectif. Même si leur nombre n'était pas aussi grand que celui des églises catholiques françaises, elles étaient présentes et soutenaient leur présence. Elles étaient dans la capitale, Bizerte, et dans la capitale au sud, à Sfax. En 1892, le prêtre protestant « Boron » demanda l'autorisation de lui accorder un terrain de 290 mètres carrés pour construire une église à Bizerte, après avoir fait la même chose pour construire une église dans la capitale. La Chambre des représentants avait soumis au Résident général « Massicult » [1].

En parallèle, pour construire une église dans le sud tunisien, il a fallu créer le Conseil protestant de l'Église protestante française du sud tunisien, dont la mission est de permettre à l'église d'obtenir le terrain sur lequel elle sera construite du conseil était conforme aux neuf points trouvés lors de la séance tenue par le conseil à Sfax le 28 mars 1894, et l'une des choses les plus importantes qui y étaient mentionnées était l'exposé de ses tâches, qui étaient de gérer les finances et

[1] ANT, série E , carton 501,dossier n°3 page n°1: culte protestant: Concession d'un terrain pour la construction d'un temple et le statut d'un conseil presbytéral de l'église réformée évangélique du sud de la Tunisie .

puis exiger un lieu spécial pour le culte. Alors cette minorité a d'abord accepté une salle dans laquelle elles faisaient leurs rituels religieux, pour obtenir le droit de réclamer une église pour pratiquer leurs rituels.

Le curé Durmayer et quelques protestants spécialement les notables exigeaient que le Bey leur fournisse un terrain pour construire leur église. C'est pourquoi, en 1887, le Bey passa une commande pour ce terrain. Alors l'État tunisien l'acheta et le céda à la société civile, pour construire l'église Protestante Française de Tunisie, sachant que cette société a été créée le 1er février 1887.

La mission de l'association - qui s'appelait Société Civile du Temple Protestant de France - était de fournir un terrain pour construire l'église, et son identité était déterminée à travers 7 dispositions légales, et le plus important que cette société était soutenue par le Consulat de France en Tunisie.

L'objectif de cette société est de prendre un terrain du bey tunisien gratuitement pour construire une église pour les protestants, et elle possédait la direction de l'église, ainsi que ses membres doivent être français, embrasser la foi protestante, et être installé en Tunisie , en plus le plus ancien clerc protestant de l'Église protestante de France a le droit d'être membre de cette association[1].

Alors,"Ali Pacha Bey" a présenté le terrain qu'il avait pris à l'italien "Moreno" en échange de cette société, composée du curé "Durmayer Georges Jacques", du propriétaire "Chaplier Alfrio", du propriétaire "Fox Felix", le professeur de l'école Sadiqi "Bserogan" et le propriétaire "Bosanus", selon un contrat signé par le consul français, cette société est engagé auprès du bey à construire une église pour accomplir les rituels de la religion protestante française dans un délai de trois ans à compter de janvier 1888, sans cela, le contrat est considéré comme nul et le terrain revient à l'État, et l'entreprise n'a pas non plus le droit de le réclamer ni même d'indemnisation pour les travaux qui auraient pu être entrepris sur ce terrain, sachant que cette association n'a pas le droit de procéder à aucun transfert ou modification du terrain sans autorisation de l'Etat, sous peine d'en être privée.

Cette association a été créée pour gérer les affaires administratives de l'Église, mais il est à noter que la nationalité française était la base de la sélection des membres, et même de la présentation du plus ancien prêtre existant dans l'Église protestante française de Tunisie pour être membre de cette société.

---

[1] ANT, série E, carton n°501, dossier 2, p 64 : culte protestant, concession d'un terrain pour la construction d'un temple.

réunissaient dans l'Église anglicane, ce qui suscita la crainte et l'inquiétude du consul anglais que l'État français « envahisse » un lieu considéré plus comme un symbole national qu'un symbole idéologique, mais cela s'est effectivement produit des années plus tard après son occupation de la province tunisienne[1].

Cela confirme que l'inquiétude du consul anglais était justifiée et que la force des lieux de culte dans le pays est liée à la force de la politique internationale, puisque l'un des résultats les plus importants de la protection française est la naissance de l'Église protestante française. L'occupation française a pu supprimer toute présence religieuse ne portant pas sa nationalité, et donc l'existence d'une église protestante. Durant la période de l'occupation française, il faut en premier lieu avoir la nationalité française.

Cela s'est confirmé après la construction d'églises protestantes françaises, malgré leur nombre limité dans la province tunisienne. On les a trouvées dans la Tunisie actuelle, à Bizerte et à Sfax, et c'étaient peut-être les endroits où se concentraient les protestants de la province tunisienne au cours de cette période du protectorat français.

Malgré les conflits historiques qui existent entre les sectes catholiques et protestantes, la situation dans les colonies est différente dans la mesure où l'on accepte la coexistence en un même lieu.

C'est la politisation de la religion » ou « religiosité de la politique », qui se manifeste dans la construction de lieux de culte pour consacrer l'acte d'existence et de présence des États et que la religion représente le résultat correspondant de la force des politiques des États et de la faiblesse des politiques des États d'autres (la province tunisienne par exemple), puisque ces Etats comme la France, l'Italie et la Grande-Bretagne reçoivent le soutien du Bey pour leurs consuls, ceci en lui donnant des terrains et en fournissant en cadeau un terrain sur lequel construire des lieux de culte, et puis ce conflit qui apparaît à travers la compétition pour construire des églises appartenant à un pays pour prouver sa présence dans le lieu qu'il cherche à coloniser.

Il est donc permis de dire que l'église en Tunisie pendant la période coloniale française était un lieu pour prouver son patriotisme, tout comme elle l'était pour se rassembler pour le culte et pratiquer ses croyances religieuses.

1- Le statut des lieux de culte protestants :

On retrouve une stratégie des minorités qui commence par accepter n'importe quel endroit pour pratiquer leurs rituels religieux,

---

[1] Darmon (Raoul), **La situation des cultes en Tunisie**… p 128- 129

1809), a commencé à diffuser la religion chrétienne protestante, mais ce qui attire l'attention, c'est qu'ils l'ont spécifiquement dirigée vers les juifs, et la pratique de leurs rituels religieux s'effectuait au siège du consulat britannique ou au siège du consulat britannique.

Peut-être que l'intérêt des protestants pour l'adoption de la religion chrétienne par les Juifs est dû aux relations de la Grande-Bretagne avec les Juifs de nationalité britannique et à leurs efforts pour les soutenir, dans la mesure où elle leur a fourni un soutien en tant que minorité religieuse, ou même parce que la doctrine protestante elle-même est adoptée par une minorité de chrétiens, comme la majorité est catholique, la présence de cette doctrine est donc secondaire et modeste dans l'État ou les colonies françaises.

Cette doctrine se fixa des objectifs pour la réussite de son projet et fut soutenue, comme à son habitude, par l'autorité locale. En 1874, le Bey céda à ces missionnaires un terrain rue d'Espagne pour y construire une église, qui fut ensuite vendue pour inaugurer l'église (Église Saint-Georges de 1901).

Ainsi, avant le protectorat français, la présence protestante dans la province tunisienne était initialement anglaise et non française. Le protestantisme anglican avait également pour souci de propager le christianisme parmi les juifs et pas chez les autres. Il est donc permis de dire que le protestantisme avant 1881 est entièrement lié aux Juifs, mais après la présence française dans la province tunisienne, la présence des Français protestants qui ont adopté cette doctrine après la colonisation française de la Tunisie.

II- L'Église protestante en Tunisie pendant la colonisation française :

En 1882, les adeptes de la secte protestante se

=

Europe, Asie, Afrique et en Amérique, beaucoup d'entre eux étant des Juifs convertis.

La *London Society* poursuivra ses activités jusque dans la seconde moitié du XXème siècle, suscitant de vives oppositions au sein du Judaïsme mondial.

Les moyens utilisés sont le prêche, la publication de journaux (*Jewish Missionary Intelligence*, *Jewish Missionary Advocate*, et *Quarterly Notes*) et la fondation d'écoles chrétiennes en milieu Juif. Le nouveau testament est traduit en Hébreu.

Il est à noter que la société n'a jamais développé de rejet ethnique des Juifs, ou antisémitisme, voulant au contraire les « sauver ». Nombre de dirigeants de la Royal Society ont ainsi été des convertis Juifs ;

La société a plusieurs fois changé de nom, devenant *the London Jews' Society* puis *Church's Ministry Among Jewish People* (CMJ), mais suscitant toujours des réactions parfois hostiles des milieux juifs. La société a aujourd'hui des positions globalement assez pro-israéliennes, ce qui a réduit les tensions.

elle existait quelques années avant la colonisation française de la Tunisie, plus précisément en 1878[1].

En 1874, le Bey a donné un terrain dans la rue d'Espagne à ces missionnaires pour y construire une église, et environ quatre ans plus tard, ce don fut confirmé lorsqu'il fut donné du Bey au Consul pour construire cette église, puis ce terrain fut vendu pour l'inauguration de l'église Saint-Georges en 1901, et cela était à l'emplacement d'un cimetière.[2]

Dans le livre de Raoul Darmon, la terre fut donnée aux missionnaires en 1874, mais les archives n'en parlèrent qu'en 1878, date à laquelle la terre fut donnée en cadeau au consul.

Cette église a été taillée par le Bey et les dotations pour plaire au consul anglais et à l'Angleterre, et cela montre le soutien que les nationalités européennes reçoivent du Bey, et les débuts d'implantation dans la province tunisienne par ces nationalités chrétiennes. le culte prouve la présence européenne dans la province et nous montrons cet intérêt européen pour la présence sur le continent africain avec les mouvements coloniaux dont le monde a été témoin.

C'est parce que la présence de l'Église chrétienne anglicane est une conséquence de la présence anglaise en Tunisie, et peut-être est-ce un encouragement de ce pays à inciter les religieux à y vivre pour atteindre leur objectif d'occuper le pays d'ici, le fort. La relation entre la politique coloniale et la religion devient claire.

Peut-être que la présence de l'Église protestante anglicane dans la province tunisienne ouvre la voie à parler de l'histoire de la présence de l'élément anglais au sein de la province, car il faut souligner l'ancienneté de la présence protestante anglaise dans la province tunisienne, car sa présence remonte au XVIIe siècle (vers 1645) et le terrain qui leur a été attribué était un cimetière. Des protestants de toutes nationalités y sont enterrés, mais depuis 1841, les Anglais, notamment avec la Compagnie Missionnaire Anglaise[3]. (Cette association a été fondée en

---

[1] Archives Nationales de Tunis, série E, carton 501, dossier n°1 copie n° 8

[2] Darmon Raoul: La situation des cultes en Tunisie, (2ème édition, revue et augmentée), Paris, librairie Arther Resscau et Cie éditeurs 14, rue sufflot, société anonyme de l'imprimerie rapide de Tunis 1930 p 133

[3] Cette société missionnaire anglicane s'appelle « London Jews society » est une association anglicane fondée le15 février 1809 à Londres pour répandre le christianisme protestant dans les milieux juifs.

En 1909, pour son centenaire, elle avait 222 missionnaires opérant à travers le monde, en =

L'Église protestante en Tunisie pendant le colonialisme français

Introduction :

Pendant la période du protectorat français en Tunisie, la religion chrétienne, adoptée par la plupart des Européens dans la province tunisienne, a subi des changements importants et cette religion s'est répandue avec trois doctrines : le catholicisme, l'orthodoxie et le protestantisme.

Le protestantisme est une doctrine chrétienne dont l'émergence remonte au mouvement de Réforme qui a eu lieu en Europe occidentale au XVIe siècle.

Sachant qu'avant l'établissement du protectorat français en Tunisie en 1881, il n'y avait pas d'Église protestante française. Elle était plutôt anglicane, ce qui signifie que la doctrine protestante dans la province tunisienne était adoptée par les Anglais et non par les Français. Mais dès que la Tunisie est devenue une colonie française, cette église a également connu des changements dont le plus important est peut-être que cette église est devenue française.

Alors, qu'était l'Église protestante avant le protectorat français, et comment est-elle devenue pendant celui-ci, et surtout, comment l'occupation française a-t-elle affecté cette église, à travers son statut juridique et sa présence dans la province tunisienne, sans oublier une étude des personnalités les plus importantes qui ont fondé cette église protestante (le clergé Durmayer) ?

I- L'Église protestante en Tunisie avant la colonisation française :

Avant l'établissement du protectorat français en Tunisie en 1881, il n'y avait pas d'Église protestante française. Elle était plutôt anglicane, ce qui signifie que la doctrine protestante dans la province tunisienne était adoptée par les Anglais et non par les Français.

Pour cette raison, l'Église protestante anglicane a construit un cimetière sur la colline de Byrsa, ou ce qu'on appelle aussi le cimetière Saint-Georges. Cet endroit a été offert par le bey au consul anglais. La construction de cette église a eu lieu sur ordre donné à l'agent des Dotations Sadiqiyya, et

The Protestant Church in Tunisia during French Colonialism

Aloui imen

Researcher in Contemporary History

Faculty of Human and Social Sciences of Tunis

emy.aloui@gmail.com

Abstract

During the period of French colonialism (1881-1956), the Tunisian country experienced significant changes at all levels, due to the migration of French settlers to Tunisia during this period. Perhaps what concerns us was related to the religious aspect, especially the Protestant doctrine.

We will study the Protestant Church in Tunisia and the transformation it experienced before and during French colonialism, between the power of French colonialism and its total control over Tunisia, as the Protestant Church changed from Anglican to French. We will then talk about the situation of these churches in Tunisia, the circumstances of their construction or their locations and the actors who contributed to their construction, and without forgetting their legal status through laws and decrees that support their existence and give them legitimacy. This perhaps highlights the strength of the French presence in Tunisia.

And one of its most important symbols of French power was the clergy George Durmayer, who believed in his goal of spreading French Protestant doctrine in Tunisia and was an active person to support the French presence through the doctrine he followed, and it is for this reason that we will study this character.

Keywords:

Church, Protestant, Tunisia, French colonization, legal.

L'Église protestante en Tunisie pendant le colonialisme français

Aloui imen

Chercheuse en histoire contemporaine

Faculté des sciences humaines et sociales de Tunis

Résumé :

Pendant la période du colonialisme français (1881-1956), le pays tunisien a connu des changements importants à tous les niveaux, en raison de la migration des colons français vers la Tunisie au cours de cette période. Peut-être que ce qui nous préoccupe était lié à l'aspect religieux, en particulier à la doctrine protestante.

Nous étudierons l'Église protestante en Tunisie et la transformation qu'elle a connue avant et pendant le colonialisme français, entre la puissance du colonialisme français et son contrôle total sur la Tunisie, alors que l'Église protestante passait d'anglicane à française. Nous parlerons ensuite de la situation de ces églises en Tunisie, des circonstances de leur construction ou de leurs emplacements et des acteurs qui ont contribué à leur construction, et sans oublier leur statut juridique à travers des lois et décrets qui soutiennent leur existence et leur donnent la légitimité de. Cela met peut-être en évidence la force de la présence française en Tunisie.

Et l'un de ses symboles les plus importants de la puissance française était le clergé George Durmayer, qui croyait en son objectif de diffuser la doctrine protestante française en Tunisie et était une personne active pour soutenir la présence française à travers la doctrine qu'il suivait ,et c'est pour cette raison que nous étudierons ce personnage.

Mots clés :

Eglise, protestante, Tunisie, colonisation française, juridique.